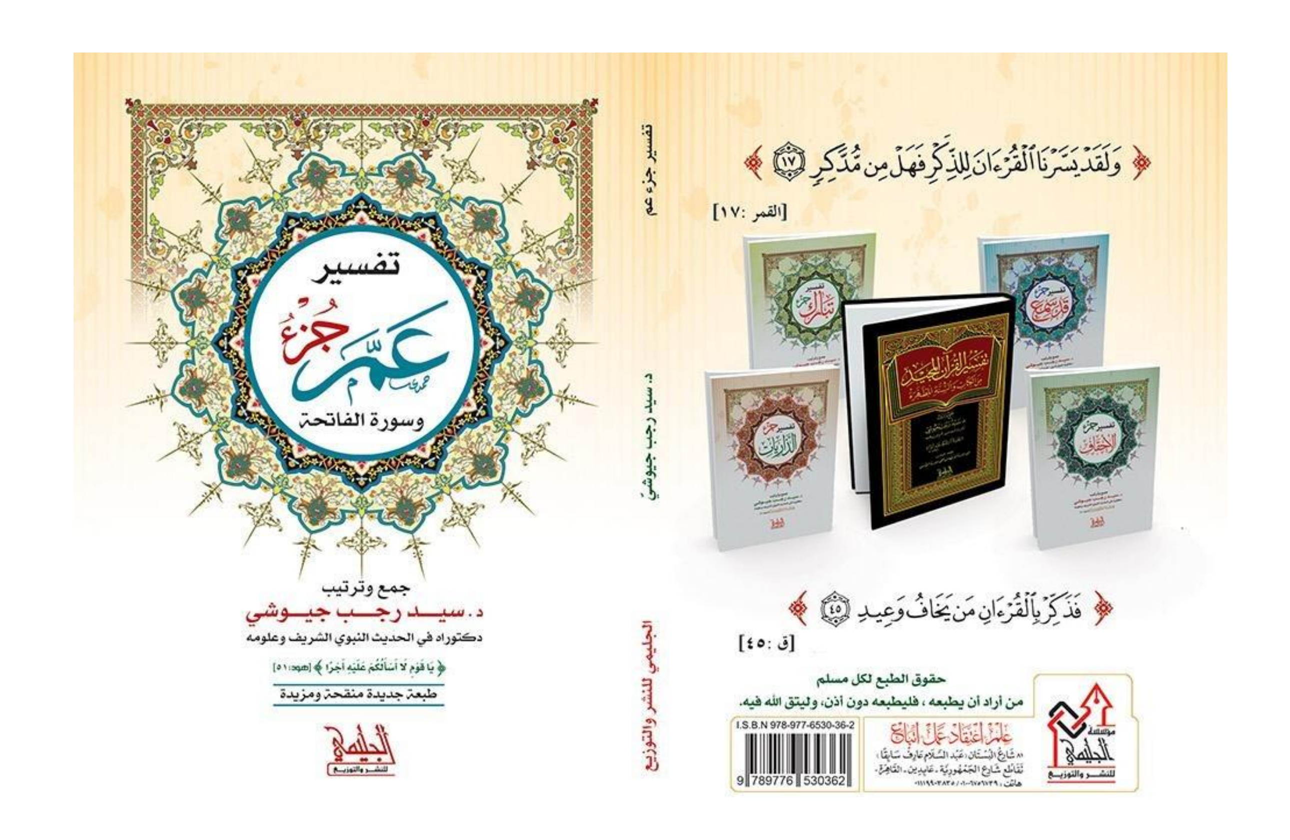
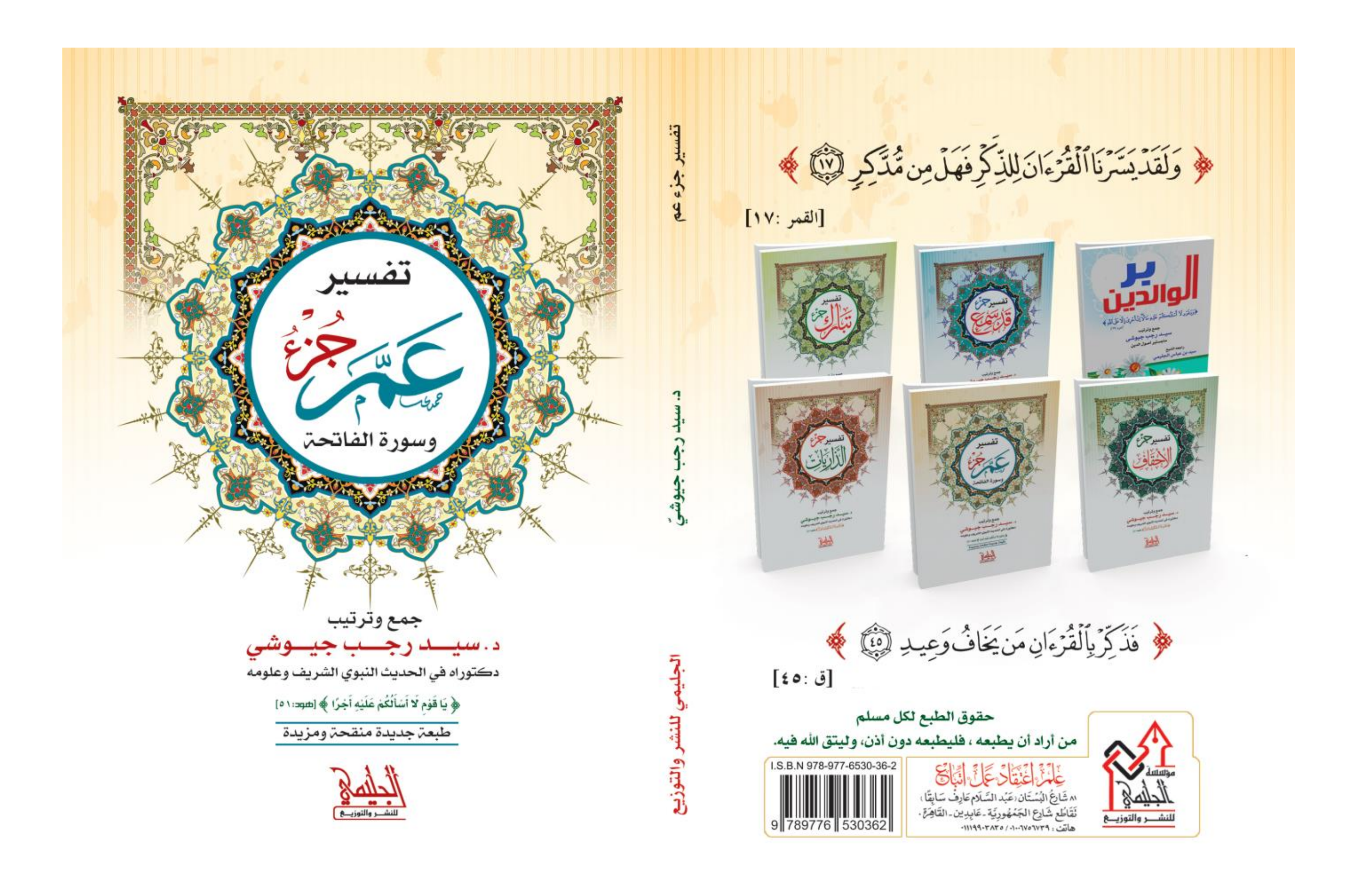

تفسير
جزء عمّ
وسورة الفاتحة
جمع وترتيب
د. سيد رجب جيوشي
دكتوراه في الحديث النبوي الشريف وعلومه
﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [هود: ٥١]
طبعة جديدة منقحة ومزيدة
الجليمي للنشر والتوزيع
تفسير جزء عم
د. سيد رجب جيوشيّ
الجليمي للنشر والتوزيع
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾
[القمر: ١٧]
فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾
[ق: ٤٥]
حقوق الطبع لكل مسلم
من أراد أن يطبعه ، فليطبعه دون أذن، وليتق الله فيه.
I.S.B.N 978-977-6530-36-2
9 789776 530362
علم اعتقاد عمل اتباع
مؤسسة الجليمي للنشر والتوزيع


تفسير
جزء عم
وسورة الفاتحة
جمع وترتيب
د. سيد رجب جيوشي
دكتوراه في الحديث النبوي الشريف وعلومه
﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [هود: ٥١]
طبعة جديدة منقحة ومزيدة
الجليمي للنشر والتوزيع
تفسير جزء عم
د. سيد رجب جيوشي
الجليمي للنشر والتوزيع
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ١٧﴾
[القمر: ١٧]
﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥﴾
[ق: ٤٥]
حقوق الطبع لكل مسلم
من أراد أن يطبعه، فليطبعه دون أذن، وليتق الله فيه.
I.S.B.N 978-977-6530-36-2
9 789776 530362
علم اعتقاد عمل اتباع
٨١ شارع البستان (عبد السلام عارف سابقًا)
تقاطع شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة.
هاتف: ٠١٠٠٦٧٥٦٧٣٩ / ٠١١١٩٩٠٣٨٣٥
مؤسسة الجليمي للنشر والتوزيع

دار الكتب والوثائق القومية

الشئون الفنية

إدارة الإيداع القانونى

03817

**إقرار بتسليم رقم الإيداع بدار الكتب**

طبقاً لقانون حماية حقوق الملكية الفكرية رقم ٨٢ لسنة ٢٠٠٢

عنوان المصنف (الكتاب): تفسير جزء عم

اسم المؤلف:

عنوان المؤلف:

اسم الناشر:

عنوان الناشر:

اسم الطابع:

عنوان الطابع:

رقم الإيداع: ( ٢٨١٧ / ٢٠١٩م) الترقيم الدولي: 978/977 6530-36-

مندوب الناشر / الطابع / المؤلف: ........ رقم قومى:

تحريرا فى: ٢١ / ٩ / ٢٠١٩م

- كافة البيانات الخاصة بالمصنف «الكتاب» من عنوان ومحتوى فكري ومضمون مسئولية كل من المؤلف والناشر والطابع بالتضامن فيما بينهم دون أدنى مسئولية مدنية أو جنائية على الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية.

**تعتبر البيانات المدونة بالخلف جزء لا يتجزأ من الإقرار**

تاريخ إيداع النسخ: / / ٢٠١٩ توقيع المختص:

# تفسير جُزْءٌ عمّ

{يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا}[سُورَةِ هُودٍ: ٥١]

طَبعة جديدة منقحة

جمع وترتيب
د/ سيد بن رجب جيوشي
دكتوراه في الحديث النبوي الشريف وعلومه

مؤسسة الجليمي للنشر والتوزيع

من أراد أن يطبعه فليطبعه وليتق الله فيه

الطبعة الثانية
١٤٤٠هـ ٢٠١٩م
رقم الإيداع٣٨١٧/٢٠١٩
IsBN978-977-6530-36-2

## {هدية الكتاب}

صَدَّرَ الْبُخَارِي-ّرَحِمَهُ اللَّهُ- كِتَابَهُ " الصَّحِيحَ " بحديث «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى"**؛ وَأَقَامهُ مَقَامَ الْخُطْبَةِ لَهُ، إِشَارَةً مِنْهُ إِلَى أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، فَهُوَ بَاطِلٌ لَا ثَمَرَةَ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ.

وهذا الحديث متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا

الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».[1]

وَلِهَذَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: لَوْ صَنَّفْتُ كِتَابًا فِي الْأَبْوَابِ، لَجَعَلْتُ حَدِيثَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي الْأَعْمَالِ بِالنِّيَّاتِ فِي كُلِّ بَابٍ، وَعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُصَنِّفَ كِتَابًا، فَلْيَبْدَأْ بِحَدِيثِ «الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ».

وَهَذَا الْحَدِيثُ أَحَدُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يَدُورُ الدِّينُ عَلَيْهَا، فَرُوِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ أَنَّهُ قَالَ: هَذَا الْحَدِيثُ ثُلُثُ الْعِلْمِ، وَيَدْخُلُ فِي سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الْفِقْهِ.

وَقَالَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: أُصُولُ الْإِسْلَامِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحَادِيثَ: حَدِيثُ عُمَرَ: **«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»**، وَحَدِيثُ عَائِشَةَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، وَحَدِيثُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ: «الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ ».

وَقَالَ الْحَاكِمُ: حَدَّثُونَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ ذَكَرَ قَوْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» وَقَوْلَهُ: «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا» ،وَقَوْلَهُ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي دِينِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» فَقَالَ: يَنْبَغِي أَنْ يُبْدَأَ بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ فِي كُلِّ تَصْنِيفٍ، فَإِنَّهَا أُصُولُ الْأَحَادِيثِ.

وَرَوَى عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ، قَالَ: جَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمِيعَ أَمْرِ الْآخِرَةِ فِي كَلِمَةٍ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» ، وَجَمَعَ أَمْرَ الدُّنْيَا كُلَّهُ فِي كَلِمَةٍ: **«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»** يَدْخُلَانِ فِي كُلِّ بَابٍ.

وَقَالَ أَبو دَاوُدَ: نَظَرْتُ فِي الْحَدِيثِ الْمُسْنَدِ، فَإِذَا هُوَ أَرْبَعَةُ آلَافِ حَدِيثٍ، ثُمَّ نَظَرْتُ، فَإِذَا مَدَارُ أَرْبَعَةِ آلَافِ حَدِيثٍ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ: حَدِيثُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ: «الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ»، وَحَدِيثُ عُمَرَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» ، وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ» ، وَحَدِيثُ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»، قَالَ: فَكُلُّ حَدِيثٍ مِنْ هَذِهِ رُبُعُ الْعِلْمِ.

---

[1] أخرجه البخاري رقم(١) واللفظ له ،ومسلم رقم(١٩٠٧).

وَلِلْحَافِظِ أَبِي الْحَسَنِ طَاهِرِ بْنِ مُفَوِّزٍ الْمُعَافِرِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ قَالَ:

عُمْدَةُ الدِّينِ عِنْدَنَا كَلِمَاتٌ ... أَرْبَعٌ مِنْ كَلَامِ خَيْرِ الْبَرِيَّهْ

اتَّقِ الشُّبُهَاتِ وَازْهَدْ وَدَعْ مَا ... لَيْسَ يَعْنِيكَ وَاعْمَلَنَّ بِنِيَّهْ

فقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»** فاعْلَمْ أَنَّ النِّيَّةَ فِي اللُّغَةِ نَوْعٌ مِنَ الْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ، بِمَعْنَى تَمْيِيزِ الْمَقْصُودِ بِالْعَمَلِ، هَلْ هُوَ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَمْ لغَيْرُهُ؟.

وَهُوَ أَنَّ صَلَاحَ الْأَعْمَالِ وَفَسَادَهَا بِحَسَبِ صَلَاحِ النِّيَّاتِ وَفَسَادِهَا، كَقَوْلِهِ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ» أَيْ: إِنَّ صَلَاحَهَا وَفَسَادَهَا وَقَبُولَهَا وَعَدَمَهُ بِحَسَبِ الْخَاتِمَةِ، وَعَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: تَعَلَّمُوا النِّيَّةَ، فَإِنَّهَا أَبْلَغُ مِنَ الْعَمَلِ، وَعَنْ زُبَيْدٍ الْيَامِيِّ، قَالَ: إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ تَكُونَ لِي نِيَّةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَعَنْ دَاوُدَ الطَّائِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ الْخَيْرَ كُلَّهُ إِنَّمَا يَجْمَعُهُ حُسْنُ النِّيَّةِ، وَكَفَاكَ بِهَا خَيْرًا وَإِنْ لَمْ تَنْصَبْ، وقَالَ: وَالْبِرُّ هِمَّةُ التَّقِيِّ، وَلَوْ تَعَلَّقَتْ جَمِيعُ جَوَارِحِهِ بِحُبِّ الدُّنْيَا، لَرَدَّتْهُ يَوْمًا نِيَّتُهُ إِلَى أَصْلِهِ، وَعَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، قَالَ: مَا عَالَجْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نِيَّتِي؛ لِأَنَّهَا تَنْقَلِبُ عَلَيَّ، وَعَنْ يُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطٍ، قَالَ: تَخْلِيصُ النِّيَّةِ مِنْ فَسَادِهَا أَشَدُّ عَلَى الْعَامِلِينَ مِنْ طُولِ الِاجْتِهَادِ،وَقِيلَ لِنَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ: أَلَا تَشْهَدُ الْجَنَازَةَ؟ قَالَ: كَمَا أَنْتَ حَتَّى أَنْوِيَ، قَالَ فَفَكَّرَ هُنَيَّةً، ثُمَّ قَالَ: امْضِ،وَعَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، قَالَ: رُبَّ عَمَلٍ صَغِيرٍ تُعَظِّمُهُ النِّيَّةُ، وَرُبَّ عَمَلٍ كَبِيرٍ تُصَغِّرُهُ النِّيَّةُ، وَقَالَ ابْنُ عَجْلَانَ: لَا يَصْلُحُ الْعَمَلُ إِلَّا بِثَلَاثٍ: التَّقْوَى لِلَّهِ، وَالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ، وَالْإِصَابَةِ.

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْكَ نِيَّتَكَ وَإِرَادَتَكَ.

وَقَوْلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ: **«وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى... فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ »** إِخْبَارٌ أَنَّهُ لَا يَحْصُلُ لَهُ مِنْ عَمَلِهِ إِلَّا مَا نَوَاهُ بِهِ، فَإِنْ نَوَى خَيْرًا حَصَلَ لَهُ خَيْرٌ، وَإِنْ نَوَى بِهِ شَرًّا حَصَلَ لَهُ شَرٌّ، وَلَيْسَ هَذَا تَكْرِيرًا مَحْضًا لِلْجُمْلَةِ الْأُولَى، فَإِنَّ الْجُمْلَةَ الْأُولَى دَلَّتْ عَلَى أَنَّ صَلَاحَ الْعَمَلِ وَفَسَادَهُ بِحَسَبِ النِّيَّةِ الْمُقْتَضِيَةِ لِإِيجَادِهِ، وَالْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ ثَوَابَ الْعَامِلِ عَلَى عَمَلِهِ بِحَسَبِ نِيَّتِهِ الصَّالِحَةِ، وَأَنَّ عِقَابَهُ عَلَيْهِ بِحَسَبِ نِيَّتِهِ الْفَاسِدَةِ.[1]

[1] انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ٦٥)وشرح صحيح البخارى لابن بطال (١/ ٣١).

والظاهر أن الحكمة من البدء بهذا الحديث التنبيه على الإخلاص وتصحيح النية من كل طالب علم ومعلم أو متعلم وأن طالب العلم عامة والحديث خاصة بمنزلة المهاجر إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم،فلابد له من تصحيح النية.

اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل ؛ وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

## الْمُقدمَة

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

وَبِهِ ثِقَتِي وَعَلَيْهِ اعْتِمَادِي رَبِّ يَسِّرْ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.[1]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ النساء: (١)
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيما ﴾الأحزاب: (٧٠ ، ٧١) .

[1] أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رقم( ٨٦٨).

أَمَّا بَعْدُ؛ فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ وشر الأمورِ محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكل بدعة ضلالةٌ، وكل ضلالةٍ في النار وبعد.

فإن من أنفع ما ينتفع به المرء في دينه ودنياه، الاشتغال بكلام الله عز وجل ، تلاوة وتجويداً، وحفظاً وتفسيراً، وعملاً وتدبُّراً لقَوْلِهِ تَعالَى:{ كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ }[ ص: ٢٩] قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطبري وَقَوْلُهُ: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ} يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَهَذَا الْقُرْآنُ {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ} يَا مُحَمَّدُ {مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} [ص: ٢٩] يَقُولُ: لِيَتَدَبَّرُوا حُجَجَ اللَّهِ الَّتِي فِيهِ، وَمَا شَرَعَ فِيهِ مِنْ شَرَائِعِهِ، فَيَتَّعِظُوا وَيَعْمَلُوا بِهِ ،{وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الألْبَابِ}[ ص: ٢٩] أَيْ: ولِيَتَدَبَّرَ هَذَا الْقُرْآنَ ذَوُو الْعُقُولِ وَالْأَلْبَابُ جَمْعُ لُبٍّ، وَهُوَ العقل.

ولقَوْلِهِ تَعالَى:{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: ٨٢] قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ} أي: أَفَلَا يَتَدَبَّرُ الْمُبَيِّتُونَ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ كِتَابَ اللَّهِ , فَيَعْلَمُوا حُجَّةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي طَاعَتِكَ وَاتِّبَاعِ أَمْرِكَ , وَأَنَّ الَّذِي أَتَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ التَّنْزِيلِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ , لِاتِّسَاقِ مَعَانِيهِ وَائْتِلَافِ أَحْكَامِهِ وَتَأْيِيدِ بَعْضِهِ بَعْضًا بِالتَّصْدِيقِ , وَشَهَادَةِ بَعْضِهِ لِبَعْضٍ بِالتَّحْقِيقِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَاخْتَلَفَتْ أَحْكَامُهُ وَتَنَاقَضَتْ مَعَانِيهِ وَأَبَانَ بَعْضُهُ عَنْ فَسَادِ بَعْضٍ.[1]

وقَالَ تَعَالَى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٤] قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أَفَلَا يَتَدَبَّرُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ مَوَاعِظَ اللَّهِ الَّتِي يَعِظُهُمْ بِهَا فِي آيِ الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي حُجَجِهِ الَّتِي بَيَّنَهَا لَهُمْ فِي تَنْزِيلِهِ فَيَعْلَمُوا بِهَا خَطَأَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مُقِيمُونَ {أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٤] يَقُولُ: أَمْ أَقْفَلَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يَعْقِلُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْعِبَرِ.[2]

وقَالَ تَعَالَى:{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر: ١٧] قَالَ الْحَسَنُ: فَهَلْ مِنْ خَائِفٍ يَتَذَكَّرُ، وقَالَ وَاللَّهِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةً إِلَّا أَحَبَّ أَنْ يُعْلَمَ فيما أنزلت وما يعني بها، وقَالَ

---

[1] انظر: تفسير الطبري (٢٥١/٧)، شرح العقيدة الطحاوية ص (٥٠٤).

[2] انظر: تفسير الطبري (٢١٦/٢١).

مُجَاهِدٌ: أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَعْلَمُهُمْ بِمَا أُنْزِلَ.
وقال الشعبي: رَحَلَ مَسْرُوقٌ إِلَى الْبَصْرَةِ فِي تَفْسِيرِ آيَةٍ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَ الَّذِي يُفَسِّرُهَا رَحَلَ إِلَى الشَّأْمِ، فَتَجَهَّزَ وَرَحَلَ إِلَى الشَّأْمِ حَتَّى عَلِمَ تَفْسِيرَهَا.
وَقَالَ الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ.
وفي الصحيحين من حديث عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ».[1]
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ مَسْعُودٍ: نِعْمَ تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ.
وكان ابن عباس يبدأ في مجلسه بالقرآن، ثم بالتفسير، ثم بالحديث ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ عَنِ المَرْأَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَظَاهَرَتَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَكَثْتُ سَنَةً، فَلَمْ أَجِدْ لَهُ مَوْضِعًا حَتَّى خَرَجْتُ مَعَهُ حَاجًّا، فَلَمَّا كُنَّا بِظَهْرَانَ ذَهَبَ عُمَرُ لِحَاجَتِهِ، فَقَالَ: أَدْرِكْنِي بِالوَضُوءِ فَأَدْرَكْتُهُ بِالإِدَاوَةِ، فَجَعَلْتُ أَسْكُبُ عَلَيْهِ المَاءَ، وَرَأَيْتُ مَوْضِعًا فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، مَنِ المَرْأَتَانِ اللَّتَانِ تَظَاهَرَتَا؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَمَا أَتْمَمْتُ كَلاَمِي حَتَّى قَالَ: عَائِشَةُ، وَحَفْصَةُ.[2]
وَقَالَ عِكْرِمَةُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا }[النساء: ١٠٠] طلبت اسم هذا الرجل -الذي خرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله- أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً حَتَّى وَجَدْتُهُ، وَالَّذِي ذَكَرَهُ عِكْرِمَةُ هُوَ: ضَمْرَةُ بْنُ الْعِيصِ، أَوِ العيص بن ضَمْرَةَ بْنِ زِنْبَاعٍ، حَكَاهُ الطَّبَرِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ.
وَقَالَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: مَثَلُ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ تَفْسِيرَهُ، كَمَثَلِ قَوْمٍ جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ مَلِكِهِمْ لَيْلًا وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مِصْبَاحٌ، فَتَدَاخَلَتْهُمْ رَوْعَةٌ وَلَا يَدْرُونَ مَا فِي الْكِتَابِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَعْرِفُ التَّفْسِيرَ كَمَثَلِ رَجُلٍ جَاءَهُمْ بِمِصْبَاحٍ فَقَرَءُوا ما في الكتاب.

[1] أخرجه البخاري رقم (٤٩١٥)واللفظ له، ومسلم رقم (٢٤٦٣).
[2] أخرجه البخاري رقم (٤٩١٥).

وقال الطبري: "إني لأعجَبُ ممن قرأ القرآن ولم يعلَم تأويلَه، كيف يلتذُّ بقراءته؟ .[1]
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ: إِنِّي لأَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَأَنْظُرُ فِي آيَةٍ آيَةٍ فَيَحَارُ عَقْلِي فِيهَا ، وَأَعْجَبُ مِنْ حُفَّاظِ الْقُرْآنِ ، كَيْفَ يُهْنِيهِمُ النَّوْمُ وَيُسِيغُهُمْ أَنْ يَشْتَغِلُوا بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ كَلامَ الرَّحْمَنِ ،أَمَا لَوْ فَهِمُوا مَا يَتْلُونَ وَعَرَفُوا حَقَّهُ وَتَلَذَّذُوا بِهِ وَاسْتَحَلُّوا الْمُنَاجَاةَ ،لَذَهَبَ عَنْهُمُ النَّوْمُ فَرَحًا بِمَا رُزِقُوا وَوُفِّقُوا.[2]
وقولَه تَعالَى:{وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} [الزُّخْرُف: ٤٤] قَالَ السُّدِّيِّ أي: شَرَفٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ، يَعْنِي الْقُرْآنَ .
وفي الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُبَيٍّ: " إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ} [البينة: ١] قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَبَكَى.[3]
قال النووي في الشرح: وَفِي رِوَايَةٍ فجعل يَبْكِي، أَمَّا بُكَاؤُهُ فَبُكَاءُ سُرُورٍ وَاسْتِصْغَارٍ لِنَفْسِهِ عَنْ تَأْهِيلِهِ لِهَذِهِ النِّعْمَةِ وَإِعْطَائِهِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ، وَالنِّعْمَةُ فِيهَا مِنْ وَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا كَوْنُهُ مَنْصُوصًا عَلَيْهِ بِعَيْنِهِ، وَلِهَذَا قَالَ وَسَمَّانِي، مَعْنَاهُ نَصَّ عَلَيَّ بِعَيْنِي ؛ أَوْ قَالَ اقْرَأْ عَلَى وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ، قَالَ بَلْ سَمَّاكَ فَتَزَايَدَتِ النِّعْمَةُ، وَالثَّانِي قِرَاءَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهَا مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لَهُ لَمْ يُشَارِكْهُ فِيهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ.(٤)
وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٥).
قال ابن كثير: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضِيلَةٌ عَظِيمَةٌ لِلْقُرْآنِ الْمَجِيدِ عَلَى كُلِّ مُعْجِزَةٍ أُعْطِيَهَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَعَلَى كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ مَعْنَى الْحَدِيثِ: مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ مَا آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، أَيْ: مَا كَانَ دَلِيلًا عَلَى تَصْدِيقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ وَاتَّبَعَهُ مَنِ

---

[1] انظر: تفسير الطبري (١/ ١٠) ،تفسير القرطبي (٢٦/١).

[2] انظر: حلية الأولياء رقم (١٤٨٩٧).

[3] أخرجه البخاري برقم (٣٨٠٩) واللفظ له، ومسلم رقم (٣٥٩٨) .

(٤)انظر: شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢١).

(٥) أخرجه البخاري برقم (٤٩٨١) واللفظ له، ومسلم رقم (١٥٢).

اتَّبَعَهُ مِنَ الْبَشَرِ، ثُمَّ لَمَّا مَاتَ الْأَنْبِيَاءُ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ مُعْجِزَةٌ بَعْدَهُمْ إِلَّا مَا يَحْكِيهِ أَتْبَاعُهُمْ عَمَّا شَاهَدُهُ فِي زَمَانِهِ، فَأَمَّا الرَّسُولُ الْخَاتَمُ لِلرِّسَالَةِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّمَا كَانَ مُعْظَمُ مَا آتَاهُ اللَّهُ وَحيًا مِنْهُ إِلَيْهِ، مَنْقُولًا إِلَى النَّاسِ بِالتَّوَاتُرِ، فَفِي كُلِّ حِينٍ هُوَ كَمَا أُنْزِلَ، فَلِهَذَا قَالَ: «**فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا**»، وَكَذَلِكَ وَقَعَ ، فَإِنَّ أَتْبَاعَهُ أَكْثَرُ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ لِعُمُومِ رِسَالَتِهِ وَدَوَامِهَا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ وَاسْتِمْرَارِ مُعْجِزَتِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {تَبَارَكَ الَّذِي نزلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا} [الْفُرْقَانِ: ١].

وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الْإِسْرَاءِ: ٨٨]، ثُمَّ تَقَاصَرَ مَعَهُمْ إِلَى عَشْرِ سُوَرٍ مِنْهُ، فَقَالَ: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [هُودٍ: ١٣] ثُمَّ تَحَدَّاهُمْ إِلَى أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَعَجَزُوا، فَقَالَ: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [يُونُسَ: ٣٨]، وقالُ تَعَالَى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نزلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [الْبَقَرَةِ: ٢٣، ٢٤] فَأَخْبَرَهُمْ سبحانه بِأَنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ، وَأَنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، هَذَا وَهُمْ أَفْصَحُ الْخَلْقِ وَأَعْلَمُهُمْ بِالْبَلَاغَةِ وَالشِّعْرِ وَقَرِيضِ الْكَلَامِ وَضُرُوبِهِ، لَكِنْ جَاءَهُمْ من الله مالا قِبَلَ لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ به ،مِنَ الْكَلَامِ الْفَصِيحِ الْبَلِيغِ الْوَجِيزِ الْمُحْتَوِي عَلَى الْعُلُومِ الْكَثِيرَةِ الصَّحِيحَةِ النَّافِعَةِ وَالْأَخْبَارِ الصَّادِقَةِ عَنِ الْغُيُوبِ الْمَاضِيَةِ وَالْآتِيَةِ، وَالْأَحْكَامِ الْعَادِلَةِ وَالْمُحْكَمَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا} [الْأَنْعَامِ: ١١٥].[1]

وحِينَ قَالَوا في قوله تعالي: {قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا} [الأنفال: ٣١] قال ابن كثير: وَهَذَا مِنْهُمْ قَوْلٌ لَا فِعْلٌ؛ وَإِلَّا فَقَدْ تُحُدُّوا غَيْرَ مَا مَرَّةٍ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَلَا يَجِدُونَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، وَقِيلَ: إِنَّ الْقَائِلَ لِذَلِكَ هُوَ: النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ.

وفي قوله تعالي:{لَوْ أَنْزَلْنا هذا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }(الحشر:٢١) قال ابن كثير : يَقُولُ تَعَالَى مُعَظِّمًا لِأَمْرِ الْقُرْآنِ وَمُبَيِّنًا عُلُوَّ قَدْرِهِ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَخْشَعَ لَهُ الْقُلُوبُ وَتَتَصَدَّعَ عِنْدَ سَمَاعِهِ

[1] انظر: تفسير ابن كثير (٢٠/١).

؛ لما فيه من الوعد الحق وَالْوَعِيدِ الْأَكِيدِ {لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ على جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} أي: فإذا كَانَ الْجَبَلُ فِي غِلْظَتِهِ وَقَسَاوَتِهِ لَوْ فَهِمَ هَذَا الْقُرْآنَ فَتَدَبَّرَ مَا فِيهِ لَخَشَعَ وَتَصَدَّعَ مِنْ خَوْفِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَكَيْفَ يَلِيقُ بكم أيها البشر أن لا تَلِينَ قُلُوبُكُمْ وَتَخْشَعَ وَتَتَصَدَّعَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَدْ فَهِمْتُمْ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ وَتَدَبَّرْتُمْ كِتَابَهُ، وَلِهَذَا قَالَ تَعالَى:{وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}(الحشر:٢١).

وقال شيخ الإسلام عن أهمية التفسير: وَحَاجَةُ الْأُمَّةِ مَاسَّةٌ إلَى فَهْمِ الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ؛ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسُنُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ؛ وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِر، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ ، وَمَنْ دَعَا إلَيْهِ هُدِيَ إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ؛ وَمَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ.[1]

وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ لتلاوتهم التوراة تلاوة مجردة ، ولعدم تدبرهم الكتاب، فقَالَ تَعَالَى: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ } [البقرة: ٧٨] قال مُجَاهِدٍ: إنَّ الْأُمِّيِّينَ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُمْ لَا يَفْقَهُونَ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى مُوسَى شَيْئًا، وَلَكِنَّهُمْ يَتَخَرَّصُونَ الْكَذِبَ وَيَتَقَوَّلُونَ الْأَبَاطِيلَ كَذِبًا وَزُورًا ، قَوْلَهُ: {إِلَّا أَمَانِيَّ} وَالتَّمَنِّي فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، هُوَ تَخَلُّقُ الْكَذِبِ وَتَخَرُّصُهُ وَافْتِعَالُهُ، يُقَالُ مِنْهُ تَمَنَّيْتُ كَذَا: إِذَا افْتَعَلْتُهُ وَتَخَرَّصْتُهُ ، قَوْلُه: {وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} فَأَخْبَرَ عَنْهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُمْ يَتَمَنَّوْنَ مَا يَتَمَنَّوْنَ مِنَ الْأَكَاذِيبِ ظَنًّا مِنْهُمْ لَا يَقِينًا.

وقال ابن عثيمين –رحمه الله- فإن مِنْ أَهَمِّ وَاجِبَاتِ المُسلمِينَ أَنْ يَعرِفُوا معْنَى كلَامِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعالى؛ لأنَّ الكَلَامَ إِذَا لَمْ يُفهَمْ معْنَاهُ لَا يُنتفَع بِهِ، والَّذِي يَقْرأُ ولَا يَفْهَمُ بمنْزِلَةِ الأُمِّيِّ الَّذِي لَا يَقْرَأُ، كَمَا قَال اللهُ عَزَّ وَجلَّ: {وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إلا أَمَانِيَّ} [البقرة: ٧٨] أي: إلا قِرَاءَةً، فسَمَّاهُم اللهُ أُمِّيِّينَ.

والقُرآنُ يُفَسَّر بالقُرآن، فإنْ لَمْ يَكُنْ فبالسُّنَّةِ، فإنْ لَمْ يَكُنْ فبأَقْوَالِ الصَّحابَةِ، ولا سِيَّما المَشهُورُون مِنْهُم بعِلْمِ التَّفسِير، فإنْ لَمْ يَكُنْ فبِمَا قَالَهُ كِبَارُ التَّابعِينَ مِنْ أَهْلِ التَّفسِير، هَذِهِ هِيَ القَاعدَةُ الَّتِي مَشَى عَلَيهَا أَهْلُ السُّنَّة والجَمَاعَةُ.[2]

---

[1] انظر: مقدمة في أصول التفسير (ص: ١١).

[2] انظر: تفسير العثيمين (ص: ٧).

فيجب علي كل مسلم قاريء يحرص علي أن يقرأ كتاب الله -عز وجل -بتفقه وتدبر ومعرفة تفسيره، وذلك بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ ، ليكون متبعًا لآثار الصحابة ، فإنهم كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا يُجَاوِزُونَ الْعَشْرَ حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ؛ وقَالَوا: فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعاً، رزقنا الله وإياكم العلم والعمل بفضله وكرمه.

**والقرآنُ الكريمُ هو الميزانُ الواضح لحال الأمة الإسلامية**، فكلَّما اهتدت بهداه وعملت به في جميع شؤونها سَعِدت وعزَّ جانبها، وكلما ابتعدت عنه وضَعفَ استمساكها به، ابتُليت بالذلة والتفرُّق وتداعي الأمم عليها.

وقال ابن عثيمين -رحمه الله-والغرض من تعلم التفسير هو الوصول إلى الغايات الحميدة والثمرات الجليلة، وهي التصديق بأخباره والانتفاع بها وتطبيق أحكامه على الوجه الذي أراده الله؛ ليُعبَدَ اللَّهُ بها على بصيرة.

والواجب على المسلم في تفسير القرآن أن يُشعِر نفسه حين يُفَسر القرآن بأنه مترجم عن الله تعالى، شاهد عليه بما أراد من كلامه فيكون مُعظِّماً لهذه الشهادة خائفاً من أن يقول على الله بلا علم، فيقع فيما حرم الله، فَيُخزَى بذلك يوم القيامة، قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} (الأعراف: ٣٣) ، وقال تعالى:{ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ} (الزمر: ٦٠)فأعوذ بالله من ذلك.

هذا وقد التزمت بجمع هذا التفسير من تفاسير سلفنا الصالح، كجامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمْنِين، وتفسير عبد الرزاق الصنعاني، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير، والفتح القدير للشوكاني،وتفسير العثيمين، وأيسر التفاسير للجزائري ، ومن كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ من صحيح الإمام البخاري، ومن كتاب التَّفْسِيرِ من صحيح الإمام مسلم وغيرها من كتب الحديث، ومن التفاسير الموافقة لعقيدة أهل السنة الجماعة، وأكثر ما نقلت عن أبي جعفر الطبري، وابن كثير، والبغوي ،والشوكاني ومن كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ من صحيح الإمام البخاري، ومن كتاب التَّفْسِيرِ من

صحيح الإمام مسلم، وكانت غايتي في جمع هذا التفسير هي جمع الفوائد من كل التفاسير بإسلوب يفهمه أهل العصر ، والاختصار إلا في بعض الآيات، والتوضيح والبيان، **ولا أقول فيه برأي، ولكني ناقلٌ** لأراء سلفنا الصالح وعلمائِنا الأجلاء، وتجنبت الضعيف ما استطعت.

وأصدر تفسير الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بالحديث المتفق عليه من حديث عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».**[1]

وذلك اقتدائا بالإمام البخاري –رحمه الله-فقد صَدَّرَ الْبُخَارِيُّ كِتَابَهُ " الصَّحِيحَ "بهذا الحديث وَأَقَامَهُ مَقَامَ الْخُطْبَةِ لَهُ؛ إِشَارَةً مِنْهُ إِلَى أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ ؛ لَا ثَمَرَةَ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ،والله أسألُ أنْ يَنْفعَ به ، وأنْ يجْعَلَهُ خالصًا لِوجْهِهِ الْكَرِيم، وأنْ يَكُونَ من الثَّلاث التي لا يَنْقطِعُ عَمَلُ ابْنِ آدمَ إذا مات إلا مِنْها، وأنْ يكْتُبَ لجميع من أسْهَمَ فيه الأجْرَ والمثوبَةَ إنه وَلِيُّ ذلك والقادِرُ عليه ،والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

وجمعه الراجي عفو ربه ورضوانه

**د. سيد بن رجب جيوشي**

**في مكة المكرمة١٥ من ذي الحجة١٤٣٩هـ**

[1] أخرجه البخاري رقم(١) واللفظ له ،ومسلم رقم(١٩٠٧).

## (١) سُورَةُ الْفَاتِحَةِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سَبْعٌ

وَهِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ لأَنَّهُ يُبْدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَيُبْدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلاَةِ، ولَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلاَ فِي الإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا، وَإِنَّهَا السَبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ الْعَظِيمُ ،وَقَالَ مُجَاهِدٌ سُمِّيَتْ مَثَانِيَ ! لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اسْتَثْنَاهَا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فَذَخَرَهَا لَهُمْ،وَيُقَالُ لَهَا: الْحَمْدُ، وَيُقَالُ لَهَا: الصَّلَاةُ، وَيُقَالُ لَهَا: الرُّقْيَةُ، وَهي أُمُّ الْكِتَابِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ.

أخرج البخاري في صحيحه بسنده ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أُمُّ القُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ»**.[١]

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي المَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: " أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: **{اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}** [الأنفال: ٢٤]، ثُمَّ قَالَ لِي: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ»، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ»، قَالَ: {الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ} [الفاتحة: ٢] «هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ».(٢)

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعَ نَقِيضًا[٣] مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: " هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: **فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ**، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ ".[٤]

وفي الصحيحين منْ حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فَنَزَلْنَا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الحَيِّ سَلِيمٌ[٥]، وَإِنَّ نَفَرَنَا غَيْبٌ[١]، فَهَلْ مِنْكُمْ رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ[٢] مَا

---

[١] أخرجه البخاري رقم(٤٧٠٤).
(٢)أخرجه البخاري رقم(٤٤٧٤).
[٣]( نَقِيضًا)أي: صوتا كصوت الباب إذا فتح.
[٤] أخرجه مسلم رقم (٨٠٦).
[٥] (سليم) أي: لديغ، قالوا سمي بذلك تفاؤلا بالسلامة، وقيل: لأنه مستسلم لما به.

كُنَّا نَأْبُنُهُ[3] بِرُقْيَةٍ، فَرَقَاهُ فَبَرَأَ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ شَاةً، وَسَقَانَا لَبَنًا، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا لَهُ: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً- أَوْ كُنْتَ تَرْقِي؟- قَالَ: لاَ، مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِأُمِّ الكِتَابِ، قُلْنَا: لاَ تُحْدِثُوا شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيَ- أَوْ نَسْأَلَ- النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ».[4]

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ»[5] ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ، فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: «اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ»؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: ٢] قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة: ٣] قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[الفاتحة: ٤] قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي- وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي- فَإِذَا قَالَ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} [الفاتحة:٦- ٧] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ.[6]

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سُئِلَ أَنَسٌ كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: «كَانَتْ مَدًّا»، ثُمَّ قَرَأَ: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} يَمُدُّ بِبِسْمِ اللَّهِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ.[7]

{أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}

وَالِاسْتِعَاذَةُ سُنَّةٌ عِنْدَ القِرَاءَةِ لقَوْلِهِ تَعَالَى:{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ

---

[1] (نفرنا) رجالنا، (غيب) جمع غائب.
[2] وَالرجل الَّذِي رقى هُوَ: أَبُو سعيد الْخُدْرِيّ رَاوِي الحَدِيث، قاله ابن الجوزي في كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ١٥٤).
[3] (نأبنه) بكسر الباء وضمها أي:نظنه ،وأكثر ما يستعمل هذا اللفظ بمعنى نتهمه ،ولكن المراد هنا نظنه.
[4] أخرجه البخاري رقم (٥٠٠٧)،واللفظ له ،ومسلم رقم (٢٢٠١)، (واضربوا لي بسهم) أي: بنصيب ،فعله تطييبًا لقلوبهم.
[5] "فهي خداج": بكسر الخاء المعجمة، أي: ناقصة غير تامة.
[6] أخرجه مسلم رقم (٣٩٥).
[7] أخرجه البخاري رقم (٥٠٤٦).

الرَّجِيم}[النحل: ٩٨] قال أبو جعفر وَالِاسْتِعَاذَةُ بمعني: الِاسْتِجَارَةُ، وَتَأْوِيلُ قَوْلِ الْقَائِلِ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أي: أَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، أَنْ يَضُرَّنِي فِي دِينِي، أَوْ يَصُدَّنِي عَنْ حَقٍّ يَلْزَمُنِي لِرَبِّي.(١)

والشيطان فِي لُغَةِ الْعَرَبِ مُشْتَقٌّ مِنْ شَطَنَ إِذَا بَعُدَ، فَهُوَ بَعِيدٌ بِطَبْعِهِ عَنْ طِبَاعِ الْبَشَرِ وَبَعِيدٌ بِفِسْقِهِ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ ، وَلِهَذَا يُسَمُّونَ كل من تَمَرَّدَ مِنْ جِنِّيٍّ وَإِنْسِيٍّ وَحَيَوَانٍ شَيْطَانًا،و لقوله تَعَالَى: **{وَكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً }**[الْأَنْعَامِ: ١١٢]، {الرَّجِيم} فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ أَيْ: أَنَّهُ مَرْجُومٌ مَطْرُودٌ عَنِ الْخَيْرِ كُلِّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:**{ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَجَعَلْناها رُجُوماً لِلشَّياطِينِ}** [الْمُلْكِ: ٥].[٢]

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم}

{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)}.

قال ابن كثير: قيل فِي الْبَسْمَلَةِ هَلْ هِيَ آيَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ مِنْ أَوَّلِهَا كَمَا هُوَ عِنْدَ جمهور قراء الكوفة وقول جماعة مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَخَلْقٌ مِنَ الْخَلَفِ، أَوْ بَعْضُ آيَةٍ ،أَوْ لَا تُعَدُّ مِنْ أَوَّلِهَا بِالْكُلِّيَّةِ كَمَا هُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ القراء والفقهاء :على ثلاثة أقوال،وقال: فأما الجهر بها -فِي الصلاة- فَمُفَرَّعٌ عَلَى هَذَا، وقد أَجْمَعُوا عَلَى صِحَّةِ صَلَاةِ مَنْ جَهَرَ بِالْبَسْمَلَةِ وَمَنْ أَسَرَّ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.[٣]

قَوْلُهُ تَعَالَى:{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم} [الفاتحة: ١] قوله: {بِسْمِ اللَّهِ }أي: باسْمِ اللَّهِ ابْتِدَائِي، وقيل: أبدأ باسم الله، أو ابتدأت باسم الله،قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: إِنَّ اللَّهَ عز وجل، أَدَّبَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَعْلِيمِهِ تَقْدِيمَ ذِكْرِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى أَمَامَ جَمِيعِ أَفْعَالِهِ، وَمُقَدَّمٌ إِلَيْهِ فِي وَصْفِهِ بِهَا قَبْلَ جَمِيعِ مُهِمَّاتِهِ، وَجَعَلَ مَا أَدَّبَهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ وَعَلَّمَهُ إِيَّاهُ مِنْهُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ سُنَّةً يَسْتَنُّونَ بِهَا، وَسَبِيلاً يَتَّبِعُونَهُ عَلَيْهَا، فِي افْتِتَاحِ أَوَائِلِ مَنْطِقِهِمْ وَصُدُورِ رَسَائِلِهِمْ وَكُتُبِهِمْ

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٠٩).
[٢] انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٣١).
[٣] انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٣٥).

وَحَاجَاتِهِمْ؛ حَتَّى أَغْنَتْ دَلاَلَةُ مَا ظَهَرَ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ {بِسْمِ اللَّهِ}.

قَوْلُهُ:{اللهِ}الذي لاَ مَعْبُودَ بِحقٍّ سِوَاهُ، الْمُتَّصِفِ بِكلِّ كَمَالٍ، الْمُنَزَّهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، و{الله}عَلَمٌ لِذَاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ لَمْ يُطْلَقْ عَلَى غَيْرِهِ، المستحقٌّ للعبادةِ، واسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ هُوَ اللهُ وهُوَ الَّذِي يَأْلَهُهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَيَعْبُدُهُ كُلُّ خَلْقٍ.[1]

و" الْإِلَهَ " هُوَ: الْمَأْلُوهُ، وَالْمَأْلُوهُ هُوَ: الَّذِي يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ، وَكَوْنُهُ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ هُوَ بِمَا اتَّصَفَ بِهِ مِنْ الصِّفَاتِ الَّتِي تَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَحْبُوبُ غَايَةَ الْحُبِّ، الْمَخْضُوعِ لَهُ غَايَةَ الْخُضُوعِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى:{الرَّحْمَنِ}اسم من أسماء الله الحسنى لقوله تَعَالَى:**{قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى }** [الإسراء: ١١٠] ومعناه : ذو الرَّحمة التي لا غاية بعدها في الرّحمة ، الذي وسعت رحمتُه كلَّ شيء ، الذي يُزيح العلل ويُزيل الكروب ، العطوفُ على عباده بالإيجاد أوّلاً ، وبالهداية إلى الإيمان وأسباب السّعادة ثانيًا ، وبالإسعاد في الآخرة ثالثًا ، و{الرَّحْمَنِ}:اسم سورة من سور القرآن الكريم .

قال البخاري في قَوْله:{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}: «اسْمَانِ مِنَ الرَّحْمَةِ، الرَّحِيمُ وَالرَّاحِمُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، كَالعَلِيمِ وَالعَالِمِ»[2]، فَـ{الرَّحْمَنُ} مَنْ تَصِلُ رَحْمَتُهُ إِلَى الْخَلْقِ عَلَى الْعُمُومِ، وَ{الرَّحِيمُ }مَنْ تَصِلُ رَحْمَتُهُ إِلَيْهِمْ عَلَى الْخُصُوصِ، وَلِذَلِكَ يُدْعَى غَيْرُ اللَّهِ رَحِيمًا وَلَا يُدْعَى غَيْرُ اللَّهِ رَحْمَنَ.

قَوْلُهُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ} قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: ثَنَاءٌ أَثْنَى بِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَفِي ضِمْنِهِ أَمَرَ عِبَادَهُ أَنْ يُثْنُوا عَلَيْهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: قُولُوا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ} لِأَنَّهُ أَهْلُ الْحَمْدِ، وَالْحَمْدُ يَكُونُ بِمَعْنَى الشُّكْرِ عَلَى النِّعْمَةِ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى الثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِمَا فِيهِ مِنَ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ.

قال ابن كثير: وَالْأَلِفُ وَاللَّامُ فِي{الْحَمْدُ} لِاسْتِغْرَاقِ جَمِيعِ أَجْنَاسِ الْحَمْدِ، وَصُنُوفِهِ لِلَّهِ تَعَالَى، و{الْحَمْدُ لِلَّهِ} على أنها جملة اسمية تفيد ديمومة الحمد واستمراره وثباته أُلْحِقَتْ بالجار والمجرور {لِلَّهِ} الدالة على فن الِاخْتِصَاصُ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ الْمَحَامِدِ مُخْتَصَّةٌ بِهِ سبحانه وتعالى، وقيل: اللَّامُ فِيهِ لِلِاسْتِحْقَاقِ-يستحق الحمد- كَمَا يُقَالُ الدَّارُ لِزَيْدٍ.

و قَوْلُهُ {رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة: ٢] قَالَ فِي الصِّحَاحِ: الرَّبُّ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى،

---

[1] انظر: تفسير الطبري (١/ ١٢١).
[2] ذكره البخاري تعليقا (١٧/٦).

وَلَا يُقَالُ فِي غَيْرِهِ إِلَّا بِالْإِضَافَةِ، وقَالَ أَبُو جَعْفَرِ الطبري: فَرَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ السَّيِّدُ الَّذِي لَا شِبْهَ لَهُ، وَلَا مَثَلَ فِي سُؤْدُدِهِ، وَالْمُصْلِحُ أَمْرَ خَلْقِهِ بِمَا أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَالْمَالِكُ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ،{الْعَالَمِينَ} جَمْعُ الْعَالَمِ، وَهُوَ كُلُّ مَوْجُودٍ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى.[1]

وقَوْلُهُ:{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفاتحة: ٣] قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أَمَّا {الرَّحْمنِ}فَهُوَ فَعْلَانَ، مِنْ رَحِمَ، مختصًّا باللهِ لا يوصَفُ به غيره، ولهذا قال تعالى :**{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}** [طه: ٥] فَذَكَرَ الاسْتِوَاءَ بِاسْمِهِ {الرَّحْمنِ} لِيَعُمَّ جَمِيعَ خَلْقِهِ برحمته، وَ{الرَّحِيْم}فَعِيلٌ مِنْهُ، وعَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: هَذَانِ الاسْمَانِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ مَمْنُوعَانِ؛ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ أَنْ يَنْتَحِلَهُمَا: {اللَّهُ، وَالرَّحْمَنُ}.

وقَوْلُهُ:{الرَّحِيْم} بِالْمُؤْمِنِينَ،ولهذا قال:**{وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}** [الأحزاب: ٤٣] فخصهم باسمه {الرَّحِيْم}، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ {الرَّحْمنِ} أَشَدُّ مُبَالَغَةً فِي الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه، و {الرَّحِيْم} خاصة بالمؤمنين.

وفي الصحيحين من حديث أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ».[2]

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ بسنده ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ».[3]

وقَوْلُهُ:{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[الفاتحة: ٤] يَقُولُ: لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَعَهُ حُكْمًا، كَمِلْكِهِمْ فِي الدُّنْيَا، أَيْ: مَالِكُهُ الَّذِي يَمْلِكُهُ، قَالَ قَتَادَةُ:{ يَوْمِ الدِّينِ} يَوْم يَدِينُ اللَّهُ النَّاس فِيهِ بأعمالهم.

قَالَ يَحْيَى: مَنْ قَرَأَ {مَلِكِ} فَهُوَ مِنْ بَابِ: الْمُلْكِ؛ يَقُولُ: هُوَ مَلِك ذَلِكَ الْيَوْمِ، وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُقَاتِلٌ وَالسُّدِّيُّ: مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ قَاضِي يَوْمِ الْحِسَابِ.

[1] انظر:تفسير الطبري (١/ ١٤٣)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١/ ١١٨)، تفسير ابن كثير (١/ ١٣١)، تفسير الجلالين (ص: ٢)، فتح القدير للشوكاني (١/ ٢٥).

[2] أخرجه البخاري رقم (٦٠٠٠) واللفظ له ، و مسلم رقم ( ٢٧٥٢).

[3] أخرجه مسلم رقم (٢٧٥٥).

وقَال الْبُخَارِيُّ قَوْلُهُ تعالي: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[الفاتحة: ٤] و{الدِّينِ} الجَزَاءُ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ، كَمَا تَدِينُ تُدَانُ.[١]

وقَوْلُهُ تعالي: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥] و {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} أَيْ: نُوَحِّدُكَ وَنُطِيعُكَ خَاضِعِينَ، وإِقْرَارًا لَكَ يَا رَبَّنَا بِالرُّبُوبِيَّةِ لَا لِغَيْرِكَ.

وَالْعِبَادَةُ : الطَّاعَةُ مَعَ التَّذَلُّلِ وَالْخُضُوعِ، وَالْعِبَادَةُ تَتَضَمَّنُ غَايَةَ الْحُبِّ بِغَايَةِ الذُّلِّ ، وَسُمِّيَ الْعَبْدُ عَبْدًا لِذِلَّتِهِ وَانْقِيَادِه ، وذكر- سبحانه- نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعبودية في أشرف مقاماته، في مقام الإسراء والمعراج حيث قال:**{ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ }**وفي غيرها يذكره سبحانه وتعالي:**{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ}**و **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ }**،وقدم العبادة على الاستعانة، من باب تقديم العام على الخاص، واهتماما بتقديم حقه تعالى على حق عبده.

وقَوْلُهُ تعالي:{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} وَإِيَّاكَ رَبَّنَا نَسْتَعِينُ عَلَى عِبَادَتِنَا إِيَّاكَ ، وَكُرِّرَ{إِيَّاكَ} لِلِاهْتِمَامِ وَالْحَصْرِ، أَيْ: لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ، وَلَا نَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْكَ، وَهَذَا هُوَ كَمَالُ الطَّاعَةِ،{وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} لأنك كريم مجيد، إِيَّاكَ نَعْبُدُ لأنك المعبود بالحقيقة ، وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ لأننا العباد، وَالدِّينُ يَرْجِعُ كُلُّهُ إِلَى هَذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ، وَ كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الْفَاتِحَةُ سِرُّ الْقُرْآنِ، وَسِرُّهَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[الفاتحة: ٥] **فَالْأَوَّلُ:** تَبَرُّؤٌ مِنَ الشِّرْكِ، **وَالثَّانِي:** تَبَرُّؤٌ مِنَ الْحَوْلِ والقوة والتفويض إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.[٢]

**و قال ابن القيم -رحمه الله- قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ:** تَأَمَّلْتُ أَنْفَعَ الدُّعَاءِ فَإِذَا هُوَ سُؤَالُ الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِهِ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي الْفَاتِحَةِ فِي { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}؛ وكثيرا ما سمعت شيخ الإسلام -قدس الله روحه- يقول: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} تدفع الرياء، و { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} تدفع الكبرياء.(٣)

و قَوْلُهُ:{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: ٦] والمراد بـ "الهداية" هداية الإرشاد، وهداية التوفيق، أي: ارشِدنا الطريقَ القائمَ الذي ترضاهُ؛ وهو الإسلامُ ،وقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ جَمِيعًا عَلَى أَنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ، وقال: أَلْهِمْنَا الطَّرِيقَ الْهَادِيَ ؛ وَإِلْهَامُهُ إِيَّاهُ ذَلِكَ هُوَ تَوْفِيقُهُ لَهُ.

وقَوْلُهُ:{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}[الفاتحة: ٧]عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَقُولُ: طَرِيقَ مَنْ أَنْعَمْتَ

---

[١] ذكره البخاري تعليقا (ج٦ص١٧).

[٢] انظر: تفسير الطبري (١/ ١٦٠)، تفسير ابن كثير (١/ ١٣٤)، تفسير السعدي (ص: ٣٩).

(٣) انظر: مدارج السالكين - لابن القيم (١/ ٧٩).

عَلَيْهِمْ بِطَاعَتِكَ وَعِبَادَتِكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، الَّذِينَ أَطَاعُوكَ وَعَبَدُوكَ.

وقَالَ أَبُو جَعْفَر: وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّ طَاعَةَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَا يَنَالُهَا الْمُطِيعُونَ إِلَّا بِإِنْعَامِ اللَّهِ بِهَا عَلَيْهِمْ ؛ وَتَوْفِيقِهِ إِيَّاهُمْ لَهَا.

وقَوْلَهُ: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم وَلاَ الضَّالِّينَ}[الفاتحة: ٧] قال ابن كثير: غَيْر صِرَاطِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، وَهُمُ الَّذِينَ فَسَدَتْ إِرَادَتُهُمْ، فَعَلِمُوا الْحَقَّ وَعَدَلُوا عَنْهُ، وَلَا صِرَاطِ الضَّالِّينَ وَهُمُ الَّذِينَ فَقَدُوا الْعِلْمَ فَهُمْ هَائِمُونَ فِي الضَّلَالَةِ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الْحَقِّ، وأكد الكلام ب{ولا} لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ ثَمّ مَسْلَكَيْنِ فَاسِدَيْنِ، وَهُمَا طَرِيقَتَا الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ومن شابههم ، وَلِلْفَرْقِ بَيْنَ الطَّرِيقَتَيْنِ، لِتُجْتَنَبَ كُلٌّ مِنْهُمَا؛ فَإِنَّ طَرِيقَةَ أَهْلِ الْإِيمَانِ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْعِلْمِ بِالْحَقِّ وَالْعَمَلِ بِهِ، فالْمَغْضُوبِ عليهم فَقَدُوا الْعَمَلَ، والضَّالُّونَ فَقَدُوا الْعِلْمَ؛ وَلِهَذَا كَانَ الْغَضَبُ وَالضَّلَالُ عليهم، لِأَنَّ مَنْ عَلِمَ وَتَرَكَ اسْتَحَقَّ الْغَضَبَ، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ، والضَّالُّونَ لَمَّا كَانُوا قَاصِدِينَ شَيْئًا لَكِنَّهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى طَرِيقِهِ، لِأَنَّهُمْ ضَلُّوا ففقدُوا الْعِلْمَ ولَمْ يَأْتُوا الْأَمْرَ مِنْ بَابِهِ، وَهُوَ اتِّبَاعُ الرَّسُولِ الْحَقِّ، وَكُلٌّ مِنهم ضَالٌّ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ ، لَكِنَّ أَخَصَّ أَوْصَافِ الْمَغْضُوبِ عليهم الْغَضَبُ كَمَا قَالَ فِيهِمْ: **{مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ}** [الْمَائِدَةِ: ٦٠] وَأَخَصُّ أَوْصَافِ الضَّالِّينَ الضَّلَالُ كَمَا قَالَ: **{قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}** [الْمَائِدَةِ: ٧٧]. وَفِي هَذه الْأمة من هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاء ،كَمَا ورد في الصحيحين من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « **لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟»**.[1]

وقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ يَقُولُونَ: مَنْ فَسَدَ مِنْ الْعُلَمَاءِ فَفِيهِ شَبَهٌ مِنْ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم ، وَمَنْ فَسَدَ مِنْ الْعُبَّادِ فَفِيهِ شَبَهٌ مِنْ الضَّالِّينَ ، وَكَانَ السَّلَفُ يَقُولُونَ: احْذَرُوا فِتْنَةَ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ، وَالْعَابِدِ الْجَاهِلِ؛ فَإِنَّ فِتْنَتَهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ، فَطَالِبُ الْعِلْمِ إنْ لَمْ يَقْتَرِنْ بِطَلَبِهِ فِعْلُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ، وَتَرْكُ مَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ مِنْ الِاعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ وَإِلَّا وَقَعَ فِي الضَّلَالِ.[2]

وقال ابن كثير: اشْتَمَلَتْ هَذِهِ السورة الكريمة وهي سبع آيات، عَلَى حَمْدِ اللَّهِ وَتَمْجِيدِهِ

[1] أخرجه البخاري ، رقم (٧٣٢٠) واللفظ له ، وأخرجه مسلم رقم ( ٢٦٦٩).
[2] انظر: الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام (٢/ ١٤٢).

وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، بِذِكْرِ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى الْمُسْتَلْزِمَةِ لِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا، وَعَلَى ذِكْرِ الْمَعَادِ وَهُوَ يَوْمُ الدِّينِ، وَعَلَى إِرْشَادِهِ عَبِيدَهُ إِلَى سُؤَالِهِ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ، وَالتَّبَرُّؤِ مِنْ حَوْلِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ، وَإِلَى إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَتَوْحِيدِهِ بِالْأُلُوهِيَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَتَنْزِيهِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ أَوْ نَظِيرٌ أَوْ مُمَاثِلٌ، وَإِلَى سُؤَالِهِمْ إِيَّاهُ الْهِدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الدِّينُ الْقَوِيمُ، وَتَثْبِيتَهُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يُفْضِي بِهِمْ ذَلِكَ إِلَى جَوَازِ الصِّرَاطِ الْحِسِّيِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمُفْضِي بِهِمْ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ فِي جِوَارِ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ،، ولهذا لم يُوجب الله علينا أن نقرأ سورة في الصلاة إلا هذه السورة؛ لأنها قد حوت كل معاني القرآن، وَاشْتَمَلَتْ عَلَى التَّرْغِيبِ فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، لِيَكُونُوا مَعَ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مَسَالِكَ الْبَاطِلِ؛ لِئَلَّا يُحْشَرُوا مَعَ سَالِكِيهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمُ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ وَالضَّالُّونَ.[1].

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا قَالَ الإِمَامُ: **{غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ}** [الفاتحة: ٧] فَقُولُوا آمِينَ، فَمَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.([2])

وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ، فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ - وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ - وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُولُ: آمِينَ** "[3]

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِنَا فَيَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ **بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ** وَسُورَتَيْنِ ،وَيُسْمِعُنَا الْآيَةَ أَحْيَانًا وَكَانَ يُطَوِّلُ الرَّكْعَةَ الْأُولَى مِنَ الظُّهْرِ، وَيُقَصِّرُ الثَّانِيَةَ، وَكَذَلِكَ فِي الصُّبْحِ.[4]

وفي الصحيحين من حدبث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: «فِي كُلِّ صَلاَةٍ يُقْرَأُ، فَمَا أَسْمَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْمَعْنَاكُمْ، وَمَا أَخْفَى عَنَّا أَخْفَيْنَا عَنْكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَزِدْ عَلَى **أُمِّ القُرْآنِ أَجْزَأَتْ** وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ».[5]

---

[1] انظر : تفسير ابن كثير (١/ ١٤٤).

([2])أخرجه البخاري رقم (٤٤٧٥).

[3] أخرجه البخاري رقم (٧٨٠)واللفظ له ، أخرجه مسلم رقم ( ٤١٠).

[4] أخرجه مسلم رقم( ٤٥١).

[5] أخرجه البخاري رقم (٧٧٢)واللفظ له ، أخرجه مسلم رقم( ٣٩٦).

وفي الصحيحين عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ **بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ**».[1]

**والصحيح من أقوال أهل العلم وجوب قراءة الفاتحة** في الصلاة على المنفرد، والإمام والمأموم في الصلاة الجهرية والسرية لصحة الأدلة الدالة على ذلك .

انتهي ، عفوا على الإطالة؛ ولكن لعظم هذه السورة المباركة ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِه، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

## (٧٨) سُورَةُ النَّبَأِ مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا أَرْبَعُونَ

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ} [النبأ: ١] قال ابن جرير فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ} [النبأ: ١] عَنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَسَاءَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وفِيمَ يَتَسَاءَلُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَيَخْتَصِمُونَ؟ {عَمَّ} أَصْلُهُ: **«عَنْ مَا»** فَأُدْغِمَتِ النُّونُ فِي الْمِيمِ وَحُذِفَتْ أَلِفُ «مَا» كَقَوْلِهِ: «فِيمَ»، وَ«بِمَ»؟ {يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ} [النبأ: ٢] يَعْنِي: عَنِ الْخَبَرِ الْعَظِيمِ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنِيِّ بِالنَّبَإِ الْعَظِيمِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُرِيدَ بِهِ الْقُرْآنُ،وَقَالَ آخَرُونَ: عُنِيَ بِهِ الْبَعْثُ.

قال قتادة: {النَّبَإِ الْعَظِيمِ} [النبأ: ٢]: الْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الْقُرْآنُ، وقَال الْبُخَارِيُّ: {النَّبَأُ العَظِيمُ}: القُرْآنُ(٢)، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: {النَّبَإِ الْعَظِيمِ} [النبأ: ٢] قَالَ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ؛ قَالَ: قَالُوا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَزْعُمُونَ أَنَّا نَحْيَا فِيهِ وَآبَاؤُنَا، قَالَ: فَهُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ، لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَهوالْأَظْهَرُ قاله ابن كثير، لِقَوْلِهِ: {الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ} [النبأ: ٣] بَيْنَ

[1] أخرجه البخاري رقم (٧٥٦)واللفظ له ، أخرجه مسلم رقم( ٣٩٤).
(٢) ذكره البخاري تعليقا (١٥٢/٩).

مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ، فَأَمَّا الْمَوْتُ فَإِنَّهُمْ أَقَرُّوا بِهِ كُلُّهُمْ، لِمُعَايَنَتِهِمْ إِيَّاهُ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وقوله:{كَلاَّ} مَا الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ بَعْثَ اللَّهِ إِيَّاهُمْ أَحْيَاءً بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، وَتَوَعَّدَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ مِنْهُمْ، فَقَالَ: { كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ} [النبأ: ٤] يَقُولُ: سَيَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الْمُنْكِرُونَ وَعِيدَ اللَّهِ أَعْدَاءَهُ، مَا اللَّهُ فَاعِلٌ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ , ثُمَّ أَكَّدَ الْوَعِيدَ بِتَكْرَارٍ آخَرَ، فَقَالَ{ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ} [النبأ: ٥] أي: وَعِيدٌ لَهُمْ عَلَى إِثْرِ وَعِيدٍ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: {كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ} يَعْنِي الْكَافِرِينَ، {ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ} [النبأ: ٥] يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ، ثم ذكر صنعائه لِيَعْلَمُوا تَوْحِيدَهُ فَقَالَ: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا} [النبأ: ٦] أَيْ: مُمَهَّدَةٌ لِلْخَلَائِقِ ذَلُولًا لَهُمْ، قَارَّةً سَاكِنَةً ثَابِتَةً، عَنْ قَتَادَةَ{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا} [النبأ: ٦] أَيْ: بِسَاطًا، قَرَأَ الْجُمْهُورُ: {مِهَادًا}، وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ وَعِيسَى وَبَعْضُ الْكُوفِيِّينَ «مَهْدًا» وَالْمَعْنَى: أَنَّهَا كَالْمَهْدِ لِلصَّبِيِّ ،وَهُوَ مَا يُمَهَّدُ لَهُ فَيُنَوَّمُ عَلَيْهِ.

قَوْلُهُ: {وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا} [النبأ: ٧] وَالْأَوْتَادُ جَمْعُ وَتِدٍ، أَيْ: جَعَلْنَا الْجِبَالَ أَوْتَادًا لِلْأَرْضِ لِتَسْكُنَ وَلَا تَتَحَرَّكَ كما ترسى الْخِيَامَ بِالْأَوْتَادِ، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ التَّسَاؤُلَ الْكَائِنَ بَيْنَهُمْ هُوَ عَنْ أَمْرِ الْبَعْثِ.

قَوْلُهُ: {وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا} [النبأ: ٨] أي: ذُكُورًا وَإِنَاثًا ، وَطُوَالًا وَقِصَارًا، أَوْ ذَوِي دَمَامَةٍ وَجَمَالٍ، {وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا} [النبأ: ٩] رَاحَةً لِأَبْدَانِكُمْ ، تَهْدَءُونَ بِهِ وَتَسْكُنُونَ، كَأَنَّكُمْ أَمْوَاتٌ لَا تَشْعُرُونَ، وَأَنْتُمْ أَحْيَاءُ لَمْ تُفَارِقْكُمُ الْأَرْوَاحُ؛ {سُبَاتًا} وَالسَّبْتُ وَالسُّبَاتُ: هُوَ السُّكُونُ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ السَّبْتُ سَبْتًا، لِأَنَّهُ يَوْمُ رَاحَةٍ وَدَعَةٍ.

قَوْلُهُ: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا} [النبأ: ١٠] سَاتِرًا بِسَوَادِهِ ، وَتُغَطِّيكُمْ ظُلْمَتُهُ، كَمَا يُغَطِّي الثَّوْبُ لَابِسَهُ، لِتَسْكُنُوا فِيهِ عَنِ التَّصَرُّفِ لِمَا كُنْتُمْ تَتَصَرَّفُونَ لَهُ نَهَارًا{وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا} [النبأ: ١١] وَقْتًا لِلْمَعَايِشِ ، وَجَعَلَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ النَّهَارَ إِذْ كَانَ سَبَبًا لِتَصَرُّفِ عِبَادِهِ لِطَلَبِ الْمَعَاشِ فِيهِ مَعَاشًا{وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ } [النبأ: ١٢] أي: وَسَقَّفْنَا فَوْقَكُمْ، فَجَعَلَ السَّقْفَ بِنَاءً، إِذْ كَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي سُقُوفَ الْبُيُوتِ، وَهِيَ سَمَاؤُهَا بِنَاءً، وَكَانَتِ السَّمَاءُ لِلْأَرْضِ سَقْفًا، فَخَاطَبَهُمْ بِلِسَانِهِمْ{ سَبْعًا شِدَادًا} سَبْع سَمَاوَات، جَمْع شَدِيدَة، أَيْ: قَوِيَّة مُحْكَمَة لَا يُؤَثِّر فِيهَا مرور الزمان، قَالَ مُقَاتِلٌ: هي السَّمَوَاتُ، غِلْظُ كُلِّ سَماءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عامٍ، وبَيْنَ كُلِّ سَماءَيْنِ مِثْلُ ذَلِكَ، وهي فَوْقَكم يا بَنِي آدَمَ؛ فاحْذَرُوا أنْ تَعْصُوا فَتَخِرَّ عَلَيْكم.

وقَوْلُهُ: {وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا} [النبأ: ١٣] يَعْنِي: الشَّمْسَ الْمُنِيرَةَ عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِ الَّتِي

يَتَوَهَّجُ ضَوْؤُهَا لِأَهْلِ الْأَرْضِ كُلِّهِمْ، وَقَوْلُهُ {وَهَّاجًا} [النبأ: ١٣] يَعْنِي: وَقَّادًا مُضِيئًا.
قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {وَهَّاجًا} «مُضِيئًا»(١).
وقَوْلُهُ: {وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا} [النبأ: ١٤] عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ،عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الرِّيَاحُ ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {مِنَ الْمُعْصِرَاتِ}[النبأ: ١٤] أَيْ: مِنَ السَّحَابِ، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ أَيْضًا، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَالضَّحَّاكُ، وَالْحَسَنُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَالثَّوْرِيُّ، **وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.**
وقال ابن كثير: وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمُعْصِرَاتِ: السَّحَابُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ} [الرُّوم: ٤٨] أَيْ: مِنْ بَيْنِهِ.
وقَوْلُهُ: {مَاءً ثَجَّاجًا}[النبأ: ١٤] قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: ماءً مُنْصَبًّا يَتْبَعُ بَعْضُهُ بَعْضًا، كَثَجِّ دِمَاءِ الْبُدْنِ، وَذَلِكَ سَفْكُهَا ، وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: مُتَتَابِعًا، وَقَالَ ابن زيد: كثيرا. (٢)
قَوْلُهُ: {لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا} [النبأ: ١٥] أَيْ: لنخرجَ بِهَذَا الْمَاءِ الْكَثِيرِ الطَّيِّبِ النَّافِعِ الْمُبَارَكِ {حَبًّا} يُدَّخَرُ لِلْأَنَاسِيِّ وَالْأَنْعَامِ {وَنَبَاتًا} أَيْ: خَضِرًا يُؤْكَلُ رَطْبًا{وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا}[النبأ: ١٦] أَيْ: بَسَاتِينَ وحدائقَ مِنْ ثَمَرَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ، وَأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَطُعُومٍ وَرَوَائِحَ مُتَفَاوِتَةٍ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي بُقْعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْأَرْضِ مُجْتَمِعًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: {أَلْفَافًا} مُلْتَفَّةً بِالشَّجَرِ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ مُجَاهِدٌ: {أَلْفَافًا}: مُلْتَفَّةً(٣)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُهُ: {أَلْفَافًا}[النبأ: ١٦] مُجْتَمِعَةً.
قال ابن كثير: قَوْلُهُ: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا} [النبأ: ١٧] وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، أَنَّهُ مُؤَقَّتٌ بِأَجَلٍ مَعْدُودٍ، لَا يُزَادُ عَلَيْهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ، وَلَا يَعْلَمُ وَقْتَهُ عَلَى التَّعْيِينِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا قَالَ: **{وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لأَجَلٍ مَعْدُودٍ}** [هُودِ:١٠٤] . (٤)
قَوْلُهُ: {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا} [النبأ: ١٨] قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: يَعْنِي تَأْتِي كُلُّ أُمَّةٍ مَعَ رَسُولِهَا، كَقَوْلِهِ: {يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ} [الْإِسْرَاءِ:٧١] .

(١) ذكره البخاري تعليقا (١٦٥/٦).
(٢) انظر:تفسير الطبري (٢٤/ ٨)، تفسير البغوي (٣٠٩/٨)، تفسير ابن كثير(٨/ ٣٠٢)، فتح القدير للشوكاني (٤٣٩/٥).
(٣) ذكره البخاري تعليقا (ج٤ص١٠٧).
(٤) انظر:تفسير ابن كثير (٣٠٣/٨).

أخرج الْبُخَارِيُّ في صحيحه بسنده، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ما بين النفختين أربعون» قَالُوا: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: «أبيتُ» قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: «أَبَيْتُ» قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: «أَبَيْتُ» قَالَ: «ثُمَّ يُنزلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فينبتُونَ كَمَا ينبتُ البقلُ، لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شيءٌ إِلَّا يبلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذنَب، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يومَ الْقِيَامَةِ»(١).

وقَوْلُهُ: {أَفْوَاجًا}[النبأ: ١٨] أي: فَيَجِيئُونَ زُمَرًا زُمَرًا، وَجمَاعَةً جَمَاعَةً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ لِلْحِسَابِ، قَالَ الْبُخَارِيُّ أي: زُمَرًا(٢).

قَوْلُهُ: {وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ}[النبأ: ١٩] أَيْ: طُرُقًا وَمَسَالِكَ لِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ {فَكَانَتْ أَبْوَابًا}[النبأ: ١٩] كَالْأَبْوَابِ، فَلَمَّا أُسْقِطَتِ الْكَافُ صَارَتِ الْأَبْوَابُ الْخَبَرَ، أَيْ: ذَاتَ أَبْوَابٍ، وَقِيلَ: تَنْحَلُّ وَتَتَنَاثَرُ حَتَّى تَصِيرَ فِيهَا أَبْوَابٌ وَطُرُقٌ. (٣)

قَوْلُهُ: {وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ}[النبأ: ٢٠] وَنُسِفَتِ الْجِبَالُ فَاجْتُثَّتْ مِنْ أُصُولِهَا، أي: ذهب بها من أماكنها عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ كَقَوْلِهِ تعالي:**{وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} [النَّمْلِ: ٨٨]** ، وقَوْلُهُ:{وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً} [الْكَهْفِ:٤٧]،{فَكَانَتْ سَرَابًا}[النبأ: ٢٠] أَيْ: هَبَاءً مُنْبَثًّا لِعَيْنِ النَّاظِرِ كَالسَّرَابِ.

قَوْلُهُ: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا}[النبأ: ٢١] طَرِيقًا وَممَرًّا فَلَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ إِلَى الْجَنَّةِ حَتَّى يَقْطَعَ النَّارَ، وَقَوْلُهُ: {كَانَتْ مِرْصَادًا}[النبأ: ٢١] أَيْ: مُعَدَّةً لَهُمْ، يُقَالُ: أَرْصَدْتُ لَهُ الشَّيْءَ إِذَا أَعْدَدْتُهُ لَهُ، وَقِيلَ: هُوَ مِنْ رَصَدْتُ الشَّيْءَ أَرْصُدُهُ إِذَا تَرَقَّبْتُهُ، «وَالمِرْصَادُ» الْمَكَانُ الَّذِي يَرْصُدُ الرَّاصِدُ فِيهِ الْعَدُوَّ، وقيل: تَرْصُدُ الْكُفَّارَ.

قَوْلُهُ: {لِلطَّاغِينَ}[النبأ: ٢٢] لِلْكَافِرِينَ والْعُصَاةُ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ {مَآبًا} مَرْجِعًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ.

قَوْلُهُ: {لَابِثِينَ}[النبأ: ٢٣] مَاكِثُونَ فِيهَا قَرَأَ حَمْزَةُ وَيَعْقُوبُ: «لَبِثِينَ» بِغَيْرِ أَلِفٍ، وَقَرَأَ الْعَامَّةُ «لَابِثِينَ» بِالْأَلِفِ وَهُمَا لُغَتَانِ.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٩٣٥). قَوْله: (أَبيت) من الإباء وَهُوَ الِامْتِنَاع أَي: امْتنعت من تعْيين ذَلِك بِالْأَيَّامِ والسنين والشهور، لِأَنَّهُ لم يكن عِنْده علم بذلك

(٢) ذكره البخاري تعليقا (١٦٥/٦).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٣١٣/٨)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٥).

قَوْلُهُ: {فِيهَا أَحْقَابًا}[النبأ: ٢٣] الأحقاب مَا لَا انْقِطَاع لَهُ، كلما مضى حقب جَاءَ بعده حقب آخر(١)، وقَالَ الْحَسَنُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِأَهْلِ النَّارِ مُدَّةً، بَلْ قَالَ: {لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا}[النبأ: ٢٣] فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا إِذَا مَضَى حِقَبٌ دَخَلَ آخَرُ ثُمَّ آخَرُ إِلَى الْأَبَدِ، فَلَيْسَ لِلْأَحْقَابِ عِدَّةٌ إِلَّا الْخُلُودُ، وَأخرج السُّدِّيُّ عَنْ مُرَّةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَوْ عَلِمَ أَهْلُ النَّارِ أَنَّهُمْ يَلْبَثُونَ فِي النَّارِ عَدَدَ حَصَى الدُّنْيَا لَفرحُوا، وَلَوْ عَلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ أَنَّهُمْ يَلْبَثُونَ فِي الْجَنَّةِ عَدَدَ حَصَى الدُّنْيَا لَحَزِنُوا، قال ابن كثير: قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنس: {لَأَبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا}[النبأ: ٢٣] لَا يَعْلَمُ عِدَّةَ هَذِهِ الْأَحْقَابِ إِلَّا اللَّهُ عزَّ وجلَّ، وذكر لنا أن الحقب الواحد ثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وَسِتُّونَ يَوْمًا، كُلُّ يَوْمٍ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تعدون.

وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: الْحِقْبُ الْوَاحِدُ سَبْعَ عَشْرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ، قَالَ: وَهَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ نَسَخَتْهَا **{فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا} [النبأ: ٣٠]** يَعْنِي أَنَّ الْعَدَدَ قَدِ ارْتَفَعَ وَالْخُلُودَ قَدْ حَصَلَ. (٢)

قَوْلُهُ: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا }[النبأ: ٢٤] قَالَ مُقَاتِلٌ: «لَا يَذُوقُونَ فِيهَا {بَرْدًا}يَنْفَعُهُمْ مِنْ حَرٍّ، {وَلَا شَرَابًا}يَنْفَعُهُمْ مِنْ عَطَشٍ.

قَوْلُهُ: {إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا} [النبأ: ٢٥] الْحَمِيمُ: الَّذِي لَا يُسْتَطَاعُ مِنْ حَرِّهِ، قَدْ أُغْلِيَ حَتَّى انْتَهَى حَرُّهُ، فَهُوَ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ {وَغَسَّاقًا} والغسَّاق:هُوَ السَّائِلُ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ فِي جَهَنَّمَ، الْجَامِعُ مَعَ شِدَّةِ بَرْدِهِ النَّتَنَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّهُ قَالَ: أَتَدْرُونَ أَيُّ شَيْءٍ الْغَسَّاقُ؟ قَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هُوَ الْقَيْحُ الْغَلِيظُ، لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْهُ تُهَرَاقُ بِالْمَغْرِبِ، لَأَنْتَنَ أَهْلُ الْمَشْرِقِ، وَلَوْ تُهَرَاقُ بِالْمَشْرِقِ، لَأَنْتَنَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ» ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: الْغَسَّاقُ الَّذِي لَا يُسْتَطَاعُ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِهِ، وَهُو الزَّمْهَرِير، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «الْغَسَّاقُ» الزَّمْهَرِيرُ يَحْرِقُهُمْ بِبَرْدِهِ، وَقِيلَ: صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: {غَسَّاقًا}أي: «غَسَقَتْ عَيْنُهُ، وَيَغْسِقُ الجُرْحُ: يَسِيلُ، كَأَنَّ الغَسَاقَ وَالغَسِيقَ وَاحِدٌ. (٣)

قَوْلُهُ: {جَزَاءً وِفَاقًا} [النبأ: ٢٦] أَيْ: جَزَيْنَاهُمْ جَزَاءً وَافَقَ أَعْمَالَهُمْ، قَالَ مُقَاتِلٌ: وَافَقَ الْعَذَابُ الذَّنْبَ، فَلَا ذَنْبَ أَعْظَمَ مِنَ الشِّرْكِ، وَلَا عَذَابَ أَعْظَمَ مِنَ النَّارِ.

---

(١) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٣٩٤/٨).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٤/٢٤)، تفسير البغوي (٣١٥/٨)، مختصر تفسير ابن كثير للصابوني (٥٩٢/٢).
(٣) ذكره البخاري تعليقا (١٦٥/٦).

قَوْلُهُ: {إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا} [النبأ: ٢٧] إِنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا لَا يَخَافُونَ مُحَاسَبَةَ اللَّهِ إِيَّاهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَلَى نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَسُوءِ شُكْرِهِمْ لَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَلَا بِأَنَّهُمْ مُحَاسَبُونَ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ قَالَ مُجَاهِدٌ: {لاَ يَرْجُونَ حِسَابًا} [النبأ: ٢٧]: «لاَ يَخَافُونَهُ».(١)

قَوْلُهُ: {وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} [النبأ: ٢٨] أَيْ: بِمَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ {كِذَّابًا} تَكْذِيبًا.

قَوْلُهُ: {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا} [النبأ: ٢٩] أَيْ: وَكُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْأَعْمَالِ بَيَّنَّاهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ؛ وَنَصَبَ كِتَابًا، لِأَنَّ فِي قَوْلِهِ: {أَحْصَيْنَاهُ} مَصْدَرَ أَثْبَتْنَاهُ وَكَتَبْنَاهُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَكُلَّ شَيْءٍ كَتَبْنَاهُ كِتَابًا .

قَوْلُهُ: {فَذُوقُوا فَلَنْ نزيدَكُمْ إلا عَذَابًا} [النبأ: ٣٠] أَيْ: يُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ ذُوقُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ، فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا مِنْ جنسهِ، قَالَ قَتَادَةُ: فَهُمْ فِي مَزِيدٍ مِنَ الْعَذَابِ أَبَدًا.[٢]

قَوْلُهُ: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا}[النبأ: ٣١]قال ابن كثير: يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ السُّعَدَاءِ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ تَعَالَى مِنَ الْكَرَامَةِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالضَّحَّاكُ: مُتَنَزَّهًا، وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ: فَازُوا فَنَجَوْا مِنَ النَّارِ، والأظهر هاهنا قولُ بن عَبَّاسٍ؛ لِأَنَّهُ قَالَ بَعْدَهُ: {حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا}[النبأ: ٣٢] وَهِيَ الْبَسَاتِينُ مِنَ النَّخِيلِ وَغَيْرِهَا .

قَوْلُهُ: {وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا}[النبأ: ٣٣] أَيْ: وَحُورًا كَوَاعِبَ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ، وقَالَ الْبُخَارِيُّ {كَوَاعِبَ}: نَوَاهِدَ(٣)، والمراد: أَنْ ثُدُيَّهن نَوَاهِدَ لَمْ يَتَدَلَّيْنَ لِأَنَّهُنَّ أَبْكَارٌ، كالرمَّان، ليست متدلية إلى أسفل{أَتْرَابًا} أَتْرَابٌ أَيْ: فِي سِنٍّ وَاحِدَةٍ. (٤)

وقَوْلُهُ: {وَكَأْسًا دِهَاقًا}[النبأ: ٣٤] أي : خمرا كأسها ملأى بها، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةَ وَابْنُ زَيْدٍ: مُتْرَعَةً مَمْلُوءَةً.

قَوْلُهُ: {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا}[النبأ: ٣٥]أي: بَاطِلًا مِنَ الْكَلَامِ {وَلَا كِذَّابًا} وَلَا تَكْذِيبًا، لَا يُكَذِّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

قَوْلُهُ: {جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا} [النبأ: ٣٦] أَيْ: جَازَاهُمْ جَزَاءً وَأَعْطَاهُمْ عَطَاءً

---

(١) ذكره البخاري تعليقا (١٦٥/٦).

[٢] انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٢)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٥/ ٨٤)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٧).

(٣) ذكره البخاري تعليقا (ج٤ص١١٦).

(٤) انظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٥/ ٨٤)،تفسير ابن كثير (٣٠٨/٨)، التفسير القيم لابن القيم (ص: ٥٦٠).

{حِسَابًا} أَيْ: كَافِيًا وَافِيًا، يُقَالُ: أَحْسَبْتُ فُلَانًا، أَيْ أَعْطَيْتُهُ مَا يَكْفِيهِ حَتَّى قَالَ حَسْبِي (١)، وقَالَ الْبُخَارِيُّ: {عَطَاءً حِسَابًا}: جَزَاءً كَافِيًا، أَعْطَانِي مَا أَحْسَبَنِي، أَيْ: كَفَانِي. (٢)

وَقَوْلُهُ: {رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا} [النبأ: ٣٧] قال ابن كثير: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، وَأَنَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا، وَأَنَّهُ الرَّحْمَنُ الَّذِي شَمِلَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ.

وَقَوْلُهُ: {لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا} [النبأ: ٣٧] أَيْ: لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى ابْتِدَاءِ مُخَاطَبَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ(٣)، قال البخاري: لاَ يُكَلِّمُونَهُ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ.(٤)

وقَوْلُهُ: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ} [النبأ: ٣٨] قال ابن كثير: اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمُرَادِ بِالرُّوحِ هَاهُنَا، مَا هُوَ؟ عَلَى أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُمْ أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ، الثَّانِي: هُمْ بَنُو آدَمَ، الثَّالِثُ: أَنَّهُمْ خَلق مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، عَلَى صُور بَنِي آدَمَ، وَلَيْسُوا بِمَلَائِكَةٍ وَلَا بِبَشَرٍ، وَهُمْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاس، وَمُجَاهِدٌ، وَأَبُو صَالِح وَالْأَعْمَشُ.

الرَّابِعُ: هُوَ جِبْرِيلُ، قَالَهُ الشَّعْبِيُّ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالضَّحَّاكُ. وَيُسْتَشْهَدُ لِهَذَا الْقَوْلِ بِقَوْلِهِ: {نزلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ} [الشُّعَرَاءِ: ١٩٣، ١٩٤] وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: الرُّوحُ: أَشْرَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَأَقْرَبُ إِلَى الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، وَصَاحِبُ الْوَحْيِ.

وَالْخَامِسُ: أَنَّهُ الْقُرْآنُ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ، كَقَوْلِهِ: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا} الْآيَةَ [الشُّورَى: ٥٢] وَالسَّادِسُ: أَنَّهُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِقَدْرِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَوْلُهُ: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ} قَالَ: هُوَ مَلَكٌ عَظِيمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْمَلَائِكَةِ خَلْقًا.

وتَوَقَّفَ ابنُ جَرِيرٍ فَلَمْ يقطَع بِوَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ كُلِّهَا، وَالْأَشْبَهُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَنَّهُمْ بَنُو آدَمَ.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٣١٦/٨).
(٢) ذكره البخاري تعليقا (ج٦ص١٦٥.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣٠٩/٨).
(٤) ذكره البخاري تعليقا (١٦٥/٦).

وقال ابن جرير وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعالَى ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّ خَلْقَهُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا، يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ، وَالرُّوحُ: خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ. وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي ذَكَرْتُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ هُوَ؟ وَلَا خَبَرَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ الْمَعْنِيُّ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ، يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ، وَلَا حُجَّةَ تَدُلُّ عَلَيْهِ، وَغَيْرُ ضَائِرٍ الْجَهْلُ بِهِ.

وقَوْلُهُ: {وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا}[النبأ: ٣٨] حال أَيْ: مُصْطَفِّينَ {لَا يَتَكَلَّمُونَ} أَيْ: الْخَلْق {إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَن}[النبأ: ٣٨] عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: يُمَرُّ بِأُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عَلَى مَلَائِكَةٍ، فَيَقُولُونَ: أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَؤُلَاءِ؟ فَيُقَالَ: إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُونَ: بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ، وَيُمَرُّ بِأُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى مَلَائِكَةٍ، فَيُقَالَ: أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَؤُلَاءِ؟ فَيَقُولُونَ: إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: بِرَحْمَةِ اللَّهِ دَخَلْتُمُ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيُؤْذَنُ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّبُّ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ {وَقَالَ صَوَابًا}[النبأ: ٣٨] قَالَ الْبُخَارِيُّ قَالَ مُجَاهِدٌ: {وَقَالَ صَوَابًا}[النبأ: ٣٨]: حَقًّا فِي الدُّنْيَا، وَعَمِلَ بِهِ. (١).

قَوْلُهُ: {ذَلِكَ الْيَوْم الْحَقّ}[النبأ: ٣٩] الثَّابِت وُقُوعه وَهُوَ يَوْم الْقِيَامَة {الْحَقُّ} يَقُولُ: إِنَّهُ حَقٌّ كَائِنٌ، لَا شَكَّ فِيهِ {فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبّه مَآبًا}[النبأ: ٣٩]فَمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ اتَّخَذَ بِالتَّصْدِيقِ بِهَذَا الْيَوْمِ الْحَقِّ، وَالِاسْتِعْدَادِ لَهُ، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ النَّجَاةَ لَهُ مِنْ أَهْوَالِهِ {مَآبًا} يَعْنِي: مَرْجِعًا، عَنْ قَتَادَةَ، {إِلَى رَبّه مَآبًا}[النبأ: ٣٩] قَالَ: سَبِيلًا.

قَوْلُهُ: {إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا}[النبأ: ٤٠] يَقُولُ: إِنَّا حَذَّرْنَاكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ عَذَابًا قَدْ دَنَا مِنْكُمْ وَقَرُبَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: {يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ} [النبأ: ٤٠] الْمُؤْمِنُ {مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ} مِنْ خَيْرٍ اكْتَسَبَهُ فِي الدُّنْيَا، أَوْ شِرْكٍ سَلَفَهُ، فَيَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ عَلَى صَالِحِ أَعْمَالِهِ، وَيَخَافُ عِقَابَهُ عَلَى سَيِّئِهَا {وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا}[النبأ: ٤٠] أي: وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَوْمَئِذٍ تَمَنِّيًا لِمَا يَلْقَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي أَعَدَّهُ لِأَصْحَابِهِ الْكَافِرِينَ بِهِ: {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبأ: ٤٠] كَالْبَهَائِمِ الَّتِي جُعِلَتْ تُرَابً، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقْضِي اللَّهُ بَيْنَ خَلْقِهِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ، وَإِنَّهُ لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ الْجَمَّاءَ مِنَ الْقَرْنَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ تَبِعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لِأُخْرَى، قَالَ اللَّهُ: كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا}[النبأ: ٤٠] (٢).

(١) ذكره البخاري تعليقا (١٦٥/٦).
(٢) أخرجه ابن جرير في « تفسيره » (٥٥/٢٤) ، انظر الصَّحِيحَة: ١٩٦٦.

انتهى، والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

* * *

## ٧٩- سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا} [النازعات: ١]قَوْلُهُ: {وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا} [النازعات: ١] قال ابن كثير أي: الْمَلَائِكَةُ، يَعْنُونَ حِينَ تُنْزَعُ أَرْوَاحُ بَنِي آدَمَ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُ رُوحَهُ بعُنف فتُغرق فِي نَزْعِهَا، وَ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُ رُوحَهُ بِسُهُولَةٍ وَكَأَنَّمَا حَلَّته مِنْ نَشَاطٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ: {وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا} قَالَهُ ابْنُ عَبَّاس. (١)

قال البغوي : وَ"الْغَرْقُ" اسْمٌ أُقِيمَ مَقَامَ الْإِغْرَاقِ، أَيْ: وَالنَّازِعَاتِ إِغْرَاقًا، وَالْمُرَادُ بِالْإِغْرَاقِ الْمُبَالَغَةُ فِي الْمَدِّ.

وَقَوْلُهُ: {وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا} [النازعات: ٢] هُمُ الْمَلَائِكَةُ، تَنْشِطُ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ فَتَقْبِضُهَا، كَمَا يَنْشِطُ الْعِقَالُ مِنَ الْبَعِيرِ إِذَا حُلَّ عَنْهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: " فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ " .[٢]

قَوْلُهُ: {وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا}[النازعات: ٣] هَمُ الْمَلَائِكَةُ يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَ المؤمنين يسلونها أسُلًّا رَفِيقًا، ثُمَّ يَدَعُونَهَا حَتَّى تَسْتَرِيحَ كَالسَّابِحِ بِالشَّيْءِ فِي الْمَاءِ يَرْفُقُ بِهِ.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/٣١٢).

[٢] جزء من حديث في الصحيحين من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخدري أخرجه البخاري في رقم(٢٢٧٦)ومسلم رقم(٢٢٠١).

قَوْلُهُ: {فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا}[النازعات: ٤] قَالَ مُقَاتِلٌ: هِيَ الْمَلَائِكَةُ تَسْبِقُ بِأَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجَنَّةِ

وَقَوْلُهُ: {فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} [النازعات: ٥] يَقُولُ: فَالْمَلَائِكَةُ الْمُدَبِّرَةُ مَا أُمِرَتْ بِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ.

وَقَوْلُهُ:{يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ} [النازعات: ٦] يَعْنِي النَّفْخَةَ الْأُولَى، قَالَ الْبُخَارِيُّ: {الرَّاجِفَةُ} النَّفْخَةُ الأولى، أي: يَتَزَلْزَلُ وَيَتَحَرَّكُ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَيَمُوتُ مِنْهَا جَمِيعُ الْخَلَائِقِ{تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ}[النازعات: ٧] وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ رَدَفَتِ الْأُولَى، قَالَ الْبُخَارِيُّ: «النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ». (١) وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ رَدَفَتِ الْأُولَى، وقَالَ قَتَادَةُ: هُمَا صَيْحَتَانِ فَالْأُولَى تُمِيتُ كُلَّ شَيْءٍ، وَالْأُخْرَى تُحْيِي كُلَّ شَيْءٍ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وَقَوْلُهُ: {قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ} [النازعات: ٨] قُلُوبُ خَائِفَةٌ قَلِقَةٌ مُضْطَرِبَةٌ، وَسُمِّيَ «الْوَجِيفُ» فِي السَّيْرِ، لِشِدَّةِ اضْطِرَابِهِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ {وَاجِفَةٌ}: وَجِلَةٌ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: زَائِلَةٌ عَنْ أَمَاكِنِهَا {أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ}[النازعات: ٩] ذَلِيلَةٌ، مِمَّا قَدْ عَلَاهَا مِنَ الْكَآبَةِ وَالْحَزَنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ الَّذِي قَدْ نَزَلَ بِهِمْ، مِنْ عَظِيمِ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، كَقَوْلِهِ تعالي: **{خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ}** [الشورى: ٤٥].

وَقَوْلُهُ:{يَقُولُونَ} يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، يَعْنِي: إِذَا قِيلَ لَهُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ: {أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ} [النازعات: ١٠] قَالَ الْبُخَارِيُّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {الْحَافِرَةِ}: الَّتِي أَمْرُنَا الأَوَّلُ إِلَى الحَيَاةِ(٢)، أَيْ: إِلَى أَوَّلِ الْحَالِ وَابْتِدَاءِ الْأَمْرِ، فَنُصَيَّرُ أَحْيَاءً بَعْدَ الْمَوْتِ كَمَا كُنَّا، تَقُولُ الْعَرَبُ: رَجَعَ فَلَانٌ فِي حَافِرَتِهِ، أَيْ: رَجَعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ. (٣)

وقال ابن كثير: يَعْنِي مُشْرِكِي قريش، يَسْتَبْعِدُونَ وُقُوعَ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَصِيرِ إِلَى {الْحَافِرَةِ} وَهِيَ الْقُبُورُ،قَالَهُ مُجَاهِدٌ ،وَذلك بَعْدَ تَمَزُّقِ أَجْسَادِهِمْ وَتَفَتُّتِ عِظَامِهِمْ وَنَخُورِهَا؟، وَلِهَذَا قَالُوا: {أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً}[النازعات: ١١] بِمَعْنَى: بَالِيَةً، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَهُوَ الْعَظْمُ إِذَا بَلِيَ وَدَخَلَتْ الرِّيحُ فِيهِ{قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ}[النازعات: ١٢] أَيْ رَجْعَةٌ

---

(١) ذكره البخاري تعليقا (١٠٨/٨).
(٢) ذكره البخاري تعليقا (١٦٦/٦).
(٣) انظر: تفسير البغوي (٣٢٥/٨).

خَاسِرَةٌ ،قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ، قَالَتْ قُرَيْشٌ: لَئِنْ أَحْيَانَا اللَّهُ بَعْدَ أَنْ نَمُوتَ لَنَخْسَرَنَّ.(١)

قَوْلُهُ: {فَإِنَّمَا هِيَ} يَعْنِي: النَّفْخَةَ الْأَخِيرَةَ {زَجْرَةٌ} صَيْحَةٌ {وَاحِدَةٌ} فَإِنَّمَا هِيَ صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ، وَنَفْخَةٌ تُنْفَخُ فِي الصُّورِ، وَذَلِكَ هُوَ الزَّجْرَةُ.

قَوْلُهُ: {فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} [النازعات: ١٤] بِالسَّاهِرَةِ، يَعْنِي بِظَهْرِ الْأَرْضِ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: {السَّاهِرَةِ}: وَجْهُ الأَرْضِ (٢)، وقيل: أَيْ صَارُوا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بَعْدَمَا كَانُوا فِي جَوْفِهَا ، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْفَلَاةَ وَوَجْهَ الْأَرْضِ: سَاهِرَةٌ(٣).

قَوْلُهُ: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى}[النازعات: ١٥] أَيْ: هَلْ أَتَاكَ يَا مُحَمَّدُ حَدِيثُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ {إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ}[النازعات: ١٦] أَيْ: حِينَ نَاجَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ {بِالوادِ الْمُقَدَّسِ} أَيِ الْمُطَهَّرِ، الْمُبَارَكَ {طُوًى}[النازعات: ١٦] قال ابن كثير: وَهُوَ اسْمُ الْوَادِي على الصحيح، فَقَالَ لَهُ: {اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى}،[النازعات: ١٧] {طَغَى} أَيْ: تَجَبَّرَ وَتَمَرَّدَ وَعَتَا، {فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى}[النازعات: ١٨] أَيْ: قُلْ لَهُ هَلْ لَكَ أَنْ تُجِيبَ إِلَى طَرِيقَةٍ وَمَسْلَكٍ تَزَكَّى بِهِ، أَيْ: تُسَلِّمُ وَتُطِيعُ، {وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ}[النازعات: ١٩] أَيْ: أَدُلُّكَ إِلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ {فَتَخْشَى} أَيْ: فيصير قلبك خاضعًا له مطيعًا خاشعًا، بعد ما كَانَ قَاسِيًا خَبِيثًا بَعِيدًا مِنَ الْخَيْرِ .

وقَوْلُهُ: {فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى}[النازعات: ٢٠] يَعْنِي الدَّلَالَةَ الْكُبْرَى عَلَى أَنَّهُ لِلَّهِ رَسُولٌ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ، فَكَانَتْ تِلْكَ الْآيَةُ يَدَ مُوسَى إِذْ أَخْرَجَهَا بَيْضَاءَ لِلنَّاظِرِينَ، وَعَصَاهُ إِذْ تَحَوَّلَتْ ثُعْبَانًا مُبِينًا ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: {الآيَةَ الْكُبْرَى}» عَصَاهُ وَيَدُهُ(٤).

وقَوْلُهُ: {فَكَذَّبَ وَعَصَى}[النازعات: ٢١] أَيْ: فَكَذَّبَ بِالْحَقِّ، وَخَالَفَ مَا أَمَرَهُ بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ، {ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى}[النازعات: ٢٢] أَيْ: فِي مُقَابَلَةِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ وَهُوَ جَمْعُهُ السَّحَرَةَ، لِيُقَابِلُوا مَا جَاءَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ المعجزات الباهرات {فَحَشَرَ} أي: جَمَعَ السَّحَرَةَ وَجُنْده {فَنَادَى}[النازعات: ٢٣] أَيْ: فِي قَوْمِهِ، {فَقَالَ أَنَاْ رَبُّكُمُ الْأَعْلَى}[النازعات: ٢٤] أَيْ: لَا رَبَّ لَكُمْ فَوْقِي ،قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ: وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ قَالَهَا فِرْعَوْنٌ بَعْدَ قَوْلِهِ:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٣)

(٢) ذكره البخاري تعليقا ج٤ص١٠٦.

(٣) انظر: تفسير البغوي (٣٢٨/٨).

(٤) ذكره البخاري تعليقا ١٦٦/٦).

**{مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي}** [القصص: ٣٨] بِأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَالْمَعْنَى: أَمْهَلَهُ فِي الْأُولَى، ثُمَّ أَخَذَهُ فِي الْآخِرَةِ، فَعَذَّبَهُ بِكَلِمَتَيْهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعالَى: {فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى}[النازعات: ٢٥] أَيْ: انْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُ انْتِقَامًا جَعَلَهُ بِهِ عِبْرَةً وَنَكَالًا لِأَمْثَالِهِ مِنَ الْمُتَمَرِّدِينَ فِي الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ المرفود}** [هود: ٩٩]، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُنصَرُونَ}** [القصص: ٤١]، وهذا هُوَ الصَّحِيحُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: {نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى} أَيْ: الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ.

وَقَوْلُهُ: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى}[النازعات: ٢٦] أَيْ: لِمَنْ يَتَّعِظُ وَيَنْزَجِرُ. (١)

يَقُولُ تَعالَى مُحْتَجًّا عَلَى مُنْكِرِي الْبَعْثِ فِي إِعَادَةِ الْخَلْقِ بَعْدَ بَدْئِهِ {أَأَنتُمْ} [النازعات: ٢٧] أَيُّهَا النَّاسُ {أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ} [النازعات: ٢٧] قال ابن جرير أي: أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَشَدُّ خَلْقًا، أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَبُّكُمْ؟ فَإِنَّ مَنْ بَنَى السَّمَاءَ فَرَفَعَهَا سَقْفًا، هَيِّنٌ عَلَيْهِ خَلْقُكُمْ وَخَلْقُ أَمْثَالِكُمْ، وَإِحْيَاؤُكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ؛ وَلَيْسَ خَلْقُكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ بِأَشَدَّ مِنْ خَلْقِ السَّمَاءِ.

وَعُنِيَ بِقَوْلِهِ:{بَنَاهَا} [النازعات: ٢٧] أَيْ: رَفَعَهَا، فَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ سَقْفًا، و عَنْ مُجَاهِدٍ يَعْنِي: بُنْيَانَهَا بِغَيْرِ عَمَدٍ.

وَقَوْلُهُ: {رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا} [النازعات: ٢٨] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَسَوَّى السَّمَاءَ، فَلَا شَيْءَ أَرْفَعُ مِنْ شَيْءٍ، وَلَا شَيْءَ أَخْفَضُ مِنْ شَيْءٍ، وَلَكِنْ جَمِيعُهَا مُسْتَوِي الِارْتِفَاعِ وَالِامْتِدَادِ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: {سَمْكَهَا}: بِنَاءَهَا(٢)، وقيل: أَيْ جَعَلَهَا عَالِيَةَ الْبِنَاءِ، بَعِيدَةَ الْفَنَاءِ، مُسْتَوِيَةَ الْأَرْجَاءِ، مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء، {فَسَوَّاهَا} بِلَا شُطُورٍ،وَلَا شُقُوقٍ، وَلَا فُطُورٍ.

قَوْلُهُ: {وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأخرج ضُحَاهَا} [النازعات: ٢٩] قَال ابن جرير: وَأَظْلَمَ لَيْلَ السَّمَاءِ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: {أَغْطَشَ} وَ {جَنَّ}: أَظْلَمَ(٣)، وقيل: أَيْ جَعَلَ لَيْلَهَا مظلمًا أسود حالكًا، ونهارها مضيئًا مشرقًا واضحًا، وقَالَ ابْنُ عَبَّاس {أَغْطَشَ لَيْلَهَا}: أَظْلَمَهُ {وَأخرج ضُحَاهَا}[النازعات: ٢٩] يَعْنِي: أَبْرَزَ نَهَارَهَا فَأَظْهَرَهُ، وَنَوَّرَ ضُحَاهَا ، أي: أنار نهارها.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/٣١٥).
(٢) ذكره البخاري تعليقا ج٤ص١٠٦.
(٣) ذكره البخاري تعليقا ج٤ص١٠٧.

وقَوْلُهُ: {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ}[النازعات: ٣٠] بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ {دَحَاهَا} بَسطَهَا، وَالدَّحْوُ الْبَسْطُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ بِأَقْوَاتِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْحُوَهَا قَبْلَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، ثُمَّ دَحَا الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ.

قال ابن كثير: أَنَّ الْأَرْضَ خُلِقَتْ قَبْلَ السَّمَاءِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا دُحيت بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، بِمَعْنَى أَنَّهُ أَخْرَجَ مَا كَانَ فِيهَا بِالْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وقَوْلُهُ: {أخرج مِنْهَا} من الأَرْض {مَاءَهَا} بِتَفْجِيرِ عُيُونهَا {وَمَرْعَاهَا}[النازعات: ٣١] مَا تَرْعَاهُ النَّعم مِنْ الشَّجَرِ وَالْعُشْب وَمَا يَأْكُلهُ النَّاس مِنْ الْأَقْوَات وَالثِّمَار وَإِطْلَاق الْمَرْعَى عَلَيْهِ اِسْتِعَارَة {وَالْجِبَال أَرْسَاهَا}[النازعات: ٣٢]أَثْبَتَهَا عَلَى وَجْه الْأَرْض لِتَسْكُن {مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ}[النازعات: ٣٣] مَنْفَعَةً لَكُمْ يَعْنِي أَنَّهُ خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، وَأَخْرَجَ مِنَ الْأَرْضِ مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا، مَنْفَعَةً لَنَا، وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ.

قَوْلُهُ: { وَلِأَنْعَامِكُمْ}[النازعات: ٣٣] يَعْنِي الْعُشْبَ، جَمْع نَعَم وَهِيَ الْإِبِل وَالْبَقَر وَالْغَنَم. (١)

وَقَوْلُهُ: {فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى}[النازعات: ٣٤] قال ابن جرير يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَإِذَا جَاءَتِ الَّتِي تَطِمُّ عَلَى كُلِّ هَائِلَةٍ مِنَ الْأُمُورِ، فَتَغْمُرُ مَا سِوَاهَا بِعَظِيمِ هَوْلِهَا، وَقِيلَ: إِنَّهَا اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،قَالَ الْبُخَارِيُّ: {الطَّامَّةُ} «تَطِمُّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ».(٢)

قيل: وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ، لِأَنَّهَا تطم على كل أمر هَائِلٍ مُفْظِعٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **{وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ}** [القمر: ٤٦].

قَوْلُهُ: {يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى} [النازعات: ٣٥] أَيْ: حِينَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ابْنُ آدَمَ جَمِيعَ عَمَلِهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. {وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى}[النازعات: ٣٦] أَيْ: أَظْهَرَتْ لِلنَّاظِرِينَ فَرَآهَا النَّاسُ عِيَانًا، {فَأَمَّا مَن طَغَى}[النازعات: ٣٧] أَيْ: تَمَرَّدَ وَعَتَا عَلَى رَبِّهِ، وَعَصَاهُ وَاسْتَكْبَرَ عَنْ عِبَادَتِهِ ، {وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}[النازعات: ٣٨] أَيْ: وَآثَرَ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَى كَرَامَةِ الْآخِرَةِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِيهَا لِأَوْلِيَائِهِ، فَعَمِلَ لِلدُّنْيَا، وَسَعَى لَهَا، وَتَرَكَ الْعَمَلَ لِلْآخِرَةِ ، {فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى}[النازعات: ٣٩] أَيْ: فَإِنَّ مَصِيرَهُ إِلَى الْجَحِيمِ ،وَإِنَّ مطْعمه مِنَ

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٣٢٩/٨)، مختصر تفسير ابن كثير (٥٩٧/٢)،انظر: تفسير الجلالين (ص: ٧٩٠).
(٢) ذكره البخاري تعليقا (١٦٦/٦).

الزَّقُّومِ وَمَشْرَبَهُ مِنَ الْحَمِيمِ، {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى}[النازعات: ٤٠] أَيْ: خَافَ الْقِيَامَ بَيْنَ يَدَي اللَّهِ عزَّ وجلَّ، وَخَافَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِ، وَنَهَى نَفْسَهُ عَنْ هَوَاهَا، وَرَدَّهَا إِلَى طَاعَةِ مَوْلَاهَا، {فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} [النازعات: ٤١] أَيْ: مُنْقَلَبُهُ وَمَصِيرُهُ إِلَى الْجَنَّةِ الْفَيْحَاءِ.

قَوْلُهُ:{يسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا }[النازعات:٤٢- ٤٤].

قَوْلُهُ: {يسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ}[النازعات: ٤٢] قال ابن كثير: أَيْ: لَيْسَ عِلْمُهَا إِلَيْكَ وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، بَلْ مَردها ومَرجعها إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجلَّ، فَهُوَ الَّذِي يَعْلَمُ وَقْتَهَا عَلَى التَّعْيِينِ، لقولَه تَعَالَى: {ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ} [الْأَعْرَافِ: ١٨٧] .

وفي الصحيحين عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا، بِالْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»(١)

قَوْلُهُ: {أَيَّانَ مُرْسَاهَا}[النازعات: ٤٢] أي: متى وقت قيامها، قال البخاري أي: «مَتَى مُنْتَهَاهَا، وَمُرْسَى السَّفِينَةِ حَيْثُ تَنْتَهِي.(٢)

وقيل: أَيْ لَيْسَ عِلْمُهَا إِلَيْكَ وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، بَلْ مَرَدُّهَا وَمَرْجِعُهَا إِلَى اللَّهِ عزَّ وجلَّ، فَهُوَ الذي يعلم وقتها على التعيين لقوله تعالي: **{قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ}** [سورة الأعراف: ١٨٧] ،عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ عَنِ السَّاعَةِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا} [النازعات: ٤٣] لَسْتَ فِي شَيْءٍ مِنْ عِلْمِهَا وَذِكْرِهَا، أَيْ: لَا تَعْلَمُهَا ،عَنْ مُجَاهِدٍ: يَعْنِي: «مِنْ ذِكْرِ السَّاعَةِ» ،وقال ههنا: {إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ}[النازعات: ٤٤] أَيْ: مُنْتَهَى عِلْمِهَا عِنْدَ اللَّهِ، لَا يَعْلَمُ وَقْتَ قِيَامِهَا غَيْرُهُ، وَلِهَذَا لَمَّا سَأَلَ جِبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عن وقت السَّاعَةُ؟ قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السائل...»(٣).

قَوْلُهُ: {إِنَّمَآ أَنْتَ مُنْذِرُ مَن يَخْشَاهَا}[النازعات: ٤٥] أَيْ : إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِتُنْذِرَ النَّاسَ، وَتُحَذِّرَهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وعذابه، فمن خشي الله وخاف مقام ربه وَوَعِيدَهُ اتَّبَعَكَ فَأَفْلَحَ وَأَنْجَحَ،

(١) أخرجه البخاري رقم(٤٩٣٦) واللفظ له، وأخرجه مسلم رقم (٢٩٥٠).
(٢) ذكره البخاري تعليقا (١٦٦/٦).
(٣) والحديث في الصحيحين أخرجه البخاري رقم (٥٠)، ومسلم (٨).

وَالْخَيْبَةُ وَالْخَسَارُ عَلَى من كَذَّبك وخالفك.

وقوله تَعَالَى: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا}[النازعات: ٤٦] أَيْ: إِذَا قَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى الْمَحْشَرِ يَسْتَقْصِرُونَ مُدَّةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَأَنَّهَا عِنْدَهُمْ كَانَتْ عَشِيَّةً مِنْ يَوْمٍ أَوْ ضحى من يوم، قال ابن عباس: أَمَّا{عَشِيَّةً}[النازعات: ٤٦] فَمَا بَيْنَ الظُّهْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، {أَوْ ضُحَاهَا}[النازعات: ٤٦] مَا بَيْنَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: وَقْتَ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِ الْقَوْمِ حِينَ عَايَنُوا الْآخِرَةَ(١).

انتهى، والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

***

(١) انظر: تفسير مجاهد (ص: ٧٠٤)، تفسير الطبري (١٠١/٢٤)، مختصر تفسير ابن كثير (٥٩٨/٢).

## ٨٠- سُورَةُ عَبَسَ مَكِّيَّةٌ ،وَآيَاتُها اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس: ١] وسَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ، ما رَوَاه الترمذي بسنده، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أُنْزِلَ: {عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس: ١] فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الأَعْمَى، أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرْشِدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الآخَرِ، وَيَقُولُ: أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا؟ فَيَقُولُ: لاَ، فَفِي هَذَا أُنْزِلَ، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ. (١)

وَأخرج بَعْضُهُمْ هَذَا الحَدِيثَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أُنْزِلَ {عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس: ١] فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ عَنْ عَائِشَةَ.

قال أبو جعفر قَوْلُهُ تعالي:{عَبَسَ} [عبس: ١] قَبِضَ وَجْهُهُ تَكَرُّهًا {وَتَوَلَّى} يَقُولُ: وَأَعْرَضَ(٢): وقال البخاري في قوله تعالي: {عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس: ١] أي: «كَلَحَ وَأَعْرَضَ(٣)».

قَوْلُهُ :{أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى} [عبس: ٢] وهو: عَبْد اللَّه بْن أُمّ مَكْتُوم فَقَطَعَهُ عَمَّا هُوَ مَشْغُول بِهِ مِمَّنْ يَرْجُو إِسْلَامه مِنْ أَشْرَاف قُرَيْش. (٤)

قَوْلُهُ تعالي: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى} [عبس: ٣] أي:يَتَطَهَّرَ مِنَ الذُّنُوبِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَمَا يَتَعَلَّمُهُ مِنْكَ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: يُسْلِمُ.

قَوْلُهُ: {أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى}[عبس: ٤] يَعْنِي يَعْتَبِرُ فَيَنْفَعُهُ الاعْتِبَارُ وِالاتِّعَاظُ {أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى}[عبس: ٥] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَنِ اللَّهِ وَعَنِ الْإِيمَانِ بِمَا لَهُ مِنَ الْمَالِ، قال أبو جعفر: أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى بِمَالِهِ، {فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى}[عبس: ٦] فَأَنْتَ لَهُ تَتَعَرَّضُ، وَتُقْبِلُ عَلَيْهِ وَتُصْغِي إِلَى كَلَامِهِ رَجَاءَ أَنْ يُسْلِمَ، قال ابن كثير أَيْ: أَمَّا الْغَنِيُّ فَأَنتَ تَتَعَرَّضُ لَهُ لَعَلَّهُ يَهْتَدِي، قَالَ

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٣٣١)، وصححه الألباني،وأحمد شاكر.
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠٢/٢٤).
(٣) ذكره البخاري تعليقا (١٦٦/٦).
(٤) انظر: تفسير الجلالين (ص: ٧٩٢).

الْبُخَارِيُّ: {تَصَدَّى}: تَغَافَلَ عَنْهُ،والأرجح الأول،والله أعلم(١).

وقَوْلُهُ: {وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى}[عبس: ٧] يَقُولُ: وَأَيُّ شَيْءٍ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَتَطَهَّرَ مِنْ كُفْرِهِ فَيُسْلِمَ؟، وقيل: أَيْ مَا أَنْتَ بِمُطَالَبٍ بِهِ إِذَا لَمْ يزك نفسه.

{وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى}[عبس: ٨-٩] يَقُولُ: وَأَمَّا هَذَا الْأَعْمَى الَّذِي جَاءَكَ سَعْيًا وَهُوَ يَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقِيهِ {فَأَنتَ عَنْهُ تلهَّى}[عبس: ١٠] فَأَنْتَ عَنْهُ تُعْرِضُ، وَتَشَاغَلُ عَنْهُ بِغَيْرِهِ وَتَغَافَلُ {كَلَّا} مَا الْأَمْرُ كَمَا تَفْعَلُ يَا مُحَمَّدُ، مِنْ أَنْ تَعْبَسَ فِي وَجْهِ مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى، وَتَتَصَدَّى لِمَنِ اسْتَغْنَى{إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ}[عبس: ١١] يَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ الْعِظَةَ وَهَذِهِ السُّورَةَ {تَذْكِرَةٌ} يَقُولُ: عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ {فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ}[عبس: ١٢] يَقُولُ: فَمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ذَكَرَهُ، يَقُولُ: ذَكَرَ تَنْزِيلَ اللَّهِ وَوَحْيَهُ، وَالْهَاءُ فِي قَوْلِهِ إِنَّهَا لِلسُّورَةِ، وَفِي قَوْلِهِ ذَكَرَهُ لِلتَّنْزِيلِ وَالْوَحْيِ يَقُولُ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (٢).

قَوْلُهُ: {فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ}[عبس: ١٣-١٤] قيل: يَعْنِي فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَهُوَ الْمَرْفُوعُ الْمُطَهَّرُ عِنْدَ اللَّهِ ، وقيل:{مَرْفُوعَةٍ} رَفِيعَةِ الْقَدْرِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. {مُطَهَّرَةٍ} من الدَّنس {بأيدي سفرة} يَقُولُ: الصُّحُفُ الْمُكَرَّمَةُ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ، جَمْعُ سَافِرٍ، وقيل: كَتَبة؛ يَعْنِي: الْمَلَائِكَةَ(٣)، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ}[عبس: ١٥] قَالَ: السَّفَرَةُ: الَّذِينَ يُحْصُونَ الْأَعْمَالَ، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: سَفَرَةٌ: الْمَلَائِكَةُ، سفرت: أَصْلَحَتْ بَيْنَهُمْ، وَجُعِلَتِ الملائكةُ إِذَا نَزَلَتْ بِوَحْيِ اللَّهِ وَتَأْدِيَتِهِ كَالسَّفِيرِ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ الْقَوْمِ(٤).

وقال أبو جعفر: وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَسْفِرُونَ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ بِالْوَحْيِ.

قَوْلُهُ: {كِرَامٍ بَرَرَةٍ}[عبس: ١٦] أَيْ: كِرَامٍ عَلَى الله،{ بَرَرَةٍ} مُطِيعِينَ، جَمْعُ بَارٍّ ، وفي الصحيحين من حديث عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ»(٥).

(١) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٦٦.
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠٦/٢٤)، تفسير ابن كثير (٣١٩/٨).
(٣) انظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٩٥/٥).
(٤) ذكره البخاري تعليقا (٢٠٦/٦).
(٥) أخرجه البخاري رقم (٤٩٣٧)،أخرجه مسلم رقم (٧٩٨) واللفظ له.

قَوْلُهُ: {قُتِلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ} [عبس: ١٧] قال ابن جرير: لُعِنَ الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ مَا أَكْفَرَهُ ،قَالَ الْبُخَارِيُّ: {قُتِلَ الإِنْسَانُ} أي: لُعِنَ، (١) قَالَ الضَّحَّاكُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {قُتِلَ الإِنْسَانُ} لُعِنَ الْإِنْسَانُ ، وَكَذَا قَالَ أَبُو مَالِكٍ، وَهَذَا لِجِنْسِ الْإِنْسَانِ الْمُكَذِّبِ؛ لِكَثْرَةِ تَكْذِيبِهِ بِلَا مُسْتَنَدٍ، بَلْ بِمُجَرَّدِ الِاسْتِبْعَادِ وَعَدَمِ الْعِلْمِ.

وقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: {مَا أَكْفَرَهُ} مَا أَشَدَّ كُفْرَهُ! وَقَالَ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ: أَيُّ شَيْءٍ جَعَلَهُ كَافِرًا؟ أَيْ: مَا حَمَلَهُ عَلَى التَّكْذِيبِ بِالْمَعَادِ، عَنْ سُفْيَانَ، {قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ} [عبس: ١٧] بَلَغَنِي أَنَّهُ الْكَافِرُ وَفِي قَوْلِهِ: {أَكْفَرَهُ} [عبس: ١٧] وَجْهَانِ.

**أَحَدُهُمَا:** التَّعَجُّبُ مِنْ كُفْرِهِ، مَعَ إِحْسَانِ اللَّهِ إِلَيْهِ، وَأَيَادِيهِ عِنْدَهُ. **وَالْآخَرُ:** مَا الَّذِي أَكْفَرَهُ، أَيْ: أَيُّ شَيْءٍ أَكْفَرَهُ؟.

وَقَالَ قَتَادَةُ: {مَا أَكْفَرَهُ} مَا أَلْعَنَهُ، ثُمَّ بَيَّنَ تَعالَى لَهُ كَيْفَ خَلَقَهُ مِنَ الشَّيْءِ الْحَقِيرِ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَتِهِ كَمَا بَدَأَهُ، فَقَالَ: {مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ }[عبس: ١٨] أَيْ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَ اللَّهُ هَذَا الْكَافِرَ، وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ،{ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ}[عبس: ١٨]قال لشوكاني: أَيْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، وَهَذَا تَحْقِيرٌ لَهُ،و قَالَ الْحَسَنُ: كَيْفَ يَتَكَبَّرُ مَنْ خَرَجَ مِنْ مَخْرَجِ الْبَوْلِ مَرَّتَيْنِ، وَمَعْنَى فَقَدَّرَهُ أَيْ: فَسَوَّاهُ وَهَيَّأَهُ لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ، وَخَلَقَ لَهُ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ وَالْعَيْنَيْنِ وَسَائِرَ الْآلَاتِ وَالْحَوَاسِّ، وَقِيلَ: قَدَّرَهُ أَطْوَارًا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، نُطْفَةً ثُمَّ عَلَقَةً إِلَى أَنْ تَمَّ خَلْقُهُ.

وقَوْلُهُ: {ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ}[عبس: ٢٠] أَيْ: يَسَّرَ لَهُ الطَّرِيقَ إِلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ،و قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ثُمَّ يَسَّرَ عَلَيْهِ خُرُوجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَوْلُهُ:{ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ}[عبس: ٢١] أَيْ: إِنَّهُ بَعْدَ خَلْقِهِ لَهُ {أَقْبَرَهُ} قَالَ الْبُخَارِيُّ: أَقْبَرْتُ الرَّجُلَ، أُقْبِرُهُ، إِذَا جَعَلْتَ لَهُ قَبْرًا، وَقَبَرْتُهُ: دَفَنْتُهُ(٢)، وقيل أَيْ: جَعَلَهُ ذَا قَبْرٍ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: «قَبَرْتُ الرَّجُلَ»: إِذَا وَلِيَ ذَلِكَ مِنْهُ، وَأَقْبَرَهُ اللَّهُ(٣).

أَيْ: جَعَلَهُ بَعْدَ أَنْ أَمَاتَهُ ذَا قَبْرٍ يُوَارَى فِيهِ إِكْرَامًا لَهُ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِمَّا يُلْقَى عَلَى وَجْهِ

---

(١) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٣٩.
(٢) ذكره البخاري تعليقا ج٢ص١٠٢.
(٣) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٣٣٧)،تفسير ابن كثير (٣٢٢/٨).

الْأَرْضِ تَأْكُلُهُ السِّبَاعُ وَالطَّيْرُ، كَذَا قَالَ الْفَرَّاءُ: وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: جَعَلَ له قبرا وأمر أن يقبر فيه. وقال أقبره، وَلَمْ يَقُلْ قَبَرَهُ، لِأَنَّ الْقَابِرَ هُوَ الدَّافِنُ بِيَدِهِ.

قَوْلُهُ: {ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ}[عبس: ٢٢] يَقُولُ: ثُمَّ إِذَا شَاءَ اللَّهُ {أَنْشَرَهُ}بَعْدَ مَمَاتِهِ وَأَحْيَاهُ، يُقَالُ: أَنْشَرَ اللَّهُ الْمَيِّتَ، بِمَعْنَى: أَحْيَاهُ، وَعَلَّقَ الْإِنْشَارَ بِالْمَشِيئَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ وَقْتَهُ غَيْرَ مُتَعَيِّنٍ، بَلْ هُوَ تَابِعٌ لِلْمَشِيئَةِ. وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ». (١)

قَوْلُهُ: {كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ}[عبس: ٢٣] كَلَّا:رَدْعٌ وَزَجْرٌ لِلْإِنْسَانِ الْكَافِرِ، أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ ، مِنْ أَنَّهُ قَدْ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ عَلَيْهِ، فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ {لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ}أي: لَمْ يُؤَدِّ مَا فَرَضَ عَلَيْهِ مِنَ فَرَائِضِ رَبُّهُ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ مُجَاهِدٌ{لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ }:لاَ يَقْضِي أَحَدٌ مَا أُمِرَ بِهِ (٢).

قَوْلُهُ: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ}[عبس: ٢٤] أَيْ: يَنْظُرْ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ طَعَامَهُ الَّذِي جَعَلَهُ سَبَبًا لِحَيَاتِهِ؟ وَكَيْفَ هَيَّأَ لَهُ أَسْبَابَ الْمَعَاشِ يَسْتَعِدُّ بِهَا لِلسَّعَادَةِ الْأُخْرَوِيَّةِ؟ قَالَ مُجَاهِدٌ: مَعْنَاهُ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ، أَيْ: إِلَى مَدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى.

قَوْلُهُ: {أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا}[عبس: ٢٥] أي: أَنَّا أَنْزَلْنَا الْغَيْثَ مِنَ السَّمَاءِ إِنْزَالًا، وَصَبَبْنَاهُ عَلَيْهَا صَبًّا، وقيل: الْمَطَرُ. (٣)

قَوْلُهُ: {ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا} [عبس: ٢٦] قال أبو جعفر: ثُمَّ فَتَقْنَا الْأَرْضَ، فَصَدَعْنَاهَا بِالنَّبَاتِ. {فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا}[عبس: ٢٧] يَعْنِي: حَبَّ الزَّرْعِ، وَهُوَ كُلُّ مَا أَخْرَجَتْهُ الْأَرْضُ مِنَ الْحُبُوبِ، كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. قَوْلُهُ: {وَعِنَبًا} يَقُولُ: وَكَرْمَ عِنَبٍ{وَقَضْبًا}[عبس: ٢٨] ويَعْنِي بِالْقَضْبِ: الرَّطْبَةَ، وَأَهْلُ مَكَّةَ يُسَمُّونَ الْقَتَّ الْقَضْبَ، في الصحاح : والقضبة والقضب الرطبة ، وعَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ: {وَقَضْبًا} قَالَ: الْقَضْبُ: الْعَلَفُ، وَقَوْلُهُ: {وَزَيْتُونًا}[عبس: ٢٩] وَهُوَ الزَّيْتُونِ الَّذِي مِنْهُ الزَّيْتُ {وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا}[عبس: ٣٠] وَالْحَدِيقَةَ الْبُسْتَانُ الْمَحُوطُ عَلَيْهِ، {غُلْبًا} قَالَ الْبُخَارِيُّ: الغُلْبُ:

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٨١٤)، أخرجه مسلم برقم (٢٩٥٥) واللفظ له.
(٢) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٦٦.
(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني (٤٦٨/٥).

المُلْتَفَّةُ(١)، وقيل: أَشْجَارًا فِي بَسَاتِينَ غِلَاظٍ، وقيل: بَساتين عِظامًا مُتكاثفة الأشجار.
قَوْلُهُ: {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا }[عبس: ٣١] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: {وَفَاكِهَةً}: مَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ مِنْ ثِمَارِ الْأَشْجَارِ، {وَأَبًّا}[عبس: ٣١] **وَالْأَبُّ:** مَا تَأْكُلُهُ الْبَهَائِمُ مِنَ الْعُشْبِ وَالنَّبَاتِ، وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضى اللَّهُ عَنْهُ **{عَبَسَ وَتَوَلَّى}** فَلَمَّا أَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا}[عبس: ٣١] قَالَ: قَدْ عَرَفْنَا الْفَاكِهَةَ، فَمَا الْأَبُّ؟ قَالَ: لَعَمْرُكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكَلُّفُ {مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ}[عبس: ٣٢] يَقُولُ: أَنْبَتْنَا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي يَأْكُلُهَا بَنُو آدَمَ {مَتَاعًا لَكُمْ} أَيُّها النَّاسُ، ومَنْفَعَةً تَتَمَتَّعُونَ بِهَا وَتَنْتَفِعُونَ، وَالَّتِي يَأْكُلُهَا الْأَنْعَامُ {وَلِأَنْعَامِكُمْ}وَأَصْلُ الْأَنْعَامِ الْإِبِلُ، ثُمَّ تُسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ رَاعِيَةٍ. (٢)
قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ}[عبس: ٣٣] يَعْنِي صَيْحَةَ الْقِيَامَةِ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَصُخُّ الْأَسْمَاعَ، أَيْ: تُبَالِغُ فِي الْأَسْمَاعِ حَتَّى تَكَادَ تُصِمُّهَا.
قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ}[عبس: ٣٤] يَقُولُ: فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ فِي هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي يَفِرُّ فِيهِ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: {يَفِرُّ مِنْ أَخِيهِ} أي: يَفِرُّ عَنْ أَخِيهِ لِئَلَّا يَرَاهُ، وَمَا يَنْزِلُ بِهِ {وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ }[عبس: ٣٥-٣٦] قال أبو جعفر: حَذَرًا مِنْ مُطَالَبَتِهِمْ إِيَّاهُ، بِمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مِنَ التَّبِعَاتِ وَالْمَظَالِمِ، قَالَ قَتَادَةُ: الْأَحَبُّ فالأحب، وَالْأَقْرَبُ فالأقربَ، مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ. (٣)
وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ-فِي أَمْرِ الشَّفَاعَةِ-: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنَ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ، فَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى ". [٤]
قَوْلُهُ تَعَالَى:{لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ}[عبس: ٣٧] يَعْنِي مِنَ الرَّجُلِ وَأَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَسَائِرِ مَنْ ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ {يَوْمَئِذٍ} يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ.
قَوْلِهِ: {شَأْنٌ يُغْنِيهِ} يَقُولُ: أَمْرٌ يُغْنِيهِ، وَيَشْغَلُهُ عَنْ شَأْنِ غَيْرِهِ {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ}[عبس: ٣٨] قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {مُسْفِرَةٌ}: مُشْرِقَةٌ(٥).
قال أبو جعفر يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ}أي: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُشْرِقَةٌ مُضِيئَةٌ،

---

(١) ذكره البخاري تعليقا ج٤ص١٠٧.
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢٧/٢٤).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣٢٦/٨).
[٤] أخرجه البخاري رقم(٣٣٦١).
(٥) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٦٦.

وَهِيَ وُجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ قَدْ رضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قَوْلُهُ:{ضَاحِكَةٌ} يَقُولُ: ضَاحِكَةٌ مِنَ السُّرُورِ بِمَا أَعْطَاهَا اللَّهُ مِنَ النَّعِيمِ وَالْكَرَامَةِ {مُسْتَبْشِرَةٌ}[عبس: ٣٩]لِمَا تَرْجُو مِنَ الزِّيَادَةِ، فَرِحَةٌ بِمَا نَالَتْ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَوْلُهُ: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ}[عبس: ٤٠] وَهِيَ وُجُوهُ الْكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ، ذُكِرَ أَنَّ الْبَهَائِمَ الَّتِي يُصَيِّرُهَا اللَّهُ تُرَابًا يَوْمَئِذٍ بَعْدَ الْقَضَاءِ بَيْنَهَا، يُحَوَّلُ ذَلِكَ التُّرَابُ غَبَرَةً فِي وُجُوهِ أَهْلِ الْكُفْرِ {تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ}[عبس: ٤١] فهي سوداء مظلمة مدلهمة، قد أيست من كل خير، وعرفت شقاءها وهلاكها.

يَقُولُ: يَغْشَى تِلْكَ الْوُجُوهَ قَتَرَةٌ، وَهِيَ الْغَبَرَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: {تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ} يَقُولُ: تَغْشَاهَا ذِلَّةٌ.

و قَوْلُهُ: {أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ}[عبس: ٤٢] أي: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَذِهِ صِفَتُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمُ الْكَفَرَةُ بِاللَّهِ، كَانُوا فِي الدُّنْيَا الْفَجَرَةَ فِي دِينِهِمْ، لَا يُبَالُونَ مَا أَتَوْا بِهِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ، وَرَكِبُوا مِنْ مَحَارِمِهِ، فَجَزَاهُمُ اللَّهُ بِسُوءِ أَعْمَالِهِمْ مَا أَخْبَرَ بِهِ عِبَادَهُ (١).

انتهى؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

***

(١) انظر: تفسير الطبري (١٢٨/٢٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٦)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٦٢)، تفسير السعدي (ص: ٩١١).

## ٨١- سُورَةُ التَّكْوِير مَكِّيَّةٌ ، وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَعِشْرُونَ

أخرج البخاري في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الشَّمْسُ وَالقَمَرُ مُكَوَّرَانِ[١] يَوْمَ القِيَامَةِ». (٢)

وأخرج الترمذي في سننه بسنده عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَهُوَ ابْنُ يَزِيدَ الصَّنْعَانِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ» فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ». (٣)

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} [التكوير: ١]قَالَ ابن كثير قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ،عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} [التكوير: ١] يَعْنِي: أَظْلَمَتْ، وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ: {كُوِّرَتْ} أُلْقِيَتْ، وَعَنْهُ أَيْضًا: نُكِّسَتْ، وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: تَقَعُ فِي الْأَرْضِ، وعَنْ سَعِيدٍ، فِي قَوْلِهِ {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} [التكوير: ١] قَالَ: {كُوِّرَتْ} كَوْرًا بِالْفَارِسِيَّةِ ،وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَى ذَلِكَ: رُمِيَ بِهَا، وقَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ الحَسَنُ: تُكَوَّرُ حَتَّى يَذْهَبَ ضَوْءُهَا(٤)، وقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:

وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنْ يُقَالَ {كُوِّرَتْ} كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَالتَّكْوِيرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: جَمْعُ بَعْضِ الشَّيْءِ إِلَى بَعْضٍ، وَذَلِكَ كَتَكْوِيرِ الْعِمَامَةِ، وَهُوَ لَفُّهَا عَلَى الرَّأْسِ، وقيلَ مَعْنَاهُ: جَمْعُ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لُفَّتْ فَرُمِيَ بِهَا، وَإِذَا فُعِلَ ذَلِكَ بِهَا ذَهَبَ ضَوْءُهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى:{وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ} [التكوير: ٢] قال ابن كثير أَيِ: انْتَثَرَتْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ} [الِانْفِطَارِ: ٢] ، وَأَصْلُ الِانْكِدَارِ: الِانْصِبَابُ، وقَالَ الْبُخَارِيُّ: {انْكَدَرَتْ} انْتَثَرَتْ(٥).

قَوْلُهُ: {وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ}[التكوير: ٣] قال أبو جعفر: وَإِذَا الْجِبَالُ سَيَّرَهَا اللَّهُ فَكَانَتْ سَرَابًا وَهَبَاءً مُنْبَثًّا، وقيل: قُلِعَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَصَارَتْ هَبَاءً مَنْثُورًا.

قَوْلُهُ: {وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ}[التكوير: ٤] وَهِيَ النُّوقُ الْحَوَامِلُ الَّتِي أَتَى عَلَى حَمْلِهَا

---

[١] (مكوران) مطويان وقد ذهب ضوؤهما.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٣٢٠٠).

(٣) أخرجه الترمذي رقم (٣٣٣٣)، وصححه الألباني.

(٤) ذكره البخاري تعليقا ج٤ص١٠٧.

(٥) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٦٦.

عَشَرَةُ أَشْهُرٍ، وَاحِدَتُهَا عُشَرَاءُ، ثُمَّ لَا يَزَالُ ذَلِكَ اسْمُهَا حَتَّى تَضَعَ لِتَمَامِ سَنَةٍ، وَهِيَ أَنْفَس مَالٍ عِنْدَ الْعَرَبِ{عُطِّلَتْ} تُركَتْ مُهْمَلَةً بِلَا رَاعٍ أَهْمَلَهَا أَهْلُهَا، وَكَانُوا لَازِمِينَ لِأَذْنَابِهَا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَالٌ أَعْجَبَ إِلَيْهِمْ مِنْهَا، لِمَا جَاءَهُمْ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، واختاره ابن جرير {وَإِذَا الْوُحُوشُ}[التكوير: ٥] يَعْنِي دَوَابَّ الْبَرِّ {حُشِرَتْ} أي: جُمِعَتْ بَعْدَ الْبَعْثِ لِيُقْتَصَّ لِبَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ، وَأخرج عِكْرِمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: حَشْرُهَا: مَوْتُهَا.

قَوْلُهُ: {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ}[التكوير: ٦] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أُوقِدَتْ فَصَارَتْ نَارًا تَضْطَرِمُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَمُقَاتِلٌ: يَعْنِي فُجِّرَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، الْعَذْبُ وَالْمِلْحُ، فَصَارَتِ الْبُحُورُ كُلُّهَا بَحْرًا وَاحِدًا، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: **{الْمَسْجُورُ}:** الْمَمْلُوءُ،وقَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ الحَسَنُ: {سُجِّرَتْ}: ذَهَبَ مَاؤُهَا، فَلاَ يَبْقَى قَطْرَةٌ(١)، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ، وقيل: ذَهَبَ مَاؤُهَا فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا قَطْرَةٌ، قَالَ أبو جعفر: وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: مُلِئَتْ حَتَّى فَاضَتْ، فَانْفَجَرَتْ وَسَالَتْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى:{وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ}[التكوير: ٧] قال ابن كثير أَيْ: جُمِعَ كُلُّ شَكْلٍ إِلَى نَظِيرِهِ، كَقَوْلِهِ: {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ} [الصَّافَّات: ٢٢] ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: لَحِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ بِشِيعَتِهِ، الْيَهُودُ بِالْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى بِالنَّصَارَى، وعَنْ عُمَرَ قَالَ: {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} قَالَ: الضُّرَبَاءُ كُلُّ رَجُلٍ مَعَ كُلِّ قَوْمٍ كَانُوا يَعْمَلُونَ عَمَلَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: **{وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} [الواقعة: ٨]** قَالَ: هُمُ الضُّرَبَاءُ، واختاره ابن جرير.

قَوْلُهُ تَعَالَى:{وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ } [التكوير: ٨] قال ابن كثير: وَالْمَوْءُودَةُ هِيَ الَّتِي كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَدُسُّونَهَا فِي التُّرَابِ كَرَاهِيَةَ الْبَنَاتِ، فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تُسْأَلُ الْمَوْءُودَةُ {بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} [التكوير: ٩] عَلَى أَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ، لِيَكُونَ ذَلِكَ تَهْدِيدًا لِقَاتِلِهَا، **فَإِذَا سُئِلَ الْمَظْلُومُ فَمَا ظَنُّ الظَّالِمِ إِذًا؟!(٢).**

وقيل: وإنما تُسأل هي على التوبيخ لقاتلها، **وقَالَ أَبُو الضُّحَى: سَأَلَتْ قَتَلَتَهَا، وقيل: طَلَبَتْ بِدِمَائِهَا**، وعَنْ قَتَادَةَ، {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ}: هِيَ فِي بَعْضِ الْقِرَاءَاتِ بالفتح على السين: **(سَأَلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)** لَا بِذَنْبٍ، كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمُ ابْنَتَهُ، وَيَغْذُو كَلْبَهُ،

(١) ذكره البخاري تعليقا (ج٦ص١٦٦).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣٣٣/٨).

فَعَابَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ.

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ جُدَامَةَ بِنْتِ وَهْبٍ، أُخْتِ عُكَّاشَةَ، قَالَتْ: حَضَرْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فِي أُنَاسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ(١)، فَنَظَرْتُ فِي الرُّومِ وَفَارِسَ، فَإِذَا هُمْ يُغِيلُونَ أَوْلَادَهُمْ(٢)، فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ ذَلِكَ شَيْئًا»، ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنِ الْعَزْلِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَلِكَ الْوَأْدُ الْخَفِيُّ»[٣]، زَادَ عُبَيْدُ اللهِ فِي حَدِيثِهِ: عَنِ الْمُقْرِئِ، وَهِيَ:{وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ} (٤)

وقَوْلُهُ: {وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ} [التكوير: ١٠] قال ابن جرير: وَإِذَا صُحُفُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ نُشِرَتْ لَهُمْ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَطْوِيَّةً عَلَى مَا فِيهَا مَكْتُوبٌ، مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، وعَنْ قَتَادَةَ قَوْلُهُ: {وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ} [التكوير: ١٠] صَحِيفَتُكَ يَا ابْنَ آدَمَ، تُمْلِي مَا فِيهَا، ثُمَّ تُطْوَى، ثُمَّ تُنْشَرُ عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (٥)

وقَوْلُهُ تَعَالَى:{وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ}[التكوير: ١١] قال الشوكاني الكَشْطُ: قَلْعٌ عَنْ شِدَّةِ التزاقٍ، فالسَّماءُ تُكْشَطُ كَما يُكْشَطُ الجِلْدُ عَنِ الكَبْشِ، والقَشْطُ بِالقافِ لُغَةٌ في الكَشْطِ، وهي قِراءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ.

قالَ الزَّجّاجُ: قُلِعَتْ كَما يُقْلَعُ السَّقْفُ، وقال أبو جعفر أي: نُزِعَتْ وَجُذِبَتْ، ثُمَّ طُوِيَتْ.

وقَالَ الْبُخَارِيُّ: كُشِطَتْ، وَقُشِطَتْ: نُزِعَتْ، وَقَرَأَ عَبْدُ اللهِ: قُشِطَتْ. (٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى:{وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ}[التكوير: ١٢] بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ أُجِّجَتْ، قَالَ السُّدِّيُّ: أُحْمِيَتْ، وَقَالَ قَتَادَةُ: أُوقِدَتْ، قَالَ: وَإِنَّمَا يُسَعِّرُهَا غَضَبُ اللهِ وَخَطَايَا بَنِي آدَمَ.

---

(١) (وَالْغِيلَةُ )أَنْ يَمَسَّ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ وَهِيَ تُرْضِعُ، وسبب همه ﷺ بالنهي عنها خوف إصابة الضرر الولد، قَالَهُ مَالِكٌ.

(٢) (فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ ذَلِكَ شَيْئًا) يَعْنِي: لَوْ كَانَ الْجِمَاعُ حَالَ الرَّضَاعِ أَوِ الْإِرْضَاعِ حَالَ الْحَمْلِ مُضِرًّا لَضَرَّ أَوْلَادَ الرُّومِ وَفَارِسَ؛ لِأَنَّهُمْ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ مَعَ كَثْرَةِ الْأَطِبَّاءِ فِيهِمْ، فَلَوْ كَانَ مُضِرًّا لَمَنَعُوهُمْ مِنْهُ، فَحِينَئِذٍ لَا أَنْهَى عَنْهُ. انظر: شرح الزرقاني على الموطأ (٣/٣٧٦).

[٣] (ذلك الوأد الخفي) الوأد دفن البنت وهي حية، وكانت العرب تفعله خشية الإملاق، وربما فعلوه خوف العار.

(٤) أخرجه مسلم رقم (١٤٤٢).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٤/١٣١)، تفسير البغوي (٨/٣٤٦)، تفسير عبد الرزاق (٣/٣٩٥)، تفسير ابن كثير (٨/٣٢٨) ،تفسير الجلالين (ص: ٧٩٤).

(٦) ذكره البخاري تعليقا ج٧ص١٢٤.

قَوْلُه تَعالَى:{وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ}[التكوير: ١٣] أي: وَإِذَا الْجَنَّةُ قُرِّبَتْ وَأُدْنِيَتْ .
قال الشوكاني: قِيلَ هَذِهِ الأُمُورُ الاِثْنا عَشَرَ: سِتٌّ مِنها في الدُّنْيا، وهِي مِن أوَّلِ السُّورَةِ إلى قَوْلِهِ: {وإذا البِحارُ سُجِّرَتْ}، وسِتٌّ في الآخِرَةِ وهي :{وإذا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} إلى هُنا.
وجَوابُ الجَمِيعِ قَوْلُهُ: {عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أحْضَرَتْ} عَلى أنَّ المُرادَ الزَّمانُ المُمْتَدُّ مِنَ الدُّنْيا إلى الآخِرَةِ، لَكِنْ لا بِمَعْنى أنَّها تَعْلَمُ ما تَعْلَمُ في كُلِّ جُزْءٍ مِن أجْزاءِ هَذا الوَقْتِ المُمْتَدِّ، بَلِ المُرادُ عَلِمَتْ ما أحْضَرَتْهُ عِنْدَ نَشْرِ الصُّحُفِ: يَعْنِي ما عَمِلَتْ مِن خَيْرٍ أوْ شَرٍّ.
قَوْلُهُ تَعالَى:{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ} [التكوير: ١٤] قال أبو جعفر: عَلِمَتْ نَفْسٌ عِنْدَ ذَلِكَ مَا أَحْضَرَتْ مِنْ خَيْرٍ فَتَصِيرُ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، أَوْ شَرٍّ فَتَصِيرُ بِهِ إِلَى النَّارِ، يَقُولُ: يَتَبَيَّنُ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ مَا كَانَ جَاهِلًا بِهِ، وَمَا الَّذِي كَانَ فِيهِ صَلَاحُهُ مِنْ غَيْرِهُ. (١)
وَقَوْلُهُ: {فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ} [التكوير:١٥- ١٦]قال الشوكاني أَيْ: فَأُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ، وهي الكَواكِبُ،قال بن جرير : اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْخُنَّسِ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ النُّجُومُ الدَّرَارِيُّ الْخَمْسَةُ، تَخْنِسُ فِي مُجْرَاهَا فَتَرْجِعُ، وَتَكْنِسُ فَتَسْتَتِرُ فِي بُيُوتِهَا، كَمَا تَكْنِسُ الظِّبَاءُ فِي الْمُغَارِ، وَالنُّجُومُ الْخَمْسَةُ: بَهْرَامُ، وَزُحَلُ، وَعطَارِدُ، وَالزُّهْرَةُ، وَالْمُشْتَرِي، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، {فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ}[التكوير: ١٥] قَالَ: الظِّبَاءُ(٢)، وَقَالَ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: {فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ} قَالَ: بَقَرُ الْوَحْشِ، وَكَذَا قَالَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: {فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِي الْكُنَّسِ}[التكوير: ١٦] مَا هِيَ يَا عَمْرُو؟ قُلْتُ: الْبَقَرُ، قَالَ: وَأَنَا أَرَى ذَلِكَ، وَكَذَا أخرج يُونُسُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيٍّ {فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ الْجَوَارِي الْكُنَّسِ} قَالَ: هِيَ النُّجُومُ تَخْنِسُ بِالنَّهَارِ، وَتَظْهَرُ بِاللَّيْلِ، وقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ النُّجُومُ الدَّرَارِيُّ الْخَمْسَةُ، تَخْنِسُ فِي مُجْرَاهَا فَتَرْجِعُ، وَتَكْنِسُ فَتَسْتَتِرُ فِي بُيُوتِهَا، كَمَا تَكْنِسُ الظِّبَاءُ فِي الْمُغَارِ، وَالنُّجُومُ الْخَمْسَةُ: بَهْرَامُ، وَزُحَلُ، وَعطَارِدُ، وَالزُّهْرَةُ، وَالْمُشْتَرِي، وَوَجْهُ تَخْصِيصِهَا بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ النُّجُومِ أَنَّهَا تَسْتَقْبِلُ الشَّمْسَ وَتَقْطَعُ الْمَجَرَّةَ.
وَقَالَ فِي الصِّحَاحِ:الْخُنَّسُ: الْكَوَاكِبُ كُلُّهَا لِأَنَّهَا تَخْنِسُ فِي الْمَغِيبِ، أَوْ لِأَنَّهَا تَخْفَى نَهَارًا، أَوْ يُقَالُ هِيَ الْكَوَاكِبُ السَّيَّارَةُ مِنْهَا دُونَ الثَّابِتَةِ.

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥١/٢٤).
(٢) (الظباء) جمع ظبي وهو الغزال.

وقَالَ الْبُخَارِيُّ: الخُنَّسُ: تَخْنِسُ فِي مُجْرَاهَا، تَرْجِعُ، وَتَكْنِسُ: تَسْتَتِرُ، كَمَا تَكْنِسُ الظِّبَاءُ. (١)

وَتَوَقَّفَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي قَوْلِهِ: {الْخُنَّسِ الْجَوَارِي الْكُنَّسِ} هَلْ هُوَ النُّجُومُ، أَوِ: الظِّبَاءُ وَبَقَرُ الْوَحْشِ؟ قَالَ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْجَمِيعُ مُرَادًا، وقال: فَالصَّوَابُ أَنْ يَعُمَّ بِذَلِكَ كُلَّ مَا كَانَتْ صِفَتُهُ الْخُنُوسَ أَحْيَانًا، وَالْجَرْيَ أُخْرَى، وَالْكُنُوسُ بِآنَاتٍ عَلَى مَا وَصَفَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ صِفَتِهَا {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ}[التكوير: ١٧] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَعْنِي: إِذَا أَدْبَرَ، وعَنْ عَطِيَّةَ {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ} قَالَ: أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: {عَسْعَسَ}: أظلم(٢)، و قال أبو جعفر: أَوْلَى التَّأْوِيلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي: قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: إِذَا أَدْبَرَ، وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ: {وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ}[التكوير: ١٨] فَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْقَسَمَ بِاللَّيْلِ مُدْبِرًا،وبِالنَّهَارِ مُقْبِلًا، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: عَسْعَسَ اللَّيْلُ، وَسَعْسَعَ اللَّيْلُ: إِذَا أَدْبَرَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا الْيَسِيرُ {وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ} يَقُولُ: وَضَوْءِ النَّهَارِ إِذَا أَقْبَلَ وَتَبَيَّنَ {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ}[التكوير: ١٩] يَعْنِي جِبْرِيلَ، نَزَّلَهُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صلوات الله وسلامه عليهم جميعا{ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ} أي: ذِي قُوَّةٍ، يَعْنِي جَبْرَائِيلَ عَلَى مَا كُلِّفَ مِنْ أَمْرٍ غَيْرَ عَاجِزٍ {عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ}[التكوير: ٢٠] يَقُولُ: هُوَ مَكِينٌ عِنْدَ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ {مُطَاعٍ ثَمَّ} يَعْنِي جِبْرِيلَ ﷺ، مُطَاعٍ فِي السَّمَاءِ تُطِيعُهُ الْمَلَائِكَةُ {أَمِينٍ}[التكوير: ٢١] أَمِينٌ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى وَحْيِهِ وَرِسَالَتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ائْتَمَنَهُ عَلَيْهِ {وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ}[التكوير: ٢٢] أي: وَمَا صَاحِبُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مُحَمَّدٌ -ﷺ- بِمَجْنُونٍ، فَيَتَكَلَّمُ عَنْ جِنَّةٍ، وَيَهْذِي هَذَيَانَ الْمَجَانِينِ، بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ، وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ.

وقَوْلُهُ تَعَالَى:{وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ}[التكوير: ٢٣] قال ابن كثير: وَلَقَدْ رَأَى محمدٌ جِبْرِيلَ الَّذِي يَأْتِيهِ بِالرِّسَالَةِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، لَهُ سِتُّمِائَةُ جَنَاحٍ(٣)، وعَنِ الشَّعْبِيِّ {وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ} قَالَ: «رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلَ

(١) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٦٦.
(٢) انظر: الجامع لعلوم الإمام أحمد (٥١٦/١٣)، بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ١٠٩/٣.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣٣٩/٨).

عَلَيْهِ ثِيَابٌ خُضْرٌ قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ». (١)

قَوْلُهُ تَعَالَى:{بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ} وَهُوَ الْأُفُقُ الْأَعْلَى مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ،وَقَتَادَةُ.

(٢){وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ[3]}[التكوير: ٢٤] قال البغوي: {وَمَا هُوَ} يَعْنِي :مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {عَلَى الْغَيْبِ} أَيِ: الْوَحْيِ، وَخَبَرِ السَّمَاءِ وَمَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ مِمَّا كَانَ غَائِبًا عَنْهُ مِنَ الْأَنْبَاءِ وَالْقَصَصِ، {بِضَنِينٍ} قَرَأَ أَهْلُ مَكَّةَ وَالْبَصْرَةِ وَالْكِسَائِيُّ بِالظَّاءِ أَيْ: بِمُتَّهَمٍ، يُقَالُ: فُلَانٌ يَظِنُّ بِمَالٍ وَيَزِنُّ أَيْ يُتَّهَمُ بِهِ: وَالظِّنَّةُ: التُّهْمَةُ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالضَّادِ أَيْ: بِبَخِيلٍ، يَقُولُ إِنَّهُ يَأْتِيهِ عِلْمُ الْغَيْبِ فَلَا يَبْخَلُ بِهِ عَلَيْكُمْ بَلْ يُعَلِّمُكُمْ وَيُخْبِرُكُمْ بِهِ، وَلَا يَكْتُمُهُ كَمَا يَكْتُمُ الْكَاهِنُ مَا عِنْدَهُ حَتَّى يَأْخُذَ عَلَيْهِ حُلْوَانًا، تَقُولُ الْعَرَبُ: ضَنِنْتُ بِالشَّيْءِ بِكَسْرِ النُّونِ أَضِنُّ بِهِ ضَنًّا وَضِنَانَةً فَأَنَا بِهِ ضَنِينٌ أَيْ: بَخِيلٌ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: الظَّنِينُ: الْمُتَّهَمُ، وَالضَّنِينُ: يَضِنُّ بِهِ(٤)، قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَينة: ظَنِينٌ وَضَنِينٌ سَوَاءٌ، أَيْ: مَا هُوَ بِكَاذِبٍ، وَمَا هُوَ بِفَاجِرٍ، وَالظَّنِينُ: الْمُتَّهَمُ، وَالضَّنِينُ: الْبَخِيلُ ، وَاخْتَارَ ابنُ جَرِيرٍ قِرَاءَةَ الضَّادِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى:{وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ}[التكوير: ٢٥] أي: وَمَا هَذَا الْقُرْآنُ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ مَلْعُونٍ مَطْرُودٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَوَحْيُهُ {فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ}[التكوير: ٢٦] فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ عَنْ هَذَا الْقُرْآنِ، وَتَعْدِلُونَ عَنْهُ، وَفِيهِ الشِّفَاءُ وَالْبَيَانُ؟ وقَالَ الزَّجَّاجُ: أَيُّ طَرِيقٍ تَسْلُكُونَ أَبْيَنَ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى:{إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ}[التكوير: ٢٧] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: {إِنْ} هَذَا الْقُرْآنُ، وَقَوْلُهُ: {هُوَ} مِنْ ذِكْرِ الْقُرْآنِ {إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ}يَقُولُ: إِلَّا تَذْكِرَةً وَعِظَةً لِلْعَالَمِينَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ}[التكوير: ٢٨] فَجَعَلَ ذَلِكَ تَعَالَى ذِكْرُهُ، ذِكْرًا لِمَنْ شَاءَ مِنَ الْعَالَمِينَ أَنْ يَسْتَقِيمَ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ ذِكْرًا لِجَمِيعِهِمْ، فَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ} إِبْدَالٌ مِنَ اللَّامِ فِي لِلْعَالَمِينَ، وَكَانَ مَعْنَى الْكَلَامِ: إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ فَيَتَّبِعَهُ، وَيُؤْمَنَ بِهِ .

---

(١) انظر: تفسير مجاهد (ص: ٧٠٩).
(٢) انظر: تفسير البغوي (٨/٣٥٠).
[3] وفي اللغة: ضنين: بخيل. مادة "ضن" انظر: القاموس المحيط "٤/ ٢٣٩".
(٤) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٦٦.

قَوْلُهُ تَعَالَى:{وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[التكوير: ٢٩] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمَا تَشَاءُونَ أَيُّهَا النَّاسُ الِاسْتِقَامَةَ عَلَى الْحَقِّ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ لَكُمْ، وَذكر الطبري بسنده أَنَّ السَّبَبَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ}قَالَ أَبُو جَهْلٍ: ذَلِكَ إِلَيْنَا، إِنْ شِئْنَا اسْتَقَمْنَا، فَنَزَلَتْ: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[التكوير: ٢٩] أي: فمشيئته نافذة، لا يمكن أن تعارض أو تمانع، وَفِيهِ إِعْلَامٌ أَنَّ أَحَدًا لَا يَعْمَلُ خَيْرًا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَلَا شَرًّا إِلَّا بِخِذْلَانِهِ. (١)

انتهى؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

***

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧٢/٢٤) تفسير البغوي (٨/ ٣٥١) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٣٦)، تفسير السعدي (ص: ٩١٣).

## ٨٢- سُورَةُ الانْفِطَارِ مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا تِسْعَ عَشْرَةَ

أخرج الإمام النسائي في سننه بسند صحيح، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَامَ مُعَاذٌ فَصَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ فَطَوَّلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَفَتَّانٌ يَا مُعَاذُ؟ أَفَتَّانٌ يَا مُعَاذُ؟ أَيْنَ كُنْتَ عَنْ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَالضُّحَى، **وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ؟**»(١)

وقَدْ تَقَدَّمَ في سُورَةِ التَّكْوِيرِ حَدِيثُ «مِن سَرَّهُ أنْ يَنْظُرَ إلَيَّ يَوْمَ القِيامَةِ رَأْيَ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ {إذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}، و{إذا السَّماءُ انْفَطَرَتْ}، و{إذا السَّماءُ انْشَقَّتْ}» .

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار: ١] قَوْلُهُ تَعَالَى:{إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار: ١] يَعْنِي: انْشَقَّتْ، وَالْفِطْرُ: الشَّقُّ، يُقَالُ: فَطَرْتُهُ فَانْفَطَرَ، وَمِنْهُ فَطَرَ نَابُ الْبَعِيرِ إِذَا طَلَعَ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قَالَ الْبُخَارِيُّ قَالَتْ عَائِشَةُ- رضي الله عنها-: «كَانَ يَقُومُ حَتَّى تَفَطَّرَ قَدَمَاهُ»، وَالفُطُورُ: الشُّقُوقُ. {انْفَطَرَتْ} أي: انْشَقَّتْ.(٢)

و قِيلَ: والمُرادُ أنَّها انْفَطَرَتْ هُنا لِنُزُولِ المَلائِكَةِ مِنها، وقِيلَ انْفَطَرَتْ لِهَيْبَةِ اللَّهِ.

وقَوْلُهُ تَعالَى:{وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ}[الانفطار: ٢] وَإِذَا كَوَاكِبُهَا انْتَثَرَتْ مِنْهَا فَتَسَاقَطَتْ.

وقَوْلُهُ تَعالَى:{وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ}[الانفطار: ٣] يَقُولُ: فَجَّرَ اللَّهُ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ، فَمَلَأَ جَمِيعَهَا(٣).

وقَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ: {فُجِّرَتْ}: فَاضَتْ(٤)، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلُهُ: {وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ} فُجِّرَ عَذْبُهَا فِي مَالِحِهَا، وَمَالِحُهَا فِي عَذْبِهَا.

قَوْلُهُ: {وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ}[الانفطار: ٤] قال أبو جعفر: وَإِذَا الْقُبُورُ أُثِيرَتْ، فَاسْتُخْرِجَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمَوْتَى أَحْيَاءً، يُقَالُ: بَعْثَرَ فُلَانٌ حَوْضَ فُلَانٍ: إِذَا جَعَلَ أَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ، يُقَالُ: بَعْثَرَهُ وَبَحْثَرَهُ: لُغَتَانِ، وقَالَ الْبُخَارِيُّ: {بُعْثِرَتْ}: أُثِيرَتْ، بَعْثَرْتُ حَوْضِي أَيْ: جَعَلْتُ أَسْفَلَهُ

---

(١) السنن الصغري للنسائي رقم( ٩٩٧)، وصححه الألباني، وَأَصْلُ الْحَدِيثِ مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَلَكِنْ ذُكَر " إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ " فِي أَفْرَادِ النَّسَائِيِّ.
(٢) ذكره البخاري تعليقا (ج٢ص٥٠).
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧٤/٢٤).
(٤) ذكره البخاري تعليقا (ج٦ص١٦٧).

أَعْلاَهُ. (١)

ثم ذكر سبحانه الْجَوَابَ عَمَّا تَقَدَّمَ فَقَالَ:{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ} [الانفطار: ٥] أَنَّهَا عَلِمَتْهُ عِنْدَ نَشْرِ الصُّحُفِ لَا عِنْدَ الْبَعْثِ لِأَنَّهُ وَقْتٌ وَاحِدٌ مِنْ عِنْدِ الْبَعْثِ إِلَى عِنْدِ مَصِيرِ أَهْلِ الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار،مَا قَدَّمَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَمَا أَخَّرَتْ مِنْ سُنَّةٍ حَسَنَةٍ، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يُنْقَصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، أَوْ سُنَّةٍ سَيِّئَةٍ فَعُمِلَ بها بَعْدَهُ فَعَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يُنْقَصُ مِنْ أوزارهم شَيْئًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}[الانفطار: ٦] قال الشوكاني: هَذَا خطاب للكافر، أَيْ: مَا الَّذِي غَرَّكَ وَخَدَعَكَ حَتَّى كَفَرْتَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي تَفَضَّلَ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا بِإِكْمَالِ خَلْقِكَ وَحَوَاسِّكَ، وَجَعْلِكَ عَاقِلًا فَاهِمًا، وَرَزَقَكَ وَأَنْعَمَ عَلَيْكَ بِنِعَمِهِ الَّتِي لَا تَقْدِرُ عَلَى جَحْدِ شَيْءٍ مِنْهَا.

وَقِيلَ: غَرَّهُ عَفْوُ اللَّهِ إِذْ لَمْ يُعَاجِلْهُ بِالْعُقُوبَةِ أَوَّلَ مَرَّةٍ،قَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ هَذِهِ الْآيَةَ فَقَالَ: غَرَّهُ حُمْقُهُ وَجَهْلُهُ.

وَقِيلَ لِلْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ: لَوْ أَقَامَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ؟ مَاذَا كُنْتَ تَقُولُ؟ قَالَ: أَقُولُ غَرَّنِي سُتُورُكَ الْمُرْخَاةُ،وهذا الإسناد ضعيف.

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ".[٢]

وقال ابن كثير: هَذَا تَهْدِيدٌ، لا كما يتوهمه بعض الناس مِنْ أَنَّهُ إِرْشَادٌ إِلَى الْجَوَابِ؛ حَيْثُ قَالَ: {الْكَرِيمِ} حَتَّى يَقُولَ قَائِلُهُمْ: غَرَّهُ كَرَمُهُ، بَلِ الْمَعْنَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ: مَا غَرَّكَ يَا ابْنَ آدَمَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ-أَيِ: الْعَظِيمِ-حَتَّى أَقْدَمْتَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَقَابَلْتَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ؟.

وقَالَ الْبَغوِيُّ وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْإِشَارَةِ إِنَّمَا قَالَ: {بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} دُونَ سَائِرِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، كَأَنَّهُ لَقَّنَهُ الْإِجَابَةَ. (٣)

(١) ذكره البخاري تعليقا (ج٢ص٩٦).

[٢] أخرجه البخاري رقم(٧٥١٢).

(٣) انظر: معالم التنزيل للبغوي (٣٥٦/٨).

وقَوْلُهُ تَعالَى:{الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ } [الانفطار: ٧] أَيْ: خَلَقَكَ مِنْ نُطْفَةٍ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا، فَسَوَّاكَ رَجُلًا تَسْمَعُ وَتُبْصِرُ وَتَعْقِلُ، فَعَدْلَكَ: جَعَلَكَ مُعْتَدِلَ الْقَامَةِ مُنْتَصِبَهَا، فِي أَحْسَنِ الْهَيْئَاتِ وَالْأَشْكَالِ. {فَعَدَلَكَ} قَالَ الْبُخَارِيُّ قَرَأَ الأَعْمَشُ، وَعَاصِمٌ: {فَعَدَلَكَ}: بِالتَّخْفِيفِ، وَقَرَأَهُ أَهْلُ الحِجَازِ بِالتَّشْدِيدِ، " **فَعَدَّلَكَ** " وَأَرَادَ: مُعْتَدِلَ الخَلْقِ، وَمَنْ خَفَّفَ يَعْنِي: فِي أَيِّ صُورَةٍ شَاءَ، إِمَّا حَسَنٌ، وَإِمَّا قَبِيحٌ، أَوْ طَوِيلٌ، أَوْ قَصِيرٌ. (١).

قَوْلُهُ تَعالَى:{فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ} [الانفطار: ٨]قال ابن جرير يعني: في أيّ صورة شاءَ أن يركبك فيها ركبك.

قَالَ مُجَاهِدٌ: فِي أَيِّ شَبَه أَبٍ، أَوْ أُمٍّ، أَوْ خَالٍ، أَوْ عَمٍّ؟ وَقَالَ قَتَادَةُ: {فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ} قَالَ: قَادِرٌ-وَاللَّهِ -رَبُّنَا عَلَى ذَلِكَ، وَمَعْنَى هَذَا الْقَوْلِ عِنْدَ هَؤُلَاءِ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ النُّطْفَةِ عَلَى شكل قبيح من الحيوانات الْمُنْكَرَةِ الْخَلْقِ، وَلَكِنْ بِقُدْرَتِهِ وَلُطْفِهِ وَحِلْمِهِ يَخْلُقُهُ عَلَى شَكْلٍ حَسَنٍ مُسْتَقِيمٍ مُعْتَدِلٍ تَامٍّ، حَسَنَ الْمَنْظَرِ وَالْهَيْئَةِ.[٢]

قَوْلُهُ تَعالَى:{كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ} [الانفطار: ٩] قال ابن كثير: بَلْ إِنَّمَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى مُوَاجَهَةِ الْكَرِيمِ وَمُقَابَلَتِهِ بِالْمَعَاصِي، تَكْذِيبٌ فِي قُلُوبِكُمْ بِالْمَعَادِ وَالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ(٣).

قَالَ الْبُخَارِيُّ: {كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ}: قَالَ مُجَاهِدٌ بِالحِسَابِ. (٤)

وَقَوْلُهُ: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ} [الانفطار: ١٠]قال ابن جرير يَقُولُ: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ رُقَبَاءَ حَافِظِيْنَ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ، وَيُحْصُونَهَا عَلَيْكُمْ .

قَوْلُهُ تَعالَى:{ كِرَامًا كَاتِبِينَ }[الانفطار: ١١] يَقُولُ: كِرَامًا عَلَى اللهِ؛ كَاتِبِينَ، يَكْتُبُونَ أَعْمَالَكُمْ؛ فَلَا تُقَابِلُوهُمْ بِالْقَبَائِحِ، فَإِنَّهُمْ يَكْتُبُونَ عَلَيْكُمْ جَمِيعَ أَعْمَالِكُمْ.

وَقَوْلُهُ: { يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ } [الانفطار: ١٢] يَقُولُ: يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الْحَافِظُونَ مَا تَفْعَلُونَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، يُحْصَوْنَ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ.

وَقَوْلُهُ: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} [الانفطار: ١٣] أي: إِنَّ الَّذِينَ بَرُّوا بِأَدَاءِ فَرَائِضِ اللهِ، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ لَفِي نَعِيمِ الْجِنَّانِ يُنَعَّمُونَ فِيهَا.

---

(١) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٦٧).
[٢] انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٤).
(٣) انظر: انظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٥/ ١٠٣)، تفسير ابن كثير (٣٤٤/٨).
(٤) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٧).

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِنَّ الْفُجَّارَ} [الانفطار: ١٤] الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ {لَفِي جَحِيمٍ} [الانفطار: ١٤] ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْفُجَّارُ مِنَ الْجَحِيمِ وَالْعَذَابِ الْمُقِيمِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: {يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ} [الانفطار: ١٥]أَيْ: يَوْمَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ وَالْقِيَامَةِ ، يَوْمَ يُدَانُ الْعِبَادُ بِالْأَعْمَالِ، فَيُجَازَوْنَ بِهَا{وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ} [الانفطار: ١٦]أَيْ: لَا يَغِيبُونَ عَنِ الْعَذَابِ سَاعَةً وَاحِدَةً، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا، وَلَا يُجَابُونَ إِلَى مَا يَسْأَلُونَ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الرَّاحَةِ، وَلَوْ يَوْمًا وَاحِدًا، وَلَكِنَّهُمْ فِيهَا مُخَلَّدُونَ مَاكِثُونَ، وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِ: {وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ} [الحجر: ٤٨].

قَوْلُهُ: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ} وَمَا أَدْرَاكَ يَا مُحَمَّدُ مَا يَوْمُ الدِّينِ؟ تَعْظِيمًا لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ تُدَانُ فِيهِ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ، ثُمَّ أَكَّدَهُ بِقَوْلِهِ: {ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ} [الانفطار: ١٨] يَقُولُ: ثُمَّ أَيُّ شَيْءٍ أَشْعَرَكَ أَيُّ شَيْءٍ يَوْمُ الْمُجَازَاةِ وَالْحِسَابِ يَا مُحَمَّدُ، تَعْظِيمًا لِأَمْرِهِ، ثُمَّ فَسَّرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَعْضَ شَأْنِهِ فَقَالَ: {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا} [الانفطار: ١٩] يَقُولُ: ذَلِكَ الْيَوْمُ، يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ، يَقُولُ: يَوْمَ لَا تُغْنِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا، فَتَدْفَعُ عَنْهَا بَلِيَّةً نَزَلَتْ بِهَا، وَلَا تَنْفَعُهَا بِنَافِعَةٍ، وَقَدْ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا تَحْمِيهَا، وَتَدْفَعُ عَنْهَا مَنْ بَغَاهَا سُوءًا، فَبَطَلَ ذَلِكَ يَوْمَئِذٍ،{وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} [الانفطار: ١٩] لِأَنَّ الْأَمْرَ صَارَ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَغْلِبُهُ غَالِبٌ، وَلَا يَقْهَرُهُ قَاهِرٌ، وَاضْمَحَلَّتْ هُنَالِكَ الْمَمَالِكُ، وَذَهَبَتِ الرِّيَاسَاتُ، وَحَصَلَ الْمُلْكُ لِلْمَلِكِ الْجَبَّارِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: {وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ} [الانفطار: ١٩] أي: لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ الْأَمْرِ غَيْرَهُ كَائِنًا مَا كَانَ، قَالَ قَتَادَةُ: {يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ}-وَاللَّهِ-الْيَوْمَ لِلَّهِ، وَلَكِنَّهُ يَوْمَئِذٍ لَا يُنَازِعُهُ أَحَدٌ(١).

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤]، دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨٣/٢٤)، تفسير ابن كثير (٣٤٥/٨)، فتح القدير للشوكاني (٤٨١/٥).

رَحِمًا سَأَبُلُّهَا (١) بِبَلَالِهَا». (٢)

انتهى؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

***

(١) أي: أَصِلُكُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، انظر: انظر: فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٤٣/٢.
(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٠٤).

## ٨٣- سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَثَلَاثُونَ

أخرج ابْن مَاجَهْ في سننه بسنده عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ كَانُوا مِنْ أَخْبَثِ النَّاسِ كَيْلًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ} فحسنُّوا الكيلَ بَعْدَ ذَلِكَ. (١)

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)}

قَوْلُهُ تَعَالَى:{وَيْل} قال ابن عثيمين: تكرَّرت في القرآن كثيرًا، وهي على الأصح كلمةُ وعيدٍ يتوعَّد الله سبحانه وتعالى بها مَن خالَف أَمْرَه أو ارتكبَ نهيَه على الوجه المقيَّد في الجملة التي بعدها{للمطففين} [المطففين: ١]قال ابن كثير فَالْمُرَادُ بِالتَّطْفِيفِ هَاهُنَا: الْبَخْس فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ، إِمَّا بِالِازْدِيَادِ إِنِ اقْتَضَى مِنَ النَّاسِ، وَإِمَّا بِالنُّقْصَانِ إِنْ قَضَاهم. وَلِهَذَا فَسَّرَ تَعَالَى الْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ وَعَدَهُمْ بِالْخَسَار والهلاك وَهُوَ الْوَيْلُ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: الْمُطَفِّفُ: لَا يُوَفِّي غَيْرَهُ(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى:{الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ } [المطففين: ٢] إِذَا اكْتَالُوا مِنَ النَّاسِ ،أَيْ: أَخَذُوا مِنْهُمُ وَ«مِنْ» وَ«عَلَى» مُتَعَاقِبَانِ،{ يَسْتَوْفُونَ} [المطففين: ٢] أَيْ: يَأْخُذُونَ حَقَّهُمْ بِالْوَافِي وَالزَّائِدِ.

وقَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى إِذَا اكْتَالُوا مِنَ النَّاسِ اسْتَوْفَوْا عَلَيْهِمُ الْكَيْلَ الْوَزْنَ، وَأَرَادَ: الَّذِينَ إِذَا اشْتَرَوْا لِأَنْفُسِهِمُ اسْتَوْفَوْا فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ. (٣)

قَالَ الْبُخَارِيُّ {وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ}[المطففين: ٣] يَعْنِي: كَالُوا لَهُمْ، وَوَزَنُوا لَهُمْ، كَقَوْلِهِ: {يَسْمَعُونَكُمْ} يَسْمَعُونَ لَكُمْ. (٤)

---

(١) أخرجه ابْن مَاجَهْ رقم (٢٢٢٣)، وحسنه الألباني.
(٢) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٦٧).
(٣) انظر:تفسير الطبري (١٨٥/٢٤)، تفسير البغوي (٣٦٢/٨)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٦)، تفسير الجلالين (ص: ٧٩٦).
(٤) ذكره البخاري تعليقا ج٣ص١٦٧.

قَوْلُهُ: {يُخْسِرُونَ} يُنْقِصُونَ الْكَيْل أَوْ الوزن {أَلَا} اِسْتِفْهَام تَوْبِيخ {يظُنّ} يَتَيَقَّن {أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مبعوثون لِيَوْمٍ عَظِيم} وَهُوَ يَوْم الْقِيَامَة.

قال ابن كثير قَالَ تَعَالَى مُتَوَعِّدًا لَهُمْ: {أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ}[المطففين: ٤]؟ أَيْ: أَمَا يخافُ أُولَئِكَ مِنَ الْبَعْثِ وَالْقِيَامِ بَيْنَ يَدَي مَنْ يَعْلَمُ السَّرَائِرَ وَالضَّمَائِرَ، {لِيَوْمٍ عَظِيمٍ}[المطففين: ٥] فِي يَوْمٍ عَظِيمِ الْهَوْلِ، كَثِيرِ الْفَزَعِ، جَلِيلِ الْخَطْبِ، مَنْ خَسِرَ فِيهِ أُدْخِلَ نَارًا حَامِيَةً؟ .

وَقَوْلُهُ: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [المطففين: ٦] أَيْ: يَقُومُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرلا فِي مَوْقِفٍ صَعْبٍ حَرج ضَيِّقٍ ضنك عَلَى الْمُجْرِمِ، وَيَغْشَاهُمْ مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا تَعْجزُ الْقُوَى وَالْحَوَاسُّ عَنْهُ.

وفي الصحيحين من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ} [المطففين: ٦] «حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ». (١)

قَوْلُهُ: {كَلَّا} حَقًّا {إِنَّ كِتَاب الْفُجَّار}[المطففين: ٧] قال ابن كثيرأَيْ: إِنَّ مَصِيرَهُمْ وَمَأْوَاهُمْ {لَفِي سِجِّين} [المطففين: ٧] فِعِيلٍ مِنَ السجن، وهو الضيق كما يقال: فسّيق وَخِمِّيرٌ وَسِكِّيرٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَلِهَذَا عَظَّمَ أَمْرَهُ فقال تعالى: {وَمَا أَدْرَاك مَا سِجِّين} [المطففين: ٨] أَيْ: هُوَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَسِجْنٌ مُقِيمٌ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ،و قِيلَ: هِيَ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ،فهُوَ يَجْمَعُ الضِّيقَ وَالسُّفُولَ.

قال ابن كثير: وَالصَّحِيحُ أَنْ "سِجِّينًا" مَأْخُوذٌ مِنَ السَّجن، وَهُوَ الضِّيقُ، فَإِنَّ الْمَخْلُوقَاتِ كُلُّ مَا تَسَافَلَ مِنْهَا ضَاقَ، وَكُلُّ مَا تَعَالَى مِنْهَا اتَّسَعَ، فَإِنَّ الْأَفْلَاكَ السَّبْعَةَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَوْسَعُ وَأَعْلَى مِنَ الَّذِي دُونَهُ، وَكَذَلِكَ الْأَرْضُونَ كُلُّ وَاحِدَةٍ أَوْسَعُ مِنَ الَّتِي دُونَهَا، حَتَّى يَنْتَهِيَ السُّفُولُ الْمُطْلَقُ وَالْمَحَلُّ الْأَضْيَقُ إِلَى الْمَرْكَزِ فِي وَسَطِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ؛ وَلَمَّا كَانَ مَصِيرُ الْفُجَّارِ إِلَى جَهَنَّمَ وَهِيَ أَسْفَلُ السَّافِلِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [التِّينِ] : ٥، ٦] ، وَقَالَ هَاهُنَا: {كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ} [المطففين: ٨] وَهُوَ يَجْمَعُ الضِّيقَ والسفول، كما قال: {وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا} [الْفُرْقَانِ: ١٣] .

(١) أخرجه البخاري رقم(٤٩٣٨)واللفظ له، أخرجه ومسلم رقم(٢٨٦٢).

وَقَوْلُهُ: {كِتَابٌ مَرْقُومٌ}[المطففين: ٩] وَعُنِيَ بِالْمَرْقُومِ: الْمَكْتُوبُ،مَفْرُوغٌ مِنْهُ، لَا يُزَادُ فِيهِ أَحَدٌ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ أَحَدٌ؛ قَالَهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ.

وقَالَ الْبُخَارِيُّ: {مَرْقُومٌ}: مَكْتُوبٌ مِنَ الرَّقْمِ، قَالَ قَتَادَةُ: رُقِمَ لَهُمْ: بِشَرٍّ، لَا يُزَادُ فِيهِمْ أَحَدٌ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَحَدٌ. (١)

وَقَوْلُهُ:{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}[المطففين: ١٠] ويْلٌ يَوْمَ القِيامَةِ لِمَن وقَعَ مِنهُ التَّكْذِيبُ بِالبَعْثِ وبما جاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، إِذَا صَارُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَا أَوْعَدَهُمُ اللَّهُ مِنَ السَّجن وَالْعَذَابِ الْمُهِينِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُفَسِّرًا {لِلْمُكَذِّبِينَ}الْفُجَّارِ الْكَفَرَةِ{الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ}[المطففين: ١١] أَيْ: لَا يُصَدِّقُونَ بِوُقُوعِهِ، وَلَا يَعْتَقِدُونَ كَوْنَهُ، وَيَسْتَبْعِدُونَ أَمْرَهُ.

وَقَوْلُهُ:{وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ} [المطففين: ١٢] أَيْ: مُعْتَدٍ فِي أَفْعَالِهِ؛ مِنْ تَعَاطِي الْحَرَامِ وَالْمُجَاوَزَةِ فِي تَنَاوُلِ الْمُبَاحِ ،وَالْأَثِيمِ فِي أَقْوَالِهِ: إِنْ حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِنْ وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ.

وَقَوْلُهُ: {إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ} [المطففين: ١٣] أَيْ: إِذَا سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ مِنَ الرَّسُولِ يُكَذِّبُ بِهِ وَيَظُنُّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ، فَيَعْتَقِدُ أَنَّهُ مُفْتَعَلٌ مَجْمُوعٌ مِنْ كُتُبِ الْأَوَائِلِ. (٢)

وَقَوْلُهُ: {كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: ١٤] قال ابن كثير أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا وَلَا كَمَا قَالُوا، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، بَلْ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ وَوَحْيُهُ وَتَنْزِيلُهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَإِنَّمَا حَجَبَ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ مَا عَلَيْهَا مِنَ الرَّيْن الَّذِي قَدْ لَبِسَ قُلُوبَهُمْ مِنْ كَثْرَةِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا؛وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: ١٤] وَالرَّيْنُ يَعْتَرِي قلوبَ الْكَافِرِينَ، وَالْغَيْمُ لِلْأَبْرَارِ، وَالْغَيْنُ لِلْمُقَرَّبِينَ.

وقَالَ الْبُخَارِيُّ قَالَ مُجَاهِدٌ: {بَلْ رَانَ}: ثَبْتُ الخَطَايَا(٣).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ}[المطففين: ١٤] طَبَعَ عَلَيْهَا، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: هُوَ الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ، حَتَّى يَعْمَى الْقَلْبُ، فَيَمُوتُ.

---

(١) ذكره البخاري تعليقا ج٤ص١٧٢).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/٣٥٠).
(٣) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٦٧).

وأخرج الترمذي في سننه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ[1] قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ» {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. (٢)

وَقَوْلُهُ: {كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين: ١٥] قال ابن كثير أَيْ: لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنزلٌ وَنُزُلُ سِجِّينٌ، ثُمَّ هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ ذَلِكَ مَحْجُوبُونَ عَنْ رُؤْيَةِ رَبِّهِمْ وَخَالِقِهِمْ.

سُئِلَ مَالِكٌ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: لَمَّا حَجبَ أَعْدَاءَهُ فَلَمْ يَرَوْهُ تَجَلَّى لِأَوْلِيَائِهِ حَتَّى رَأَوْهُ، قيل: يَحْتَجِبُ اللَّهُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ فَلا يَرَوْنَهُ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَيَرَوْنَهُ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ فَيَتَجَلَّى لَهُمْ، حَتَّى يَنْظرُوا إِلَيْهِ، قاله:ابن أبي زمنين، قَالَ الشَّافِعِيُّ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَئِذٍ.

وَقَوْلُهُ:{ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ} [المطففين: ١٦] أَيْ: ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذَا الْحِرْمَانِ عَنْ رُؤْيَةِ الرَّحْمَنِ مِنْ أَهْلِ النِّيرَانِ لَصَالُواْ الْجَحِيمِ ، أيْ داخِلُو النّارِ ومُلازِمُوها غَيْرُ خارِجِينَ مِنها، وثُمَّ لِتَراخِي الرُّتْبَةِ؛ لِأنَّ صَلْيَ الجَحِيمِ أشَدُّ مِنَ الإهانَةِ وحِرْمانِ الكَرامَةِ.

وَقَوْلُهُ:{ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} [المطففين: ١٧] أيْ: تَقُولُ لَهم خَزَنَةُ جَهَنَّمَ تَبْكِيتًا وتَوْبِيخًا هَذا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ في الدُّنْيا فانْظُرُوهُ وذُوقُوهُ.

وَقَوْلُهُ:{كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ}[المطففين: ١٨] {كَلَّا} حَقًّا {إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ} أَيْ كِتَاب أَعْمَال الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ فِي إِيمَانهمْ {لَفِي عِلِّيِّينَ} قِيلَ هُوَ كِتَاب جَامِع لِأَعْمَالِ الْخَيْر مِنْ الْمَلَائِكَة وَمُؤْمِنِي الثَّقَلَيْنِ وَقِيلَ هُوَ مَكَان فِي السَّمَاء السَّابِعَة تَحْت الْعَرْش.

وقال ابن عباس: {لَفِي عِلِّيِّينَ} يعني الجنة، وفي رواية عنه: أعمالهم في السماء عند الله، وَقَالَ قَتَادَةُ: عِلِّيُّونَ سَاقُ الْعَرْشِ الْيُمْنَى، وَقَالَ غَيْرُهُ: عِلِّيُّونَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى.

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَعَانِي: عُلُوٌّ بَعْدَ عُلُوٍّ وَشَرَفٌ بَعْدَ شَرَفٍ، وَلِذَلِكَ جُمِعَتْ بِالْيَاءِ وَالنُّونِ.

---

[1] [سَقَل]: سَقْلُ السيف: صقله وهو جلاؤه، والمعنى: نظف وصفى مرآة قلبه، لأن التوبة بمنزلة المصقلة تمحو وسخ القلب وسواده حقيقيًا أو تمثيليًا (وإن زاد) أي في الذنب بعينه أو بغيره من الذنوب (زادت) أي النكتة السوداء أو يظهر لكل ذنب نكتة (حتى تعلو) أي تغلب النكت، انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (٥/ ٣١٢٥) ،مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٤٢).

(٢) أخرجه الترمذي رقم (٣٣٣٤)، وأخرجه ابن ماجة رقم (٤٢٤٤) بلفظ {صُقِلَ قَلْبُهُ}، وحسنه الألباني.

وقال ابن كثير: وَالظَّاهِرُ أَنَّ {عِلِّيِّينَ}مَأْخُوذٌ مِنَ الْعُلُوِّ، وَكُلَّمَا عَلَا الشَّيْءُ وارتفع عظم واتسع، ولهذا قال تعالى مُعظِّمًا أَمْرَهُ وَمُفَخِّمًا شَأْنَهُ: {وَمَآ أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ}[المطففين: ١٩]؟ ثم قال تعالى مُؤَكِّدًا لِمَا كَتَبَ لَهُمْ: {كِتَابٌ مَّرْقُومٌ}[المطففين: ٢٠] مَخْتُوم ، مَرْقُومٌ فِي عِلِّيِّينَ، وَهُوَ مَحَلُّ الْمَلَائِكَةِ{يَشْهَدُهُ المقربون}[المطففين: ٢١] وهم الملائكة قاله قتادة، وقال ابْنِ عَبَّاسٍ: يَشْهَدُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ}[المطففين: ٢٢] أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ فِي نَعِيمٍ مُقِيمٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: {عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ} [المطففين: ٢٣] عَلَى السُّرُرِ فِي الْحِجَالِ، مِنَ اللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ، يَنْظُرُونَ إِلَى مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ مِنَ الْكَرَامَةِ وَالنَّعِيمِ، وَالْحَبْرَةِ فِي الْجِنَّانِ ، وَقِيلَ: يَنْظُرُونَ إِلَى وَجْهِهِ وَجَلَالِهِ ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: يَنْظُرُونَ إِلَى عَدُوِّهِمْ كَيْفَ يُعَذَّبُونَ {تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ} [المطففين: ٢٤] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: تَعْرِفُ فِي الْأَبْرَارِ الَّذِينَ وَصَفَ اللَّهُ صِفَتَهُمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ، يَعْنِي حُسْنُهُ وَبَرِيقَهُ وَتَلَأْلُؤُهُ.

وَقَوْلُهُ:{يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ}[المطففين: ٢٥] يَقُولُ: يُسْقَى هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارُ مِنْ خَمْرٍ صِرْفٍ لَا غِشَّ فِيهَا(١).

قَالَ الْبُخَارِيُّ: الرَّحِيقُ: الخَمْرُ(٢)، عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ {مَخْتُومٍ} قَالَ: مَمْزُوجٌ. (٣)

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: {مَخْتُوم} أَيْ: مَمْزُوجٌ {خِتَامُهُ مِسْكٌ}[المطففين: ٢٦] أَيْ: آخِرُ طَعْمِهِ عن الضَّحَّاك فِي قَوْلِهِ:{خِتَامُهُ مِسْكٌ}[المطففين: ٢٦] قَالَ طَيَّبَ اللَّهُ لَهُمُ الْخَمْرَ، فَوَجَدُوا فِيهَا فِي آخِرِ شَيْءٍ مِنْهَا، رِيحَ الْمِسْكِ، وَهُوَ اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ ، كَأَنَّهُ تَمْثِيلٌ لِكَمَالِ نَفَاسَتِهِ وَطِيبِ رَائِحَتِهِ، قال ابن عثيمين: بخلاف خمر الدنيا فإنه خبيث الرائحة. (٤)

وَقَوْلُهُ:{وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}[المطففين: ٢٦] قال ابن جرير وَالتَّنَافُسُ: أَنْ يَنْفِسَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ بِالشَّيْءِ يَكُونُ لَهُ، وَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ دُونَهُ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الشَّيْءِ النَّفِيسِ، وَهُوَ الَّذِي تَحْرِصُ عَلَيْهِ نُفُوسُ النَّاسِ، وَتَطْلُبُهُ وَتَشْتَهِيهِ، وَكَانَ مَعْنَاهُ فِي

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١٣/٢٤).
(٢) انظر: ذكره البخاري تعليقا (ج٤ص١١٦).
(٣) انظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٥/ ١٠٧)، تفسير البغوي (٢٢٥/٥)، تفسير ابن كثير (٣٥١/٨).
(٤) انظر: تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ١٠٥).

ذَلِكَ: فَلْيَجِدَّ النَّاسُ فِيهِ، وَإِلَيْهِ فَلْيَسْتَبِقُوا فِي طَلَبِهِ، وَلْتَحْرِصْ عَلَيْهِ نُفُوسُهُمْ.
أَيِ: فَلْيَرْغَبِ الرَّاغِبُونَ بِالْمُبَادَرَةِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ، وقيل أَيْ: وَفِي مِثْلِ هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون، وليتباهى وليستبق إلى مثله المستبقون كقوله تعالى: **{لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ}** [الصافات: ٦١]. (١)
وَقَوْلُهُ:{وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ}[المطففين: ٢٧] قال ابن كثير أي: مزاج هَذَا الرَّحِيقِ الْمَوْصُوفِ {مِن تَسْنِيمٍ} أَيْ: مِنْ شَرَابٍ يُقَالُ لَهُ تَسْنِيمٌ، وَهُوَ أَشْرَفُ شَرَابِ أهل الجنة وأعلاه، وهو معنى قوله يعلو شراب أهل الجنة والتسنيم العلو والارتفاع ومنه سنام البعير، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: {مِن تَسْنِيمٍ} ؟ قَالَ: هَذَا مِمَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **{فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}** (السَّجْدَةِ-١٧) .
و عَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ: {وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ} قَالَ: خَفَايَا أَخْفَاهَا اللَّهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلِهَذَا قَالَ: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ}[المطففين: ٢٨] أَيْ يَشْرَبُهَا الْمُقَرَّبُونَ صِرْفًا، وَتُمْزَجُ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ مَزْجًا، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمَسْرُوقٌ، وَقَتَادَةُ، وغيرهم .
وقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا}[المطففين: ٢٩] أَشْرَكُوا، يَعْنِي كُفَّارَ قُرَيْشٍ: أَبَا جَهْلٍ، وَالْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ، وَالْعَاصَ بْنَ وَائِلٍ، وَأَصْحَابَهُمْ مِنْ مُتْرَفِي مَكَّةَ {كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا} [المطففين: ٢٩] عَمَّارٍ، وَخَبَّابٍ، وَصُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ، وَأَصْحَابِهِمْ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ.
{يَضْحَكُونَ} وبهم يستهزؤن،{وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ}[المطففين: ٣٠] يَعْنِي مِنْ فُقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْكُفَّارِ {يَتَغَامَزُونَ} وَالْغَمْزُ الْإِشَارَةُ بِالْجَفْنِ وَالْحَاجِبِ، أَيْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْأَعْيُنِ اسْتِهْزَاءً.
قال ابن كثير: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنِ الْمُجْرِمِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا يَضْحَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، أَيْ: يَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ وَيَحْتَقِرُونَهُمْ (١) وَإِذَا مَرُّوا بِالْمُؤْمِنِينَ يَتَغَامَزُونَ عَلَيْهِمْ، أَيْ:مُحْتَقِرِينَ لَهُمْ، {وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ}[المطففين: ٣١] أَيْ: إِذَا انْقَلَبَ، أَيْ: رَجَعَ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ، انْقَلَبُوا إليها فاكهين،أَيْ: مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا، وَمَعَ هَذَا مَا شَكَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، بَلِ اشْتَغَلُوا بِالْقَوْمِ الْمُؤْمِنِينَ يَحْتَقِرُونَهُمْ وَيَحْسُدُونَهُمْ، وقيل:{وَإِذَا انْقَلَبُوا} يَعْنِي الْكُفَّارَ {إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ}[المطففين: ٣١] مُعْجَبِينَ بِمَا هُمْ فِيهِ يَتَفَكَّهُونَ بِذِكْرِهِمْ.
وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: «فَاكِهِينَ» وَقَرَأَ حَفصٌ وَابْنُ الْقَعْقَاعِ وَالْأَعْرَجُ وَالسُّلَمِيُّ «فَكِهِينَ» بِغَيْرِ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢١٨/٢٤)، مختصر تفسير ابن كثير (٢/ ٦١٦).

أَلِفٍ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ يُفَرِّقُ بَيْنَ مَعْنَى فَاكِهِينَ وَفَكِهِينَ، فَيَقُولُ: مَعْنَى فَاكِهِينَ نَاعِمِينَ، وَالْفَاكِهُ: النَّاعِمُ الْمُتَنَعِّمُ ، وَفَكِهِينَ: مَرِحِينَ.

وقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَإِذَا رَأَوْهُمْ} أَيْ: إِذَا رَأَى الْكُفَّارُ الْمُسْلِمِينَ فِي أَيِّ مَكَانٍ{قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ}[المطففين: ٣٢] قالوا إِنَّ هؤلاءِ لَضالُّونَ فِي اتِّبَاعِهِمْ مُحَمَّدًا، وَتَمَسُّكِهِمْ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَتَرْكِهِمُ التَّنَعُّمَ الْحَاضِرَ.

وقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ} [المطففين: ٣٣] قال ابن جرير يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَمَا بُعِثَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ الْقَائِلُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ، حَافِظِيْنَ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ يَقُولُ: إِنَّمَا كُلِّفُوا الْإِيمَانَ بِاللَّهِ، وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ، وَلَمْ يُجْعَلُوا رُقَبَاءَ عَلَى غَيْرِهِمْ يَحْفَظُونَ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَيَتَفَقَّدُونَهَا.

وقَوْلُهُ :{فَالْيَوْمَ} يَعْنِي فِي الْآخِرَةِ {الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ} [المطففين: ٣٤] وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَضْحَكُونَ مِنَ الْكُفَّارِ حِينَ يَرَوْنَهُمْ أَذِلَّاءَ مَغْلُوبِينَ قَدْ نَزَلَ بِهِمْ مَا نَزَلَ مِنَ الْعَذَابِ، كَمَا ضَحِكَ الْكُفَّارُ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا {عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ} [المطففين: ٣٥] أَيْ : عَلَى سُرُرِهِمُ الَّتِي فِي الْحِجَالِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ، وَهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَالْكُفَّارُ فِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: {فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ} قَالَ: يَعْنِي السُّرُرَ الْمَرْفُوعَةَ عَلَيْهَا الْحِجَالُ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ السُّورَ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ يُفْتَحُ لَهُمْ فِيهِ أَبْوَابٌ، فَيَنْظُرُ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِ النَّارِ، وَالْمُؤْمِنُونَ عَلَى السُّرُرِ يَنْظُرُونَ كَيْفَ يُعَذَّبُونَ، فَيَضْحَكُونَ مِنْهُمْ، فَيَكُونُ ذَلِكَ مِمَّا أَقَرَّ اللَّهُ بِهِ أَعْيُنَهُمْ، كَيْفَ يَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُمْ ، عَنْ سُفْيَانَ{فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ}[المطففين: ٣٤] قَالَ: يُجَاءُ بِالْكُفَّارِ، حَتَّى يَنْظُرُوا إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، عَلَى سُرُرٍ، فَحِينَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ تُغْلَقُ دُونَهُمُ الْأَبْوَابُ، وَيَضْحَكُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْهُمْ، عَنْ مُجَاهِدٍ {عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ}[المطففين: ٣٥]قَالَ: «الْأَرَائِكُ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَيَاقُوتٍ» .

وَقَوْلُهُ تعالى: {هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ}[المطففين: ٣٦]؟ قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ مُجَاهِدٌ: {ثُوِّبَ}: جُوزِيَ(١).

وَقَوْلُهُ: {هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}[المطففين: ٣٦]أي: هَلْ أُثِيبَ الْكُفَّارُ وَجُزُوا ثَوَابَ مَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ سُخْرِيَتِهِمْ مِنْهُمْ، وَضَحِكِهِمْ بِهِمْ، بِضَحِكِ

(١) ذكره البخاري تعليقا (ج٦ص١٦٧).

الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَالْمُؤْمِنُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ، وَهُمْ فِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ ، وَ{ثُوِّبَ} فُعِّلَ مِنَ الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ، يُقَالُ مِنْهُ: ثَوَّبَ فُلَانٌ فُلَانًا عَلَى صَنِيعِهِ، وَأَثَابَهُ مِنْهُ، يَعْنِي قَدْ جُوزُوا أَوْفَرَ الْجَزَاءِ وأتمه وأكمله(١).

انتهى؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٢٧/٢٤)، تفسير البغوي (٨/ ٣٦٩) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٣)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٨٩).

## ٨٤- سُورَةُ الِانْشِقَاقِ مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَعِشْرُونَ

ففي الصحيحين من حديث أَبِي رَافِعٍ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي هُرَيرة الْعَتَمَةَ[1] فَقَرَأَ: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} فَسَجَدَ، فَقُلْتُ لَهُ، قَالَ: سجدتُ خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ ﷺ فَلَا أَزَالُ أَسْجُدُ بِهَا حَتَّى أَلْقَاهُ. (٢)

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} [الانشقاق: ١] قَوْلُهُ: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} [الانشقاق: ١] انْشِقَاقُهَا مِنْ عَلَامَاتِ لْقِيَامَةِ ،وقال ابن جرير أي: إِذَا السَّمَاءُ تَصَدَّعَتْ وَتَقَطَّعَتْ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ،وَقِيلَ: تَنْشَقُّ مِنَ الْمَجَرَّةِ، وَالْمَجَرَّةُ بَابُ السَّمَاءِ.

قَوْلُهُ: {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا} أَيْ :سَمِعَتْ أَمْرَ رَبِّهَا بِالِانْشِقَاقِ وَأَطَاعَتْهُ، مِنَ الْأُذُنِ وَهُوَ الِاسْتِمَاعُ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا } سَمِعَتْ وَأَطَاعَتْ(٣).

قَوْلُهُ :{وَحُقَّتْ}[الانشقاق: ١] أَيْ: وَحُقَّ لَهَا أَنْ تُطِيعَ أَمْرَهُ؛ لِأَنَّهُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يُمانَع وَلَا يُغَالَبُ، بَلْ قَدْ قَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ وَذَلَّ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ.

وقَوْلُهُ : {وَإِذَا الْأَرْض مُدَّتْ} [الانشقاق: ٣]زِيدَ فِي سَعَتهَا كَمَا يُمَدّ الْأَدِيم وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهَا بِنَاء وَلَا جبل، عَنْ مُجَاهِدٍ: {وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ} [الانشقاق: ٤]قَالَ: أخرجت مَا فِيهَا مِنَ الْمَوْتَى وَتَخَلَّتْ مِنْهُمْ (٤).

وَقَوْلُهُ: {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ} [الانشقاق: ٥] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا } قَالَ: سَمِعَتْ لِرَبِّهَا وَأَطَاعَتْ {وَحُقَّتْ} يَقُولُ: وَحَقَّقَ اللَّهُ عَلَيْهَا الِاسْتِمَاعَ بِالِانْشِقَاقِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَى طَاعَتِهِ فِي ذَلِكَ.

**قَوْلُهُ:** {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} [الانشقاق: ٦] قَالَ قَتَادَةَ: «عَامِلٌ لَهُ عَمَلًا»وَمَعْنَى قَوْلِهِ: {كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا} أَيْ سَاعٍ إِلَيْهِ فِي عَمَلِكَ، وَالْكَدْحُ: عَمَلُ

---

[1] (العتمة) العشاء.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٧٦٦) واللفظ له، وأخرجه مسلم رقم (٥٧٨). (فقلت له) سألته عن حكمها.

(٣) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا ج٤ص١٠٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٣٠/٢٤)، تفسير مجاهد (ص: ٧١٤) تفسير البغوي (٨/ ٣٧٤)،مختصر تفسير ابن كثير (٦١٨/٢).

الْإِنْسَانِ وَجُهْدُهُ فِي الْأَمْرِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ حَتَّى يَكْدَحَ ذَلِكَ فِيهِ، أَيْ يُؤَثِّرَ؛ يَقُولُ: فَلْيَكُنْ عَمَلُكَ مِمَّا يُنْجِيكَ مِنْ سَخَطِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ رِضَاهُ، وَلَا يَكُنْ مِمَّا يُسْخِطُهُ عَلَيْكَ فَتَهْلِكَ ، {فَمُلاقِيهِ}[الانشقاق: ٦] ثُمَّ إِنَّكَ سَتَلْقَى مَا عملتَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

وَقَوْلُهُ: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ} [الانشقاق: ٧] أي: فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ كِتَابَ أَعْمَالِهِ بِيَمِينِهِ أَيْ: سَهْلًا بِلَا تَعْسِيرٍ، {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا}[الانشقاق: ٨] بِأَنْ يُنْظَرَ فِي أَعْمَالِهِ، فَيُغْفَرَ لَهُ سَيِّئُهَا، وَيُجَازَى عَلَى حَسَنِهَا (١).

وفي الصحيحين من حديث عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ: كَانَتْ لاَ تَسْمَعُ شَيْئًا لاَ تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: ٨] قَالَتْ: فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَكِنْ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكْ». (٢)

قَوْلُهُ: {وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ}[الانشقاق: ٩] أَيْ: وَيَرْجِعُ إلى أهله في الجنة {مَسْرُورًا} أي: فرحًا مُغْتَبِطًا بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ عزَّ وجلّ.

وقَوْلُهُ: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ} [الانشقاق: ١٠]أَيْ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ تُثْنَى يَدُهُ إِلَى وَرَائِهِ، وَيُعْطَى كِتَابَهُ بِهَا كَذَلِكَ، وقَالَ الْبُخَارِيُّ قَالَ مُجَاهِدٌ: {كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ} أي: يَأْخُذُ كِتَابَهُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ(٣).

قَوْلِهِ: {فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا}[الانشقاق: ١١] أَيْ: يُنَادِي بِالْوَيْلِ وَالْهَلَاكِ إِذَا قَرَأَ كِتَابَهُ يَقُولُ: يَا وَيْلَاهُ يَا ثُبُورَاهُ، {وَيَصْلَى سَعِيرًا}[الانشقاق: ١٢]أي: أنهم يَصلونها ويَردونها، فيحترقون فيها،{إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا}[الانشقاق: ١٣] يَعْنِي فِي الدُّنْيَا، بِاتِّبَاعِ هَوَاهُ وَرُكُوبِ شَهْوَتِهِ، وَلَا يَخَافُ مِمَّا أَمَامَهُ فَأَعْقَبَهُ ذَلِكَ الْفَرَحُ الْيَسِيرُ الْحُزْنَ الطَّوِيلَ، {إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ}[الانشقاق: ١٤] أَيْ: كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ إلى الله، ولا يعيده بعد موته، قال ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا، **والحَوْر** هُوَ: الرُّجُوعُ {بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا} وَقَوْلُهُ: {بَلَى} يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: بَلَى لَيَحُورَنَّ وَلَيَرْجِعَنَّ إِلَى رَبِّهِ حَيًّا، كَمَا كَانَ قَبْلَ مَمَاتِهِ ، يَعْنِي: بَلَى سَيُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا بَدَأَهُ وَيُجَازِيهِ عَلَى أَعْمَالِهِ خَيْرِهَا وَشَرِّهَا فَإِنَّهُ { إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٤/٢٣١)، تفسير عبد الرزاق (٣/ ٤٠٧).
(٢) أخرجه البخاري رقم(١٠٣) واللفظ له، وأخرجه مسلم رقم(٢٨٧٦).
(٣) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٦٧.

بَصِيرًا}[الانشقاق: ١٥] أَيْ عَلِيمًا خَبِيرًا مِنْ يَوْمِ خَلَقَهُ إِلَى أَنْ بَعْثَهُ. (١)
**قَوْلُهُ:** {فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ}[الانشقاق: ١٦] قال ابن جرير: وَهَذَا قَسَمٌ أَقْسَمَ رَبُّنَا بِالشَّفَقِ، وَالشَّفَقُ: الْحُمْرَةُ فِي الْأُفُقِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ مِنَ الشَّمْسِ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الْحُمْرَةُ كَمَا قُلْنَا،قَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ النَّهَارُ كُلُّهُ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: هُوَ الْحُمْرَةُ الَّتِي تَبْقَى فِي الْأُفُقِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ الْبَيَاضُ الَّذِي يَعْقُبُ تِلْكَ الْحُمْرَةَ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "وَقْتُ الْمَغْرِبِ مَا لَمْ يَغِبِ الشَّفَقُ"(٢)، قال ابْنُ جَرِيرٍ: أَقْسَمَ اللَّهُ بِالنَّهَارِ مُدْبِرًا وَبِاللَّيْلِ مقبلًا.
**وقَوْلُهُ:** {وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ}[الانشقاق: ١٧] يَقُولُ: وَاللَّيْلِ وَمَا جَمَعَ، مِمَّا سَكَنَ وَهَدَأَ فِيهِ مِنْ ذِي رُوحٍ كَانَ يَطِيرُ، أَوْ يَدِبُّ نَهَارًا، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّيْلَ إِذَا أَقْبَلَ أَوَى كُلُّ شَيْءٍ إِلَى مَأْوَاهُ ،وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: أَقْسَمَ اللَّهُ بِالنَّهَارِ مُدْبِرًا، وَبِاللَّيْلِ مُقْبِلًا.
قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ مُجَاهِدٌ: {وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ}[الانشقاق: ١٧] جَمَعَ مِنْ دَابَّةٍ.(٣)
**وقَوْلُهُ:** {وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ}[الانشقاق: ١٨] يَقُولُ: وَبِالْقَمَرِ إِذَا تَمَّ نُورُهُ وَاسْتَوَى وَهُوَ فِي الْأَيَّامِ الْبِيضِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: اسْتَدَارَ، وَهُوَ افْتَعَلَ مِنَ الْوَسْقِ الَّذِي هُوَ الْجَمْعُ. (٤)
**وقَوْلُهُ:** {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبقٍ}[الانشقاق: ١٩] قال الشَّعْبِيِّ: لَتَرْكَبُنَّ يا محمد سماء بعد سماء، يعني ليلة الإسراء، وقيل: {طَبَقًا عَن طَبقٍ} منزلًا على منزل، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: {طَبَقًا عَن طَبقٍ} حَالًا بَعْدَ حَالٍ فَطِيمًا بعد ما كان رضيعًا، وشيخًا بعد ما كَانَ شَابًّا، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: {طَبَقًا عَن طَبقٍ}[الانشقاق: ١٩] يَقُولُ: حَالًا بَعْدَ حَالٍ، رَخَاءً بَعْدَ شِدَّةٍ، وَشِدَّةً بَعْدَ رَخَاءٍ، وَغِنًى بَعْدَ فَقْرٍ، وَفَقْرًا بَعْدَ غِنًى، وَصِحَّةً بَعْدَ سَقَمٍ، وَسَقَمًا بعد صحة، أخرج البخاري في صحيحه بسنده عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبقٍ}[الانشقاق: ١٩] حَالًا بَعْدَ حَالٍ، قَالَ: «هَذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ (٥).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٤/٢٥١) )، تفسير البغوي (٨/٣٧٤)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٨).
(٢) أخرجه مسلم رقم (٦١٢).
(٣) ذكره البخاري تعليقا (ج٤ص١٠٧).
(٤) انظر: تفسير البغوي (٨/٣٧٥).
(٥) أخرجه البخاري رقم (٤٩٤٠).

قال ابن جرير: وَالصَّوَابُ مِنَ التَّأْوِيلِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: لَتَرْكَبُنَّ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَأَمْرًا بَعْدَ أَمْرٍ مِنَ الشَّدَائِدِ، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ الْخِطَابُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُوَجَّهًا لِجَمِيعِ النَّاسِ، أَنَّهُمْ يَلْقَوْنَ مِنْ شَدَائِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهِ أَحْوَالًا.

وَقَوْلُهُ: {فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}[الانشقاق: ٢٠] أي: فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ، وَلَا يُقِرُّونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَقَدْ أَقْسَمَ لَهُمْ رَبُّهُمْ بِأَنَّهُمْ رَاكِبُونَ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ، مَعَ مَا قَدْ عَايَنُوا مِنْ حُجَجِهِ بِحَقِيقَةِ تَوْحِيدِهِ،{ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لاَ يَسْجُدُونَ}[الانشقاق: ٢١] أَيْ: فَمَاذَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَا لَهُمْ إذا قرئت عليهم آيات الله وَهُوَ هَذَا الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ إِعْظَامًا وَإِكْرَامًا واحترامًا؟، أخرج أبو داود في سننه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «سَجَدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ، وَاقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «أَسْلَمَ أَبُو هُرَيْرَةَ سَنَةَ سِتٍّ عَامَ خَيْبَرَ، وَهَذَا السُّجُودُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخِرُ فِعْلِهِ».[1]

وَقَوْلُهُ: {بل الذين كفروا يُكَذِّبُونَ}[الانشقاق: ٢٢] أَيْ: مِنْ سَجِيَّتِهِمُ التَّكْذِيبُ وَالْعِنَادُ وَالْمُخَالَفَةُ لِلْحَقِّ، {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ}[الانشقاق: ٢٣]قال ابن جرير يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تُوعِيهِ صُدُورُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، مِنَ التَّكْذِيبِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

{بِمَا يُوعُونَ}[الانشقاق: ٢٣] قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ: يَكْتُمُونَ فِي صُدُورِهِمْ، قَالَ الْبُخَارِيُّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {يُوعُونَ}: «يُسِرُّونَ».(٢)

وَقَوْلُهُ: {فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}[الانشقاق: ٢٤] أَيْ: فَأَخْبِرْهُمْ يَا مُحَمَّدُ بِأَنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قد أعدَّ لهم عذابا أليما، وقيل أي: اجْعَلْ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْبِشَارَةِ لَهُمْ ، لِأَنَّ عِلْمَهُ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ عَلَى الْوَجْهِ الْمَذْكُورِ مُوجِبٌ لِتَعْذِيبِهِمْ، {أَلِيمٍ} وَالْأَلِيمُ: الْمُؤْلِمُ الْمُوجِعُ، وَالْكَلَامُ خَارِجٌ مَخْرَجَ التَّهَكُّمِ بِهِمْ.

وَقَوْلُهُ:{إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}[الانشقاق: ٢٥] وهَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ يَعْنِي: لَكِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ أَيْ: بِقُلُوبِهِمْ {وَعَمِلُواْ الصالحات} أي: بِجَوَارِحِهِمْ {لَهُمْ أَجْرٌ} أَيْ: فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ {غَيْرُ مَمْنُونٍ}[الانشقاق: ٢٥] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: غَيْرُ مَنْقُوصٍ، وقال مجاهد: غَيْرُ مَحْسُوبٍ، فَإِنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ لَهُ الْمِنَّةُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، فِي كُلِّ حَالٍ وَآنٍ وَلَحْظَةٍ، وَإِنَّمَا

[1] أخرجه أبو داود رقم(١٤٠٧) وصححه الألباني.

(٢) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا (ج٦ص١٦٧).

دَخَلُوهَا بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ لَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَلَهُ عَلَيْهِمُ الْمِنَّةُ دَائِمًا سرمدًا، والحمد لله وحده أبدًا(١).

انتهى؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٥٦/٢٤) ) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٩)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٩٦).

## ٨٥- سُورَةُ الْبُرُوجِ مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ثِنْتَانِ وَعِشْرُونَ

أخرج أبو داود في سننه بسند صحيح، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «كَانَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ بِالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ، وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَنَحْوِهِمَا مِنَ السُّوَرِ»(١).

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج: ١] **قَوْلُهُ:** {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} [البروج: ١] قال ابْنُ جَرِيرٍ: أَقْسَمَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ، وَهِيَ مَنَازِلُ مُرْتَفِعَةٌ عَالِيَةٌ فِي السَّمَاءِ، مَعْنَى ذَلِكَ: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ مَنَازِلِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْبُرُوجَ جَمْعُ بُرْجٍ، وَهِيَ مَنَازِلُ تُتَّخَذُ عَالِيَةً عَنِ الْأَرْضِ مُرْتَفِعَةً، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: {وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} [النساء: ٧٨] مَنَازِلُ مُرْتَفِعَةٌ عَالِيَةٌ فِي السَّمَاءِ، وَهِيَ اثْنَا عَشَرَ بُرْجًا، فَمَسِيرُ الْقَمَرِ فِي كُلِّ بُرْجٍ مِنْهَا يَوْمَانِ وَثُلُثٌ، فَذَلِكَ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ مَنْزِلًا، ثُمَّ يَسْتَسِرُ لَيْلَتَيْنِ، وَمَسِيرُ الشَّمْسِ فِي كُلِّ بُرْجٍ مِنْهَا شَهْرٌ.(٢)

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ: {الْبُرُوجِ} النُّجُومُ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ أَيْضًا: الْبُرُوجُ الَّتِي فِيهَا الْحَرَسُ.

وقَوْلُهُ:{وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ }[البروج: ٢] وَأُقْسِمُ بِالْيَوْمِ الَّذِي وَعَدْتُهُ عِبَادِي، لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ، وَذَلِكَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ { وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ }[البروج: ٣] قَالَ: الْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ الشَّاهِدَ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ عَرَفَةَ. وَعَنْ عِكْرِمَةَ أَيْضًا: الشَّاهِدُ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْمَشْهُودُ: يَوْمُ الْجُمُعَةِ.

وقال ابن عثيمين : ذكر العلماء -علماء التفسير- في الشاهد والمشهود عِدَّة أقوال، يجمعها أنَّ الله أَقْسم بكلِّ شاهدٍ وبكلِّ مشهودٍ، والشهود كثيرون، ومنهم محمدٌ رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم شهيدٌ علينا، ومنهم نحن هذه الأمَّة شهداء على الناس، ومنهم أعضاء الإنسان يوم القيامة تشهد عليه بما عَمِل من خيرٍ وشرٍّ، ومنهم الملائكة يشهدون يوم القيامة، فكلُّ مَن شَهِد بحقٍّ فهو داخلٌ في قوله:{ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ }[البروج: ٣].

---

(١) أخرجه أبو داود رقم (٨٠٥)، وقال الألباني: حسن صحيح.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/٣٦٣)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٩٨).

قَوْلُهُ:{قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ}[البروج: ٤] قال ابن جرير: لُعِنَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ الَّذِينَ أَلْقُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي الْأُخْدُودِ(١)، قَالَ الْبُخَارِيُّ قَالَ مُجَاهِدٌ: {الأُخْدُودِ}: «شَقٌّ فِي الأَرْضِ»(٢).

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده، عَنْ صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ،

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٤/٢٧٧).
(٢) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا (ج٦ص١٦٨).

فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ[1]، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ». (٢)

قَوْلُهُ:{النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ}[البروج: ٥] وَذَاتِ الْوَقُودِ وَصْفٌ لَهَا بِأَنَّهَا نَارٌ عَظِيمَةٌ، وَالْوَقُودُ: الْحَطَبُ الْجَزْلِ الَّذِي تُوقَدُ بِهِ، {إِذْ هُمْ عَلَيْهَا} حَوْلَهَا عَلَى جَانِبِ الْأُخْدُود عَلَى الْكَرَاسِيِّ {قُعُود}، قال البغوي {إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ}[البروج: ٦] أَيْ: عِنْدَ النَّارِ جُلُوسٌ لِتَعْذِيبِ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ مُجَاهِدٌ: كَانُوا قُعُودًا عَلَى الْكَرَاسِيِّ عِنْدَ الْأُخْدُودِ.

قال ابن جرير: وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ قُعُودٌ عَلَى حَافَةِ الْأُخْدُودِ، وقِيلَ: عَلَى النَّارِ، وَالْمَعْنَى: لِشَفِيرِ الْأُخْدُودِ، لِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ مَعْنَاهُ {وَهُمْ} يَعْنِي الْمَلِكَ وَأَصْحَابَهُ الَّذِينَ خَدُّوا الْأُخْدُودَ {عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُود }[البروج: ٧] وَهُمْ مَعَ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ. قَالَ الزَّجَّاجُ: أَعْلَمَ اللَّهُ قِصَّةَ قَوْمٍ بَلَغَتْ بَصِيرَتُهُمْ وَحَقِيقَةُ إِيمَانِهِمْ إِلَى أَنْ صَبَرُوا عَلَى أَنْ يُحْرَقُوا بِالنَّارِ فِي اللَّهِ {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ}[البروج: ٨] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا كَرِهُوا مِنْهُمْ ،قَالَ مُقَاتِلٌ: مَا

[1] (قرقور) القرقور السفينة الصغيرة.

(٢) أخرجه مسلم رقم (٣٠٠٥).

عَابُوا مِنْهُمْ، وَقِيلَ: مَا عَلِمُوا فِيهِمْ عَيْبًا، وقَالَ الزَّجَّاجُ: مَا أَنْكَرُوا عَلَيْهِمْ ذَنْبًا إِلَّا إِيمَانَهُمْ بِاللَّهِ {إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ}[البروج: ٨] أَيْ: وَمَا كَانَ لَهُمْ عِنْدَهُمْ ذَنْبٌ إِلَّا إِيمَانُهُمْ بِاللَّهِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ: {هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ }( المائدة: ٥٩) أي: إلا أن صدّقوا بالله الغالب المحمود فِي كُلِّ حَالٍ.

وقَوْلُهُ:{الْعَزِيزِ} الَّذِي لَا يُضَامُ مَنْ لَاذَ بِجَنَابِهِ، الْعَزِيزِ فِي انْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ،{الْحَمِيدُ}[البروج: ٨] عِنْدَ خَلْقِهِ، فَأَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ، وَنِعَمُهُ لَدَيْهِمْ، الْحَمِيدُ فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدْرِهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قَدّر عَلَى عِبَادِهِ هَؤُلَاءِ هَذَا الَّذِي وَقَعَ بِهِمْ بِأَيْدِي الْكُفَّارِ بِهِ، فَهُوَ {الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ}، وَإِنْ خَفِيَ سَبَبُ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ وَصَفَ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى الْعِظَمِ وَالْفَخَامَةِ فَقَالَ: {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}[البروج: ٩]مِنْ تَمَامِ الصِّفَةِ أَنَّهُ الْمَالِكُ لِجَمِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمَنْ كَانَ هَذَا شَأْنُهُ، فَهُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ يُؤْمَنَ بِهِ وَيُوَحَّدَ {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[البروج: ٩] أَيْ لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ،وَفِي هَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِأَصْحَابِ الْأُخْدُودِ، وَوَعْدُ خَيْرٍ لِمَنْ عَذَّبُوهُ عَلَى دِينِهِ مِنْ أُولَئِكَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَقَوْلُهُ: {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}[البروج: ١٠]قال ابن جرير يَقُولُ: إِنَّ الَّذِينَ ابْتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِاللَّهِ بِتَعْذِيبِهِمْ، وَإِحْرَاقِهِمْ بِالنَّارِ {ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا} أَيْ: لَمْ يُقْلِعُوا عَمَّا فَعَلُوا، وَيَنْدَمُوا عَلَى مَا أَسْلَفُوا، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْكَرَمِ وَالْجُودِ، قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ.

وَقَوْلُهُ: {فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ }[البروج: ١٠] قال الشوكاني أَيْ:لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ جَهَنَّمَ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، {وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ}[البروج: ١٠] أ يْ: وَلَهُمْ عَذَابٌ آخَرُ زَائِدٌ عَلَى عَذَابِ كُفْرِهِمْ، وَهُوَ عَذَابُ الْحَرِيقِ الَّذِي وَقَعَ مِنْهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَقِيلَ: إِنَّ الْحَرِيقَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ ك السعير، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ فِي جَهَنَّمَ بِالزَّمْهَرِيرِ ثُمَّ يُعَذَّبُونَ بِعَذَابِ الْحَرِيقِ فَالْأَوَّلُ: عَذَابٌ بِبَرْدِهَا، وَالثَّانِي: عَذَابٌ بِحَرِّهَا، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ. (١)

وَقَوْلُهُ:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ }[البروج: ١١]{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ}[البروج: ١١] أي: إِنَّ الَّذِينَ أَقَرُّوا بِتَوْحِيدِ اللَّهِ، وَهُمْ

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٧٨/٢٤)، تفسير البغوي (٣٨٧/٨)، تفسير ابن كثير (٣٦٦/٨)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٠١).

هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ وَغَيْرَهُمْ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ بِاللَّهِ {وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ} وَعَمِلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَائْتَمَرُوا لِأَمْرِهِ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَاهُمْ عَنْهُ {لَهُم جنَّات تجْرِي من تحتها الْأَنْهار}[البروج: ١١] لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ بَسَاتِينُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ {الْأَنْهار} أنهار الْخمر ،وَالْمَاء، وَالْعَسَل ،وَاللَّبن ،بِخِلَافِ مَا أُعِدَّ لِأَعْدَائِهِ مِنَ الْحَرِيقِ وَالْجَحِيمِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: {ذَلِك الْفَوْز الْكَبِير}[البروج: ١١] النجَاة الوافرة فازوا بِالْجنَّةِ ونجوا من النَّار.

وَقَوْلُهُ: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ}[البروج: ١٢] وَهُوَ تَحْذِيرٌ مِنَ اللَّهِ لِقَوْمِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يُحِلَّ بِهِمْ مِنْ عَذَابِهِ وَنِقْمَتِهِ، نَظِيرَ الَّذِي حَلَّ بِأَصْحَابِ الْأُخْدُودِ عَلَى كُفْرِهِمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ، وَفِتْنَتِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنْهُمْ ، كَقَوْلِهِ: {إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} (هُودٍ:١٠٢).

قال ابن كثير أَيْ: إِنَّ بَطْشَهُ وَانْتِقَامَهُ مِنْ أَعْدَائِهِ الَّذِينَ كَذَّبوا رُسُلَهُ وَخَالَفُوا أَمْرَهُ، لَشَدِيدٌ عَظِيمٌ قَوِيٌّ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ، الَّذِي مَا شَاءَ كَانَ كَمَا يَشَاءُ فِي مِثْلِ لَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: {إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيد}[البروج: ١٣] قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: {يُبْدِئُ وَيُعِيدُ} [البروج: ١٣] قَالَ: يُبْدِئُ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُ، وَيُعِيدُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ الْعَذَابَ وَيُعِيدُهُ.

وقال ابن جرير: وَأَوْلَى التَّأْوِيلَيْنِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ، وَأَشْبَهُهُمَا بِظَاهِرِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ التَّنْزِيلُ الْقَوْلُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ أَنَّهُ يُبْدِئُ الْعَذَابَ لِأَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ وَيُعِيدُ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: {فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ} [البروج: ١٠] فِي الدُّنْيَا، فَأَبْدَأَ ذَلِكَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ يُعِيدُهُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ.

وَقَوْلُهُ: {وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُود}[البروج: ١٤] أَيْ: يَغْفِرُ ذَنْبَ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ وخَضَع لَدَيْهِ، وَلَوْ كَانَ الذَّنْبُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ، و{الْوَدُودُ} اسمٌ من أسماء الله الحُسنَى ، معناه : المحبُّ لعباده الصالحين ، أو المحبوبُ في قلوب أوليائه ، قال البخاري قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ-: **هُوَ الْحَبِيبُ**، يُقَالُ: حَمِيدٌ مَجِيدٌ، كَأَنَّهُ فَعِيلٌ مِنْ مَاجِدٍ، مَحْمُودٌ مِنْ حَمِدَ. (١)

وَقَوْلُهُ:{ذُو الْعَرْشِ}[البروج: ١٥]قال ابن كثير أَيْ: صَاحِبُ الْعَرْشِ الْمُعَظَّمِ الْعَالِي عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، وَ {الْمَجِيدُ}[البروج: ١٥] العظيمُ الجليلُ المُتعالِي، فِيهِ قِرَاءَتَانِ: الرَّفْعُ عَلَى

(١) ذكره البخاري تعليقا (١٥٢/٩).

أَنَّهُ صِفَةٌ لِلرَّبِّ، عَزَّ وَجَلَّ، وَالْجَرُّ عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلْعَرْشِ،وَكِلَاهُمَا مَعْنًى صَحِيحٌ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:{الْمَجِيدُ}: الكَرِيمُ. (١)

وَقَوْلُهُ:{ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ }[البروج: ١٥] قال ابن عثيمين أي: صاحب العرش، والعرش هو الذي استوى عليه الله عز وجل، وهو أعظم المخلوقات وأكبرها وأوسعها، وقد جاء في الأثر أنَّ السماوات السبع والأرضين السبع بالنسبة إلى الكرسي كحلقةٍ أُلقِيتْ في فلاةٍ من الأرض، حلقة الدرع صغيرة أُلقيت في فلاةٍ من الأرض ليست بشيءٍ بالنسبة لها، وإنَّ فَضْل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة.

إذَن الكرسي لا أحد يقدر عن سعته، وإذا كُنَّا نشاهد من المخلوقات المشهودة الآن التباين العظيم في أحجامها؛ أَطْلَعني رجلٌ على صورةِ الشمس، مصوَّرة، وصورةِ الأرض، فوجدتُ أنَّ الأرض بالنسبة لهذه الشمس كنقطةٍ غير كبيرة في تبسي واسع كبير، وأنها لا تُنسَب إلى الشمس إطلاقًا، ما هي شيء، فإذا كان هذا في الأشياء المشهودة التي تُدرَك بالتلسكوب وغيره، فما بالُك بالأشياء الغائبة عنَّا! لأنَّ ما غاب عنَّا أعظم مما نشاهد؛ قال الله تعالى: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء ٨٥]، فالحاصل أنَّ العرش هو هذا الذي هو سَقْف المخلوقات كلِّها، عرشٌ عظيمٌ، استوى عليه الرحمنُ جل وعلا؛ كما قال تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه ٥].

وَقَوْلُهُ:{فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}[البروج: ١٦] أَيْ: هُوَ غَفَّارٌ لِذُنُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا تَابَ وَأَنَابَ مِنْهَا، مُعَاقِبٌ مَنْ أَصَرَّ عَلَيْهَا وَأَقَامَ، لَا يَمْنَعُهُ مَانِعٌ مِنْ فِعْلٍ أَرَادَ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَلَا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ حَائِلٌ، لِأَنَّ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

وَقَوْلُهُ: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ}[البروج: ١٧-١٨] قال ابن كثيرأَيْ: هَلْ بَلَغَكَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ الْبَأْسِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّقْمَةِ الَّتِي لَمْ يَرُدَّهَا عَنْهُمْ أَحَدٌ؟ ،مَعْنَى الْكَلَامِ: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ وَثَمُودَ؛ وَخَفَضَ فِرْعَوْنَ رَدًّا عَلَى الْجُنُودِ، عَلَى التَّرْجَمَةِ عَنْهُمْ.

وَقَوْلُهُ: {بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ}[البروج: ١٩] أَيْ: مَا بِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِوَعِيدِ اللَّهِ، أَنَّهُمْ لَمْ يَأْتِهِمْ أَنْبَاءُ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَ اللَّهِ، كَفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَثَمُودَ وَأَشْكَالِهِمْ، وَمَا أَحَلَّ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ النِّقَمِ، بِتَكْذِيبِهِمُ الرُّسُلَ، وَلَكِنَّهُمْ فِي تَكْذِيبٍ بِوَحْيِ اللَّهِ

(١) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا ج٩ص١٢٤.

وَتَنْزِيلِهِ، إِيثَارًا مِنْهُمْ لِأَهْوَائِهِمْ، وَاتِّبَاعًا مِنْهُمْ لَسُنَنِ آبَائِهِمْ. وَقَوْلُهُ: {وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ} [البروج: ٢٠] بِأَعْمَالِهِمْ، مُحْصٍ لَهَا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَى جَمِيعِهَا،وقيل أَيْ: يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ بِهِمْ مَا أَنْزَلَ بِأُولَئِكَ، وَالْإِحَاطَةُ بِالشَّيْءِ: الْحَصْرُ لَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ، فَهُوَ تَمْثِيلٌ لِعَدَمِ نَجَاتِهِمْ بِعَدَمِ فَوْتِ الْمُحَاطِ بِهِ عَلَى الْمُحِيطِ.

وَقَوْلُهُ: {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ}[البروج: ٢١] أَيْ: عَظِيمٌ كَرِيمٌ{فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ}[البروج: ٢٢]هُوَ قُرْآنٌ كَرِيمٌ، مُثْبَتٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ، وهُوَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى مَحْفُوظٌ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ وَالتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ(١).

انتهى، والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٨٧/٢٤)، تفسير ابن كثير (٣٧٢/٨).

## ٨٦- سُورَةُ الطَّارِقِ مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا سَبْعَ عَشْرَةَ

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ}[الطارق: ١] قال ابن كثير: يُقْسِمُ تَعَالَى بِالسَّمَاءِ وَمَا جَعَلَ فِيهَا مِنَ الْكَوَاكِبِ النَّيِّرَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ}[الطارق: ١] قال ابن جرير: أَقْسَمَ رَبُّنَا بِالسَّمَاءِ وَبِالطَّارِقِ الَّذِي يَطْرُقُ لَيْلًا مِنَ النُّجوم الْمُضِيئَةِ، وَيَخْفَى نَهَارًا، وَقَال الْبُخَارِيُّ{الطَّارِقِ} هو: النَّجْمُ، وما أَتاكَ ليلًا فهُوَ: طارقٌ. (١)

ثُمَّ قَالَ {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ}[الطارق: ٢] كُلُّ مَا جَاءَ لَيْلًا فَقَدْ طَرَقَ، قَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ: إِنَّمَا سُمِّيَ النَّجْمُ طَارِقًا؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُرَى بِاللَّيْلِ وَيَخْتَفِي بِالنَّهَارِ، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِقَوْلِهِ: {النَّجْمُ الثَّاقِبُ}[الطارق: ٣] قال ابن جرير يَعْنِي: يَتَوَقَّدُ ضِيَاؤُهُ وَيَتَوَهَّجُ، وَالثَّاقِبُ أَيْضًا: الَّذِي قَدِ ارْتَفَعَ عَلَى النُّجُومِ، قَال الْبُخَارِيُّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {الثَّاقِبُ}: المُضيءُ، وَقَالَ السُّدِّيُّ: يَثْقُبُ الشَّيَاطِينَ إِذَا أُرْسِلَ عَلَيْهَا، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: هُوَ مُضِيءٌ وَمُحْرِقٌ لِلشَّيْطَانِ.

وَقَوْلُهُ: {إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ}[الطارق: ٤] قال البغوي : قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَعَاصِمٌ، وَحَمْزَةُ: {لَمَّا} بِالتَّشْدِيدِ، **يَعْنُونَ: مَا كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**، وَهِيَ لُغَةُ هُذَيْلٍ يَجْعَلُونَ {لَمَّا} بِمَعْنَى **"إِلَّا"** يَقُولُونَ: نَشَدْتُكَ اللَّهَ لَمَّا قُمْتَ، أَيْ: إِلَّا قُمْتَ.

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالتَّخْفِيفِ، جَعَلُوا **"مَا"** صِلَةً، مَجَازُهُ: **إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَعَلَيْهَا حَافِظٌ** مِنْ رَبِّهَا، أَيْ: كُلُّ نَفْسٍ عَلَيْهَا مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ يَحْرُسُهَا مِنَ الْآفَاتِ {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ}[الطارق: ٥] تَنْبِيهٌ لِلْإِنْسَانِ عَلَى ضَعْفِ أَصْلِهِ الَّذِي خُلق مِنْهُ، وَإِرْشَادٌ لَهُ إِلَى الِاعْتِرَافِ بِالْمَعَادِ؛ لِأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى البَدَاءة فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى، كَمَا قَالَ: **{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}** [الرُّوم: ٢٧].

وَقَوْلُهُ: {خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ}[الطارق: ٦] مِنْ مَاءٍ مَدْفُوقٍ، يَعْنِي: الْمَنِيُّ؛ يَخْرُجُ دَفقًا مِنَ الرَّجُلِ وَمِنَ الْمَرْأَةِ، فَيَتَوَلَّدُ مِنْهُمَا الْوَلَدُ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَلِهَذَا قَالَ: {يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ}[الطارق: ٧] عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ} صُلْبِ الرَّجُلِ وَتَرَائِبِ الْمَرْأَةِ، أَصْفَرَ رَقِيقٍ، لَا يَكُونُ الْوَلَدُ إِلَّا مِنْهُمَا، و{التَّرَائِبُ} جمع التريبة، وَهِيَ عِظَامُ الصَّدْرِ وَالنَّحْرِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ مِنَ الصَّدْرِ واختاره ابن جرير ، لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ.

---

(١) ذكره البخاري تعليقاج٣ص٣١٦.

وَقَوْلُهُ: {إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ}[الطارق: ٨] **فِيهِ قَوْلَانِ، أَحَدُهُمَا**: عَلَى رَجْعِ هَذَا الْمَاءِ الدَّافِقِ إِلَى مَقَرِّهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ لَقَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، قاله مجاهد، وَعِكْرِمَةُ، وَغَيْرُهُمَا.

**وَالْقَوْلُ الثَّانِي**: إِنَّهُ عَلَى رَجْعِ هَذَا الْإِنْسَانِ الْمَخْلُوقِ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ، أَيْ: إِعَادَتُهُ وَبَعْثُهُ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ لَقَادِرٌ؛ لِأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى الْبَدْءِ قَدَرَ عَلَى الْإِعَادَةِ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الدَّلِيلَ فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ، وَهَذَا الْقَوْلُ قَالَ بِهِ الضَّحَّاكُ، **وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ**، وَلِهَذَا قَالَ: {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} [الطارق: ٩]قال ابن كثير أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ، أَيْ: تَظْهَرُ وَتَبْدُو، وَيَبْقَى السِّرُّ عَلَانِيَةً وَالْمَكْنُونُ مَشْهُورًا.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الغَادِرَ يُرْفَعُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ». (١)

قال ابن جرير وَعُنِيَ بِقَوْلِهِ: {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} [الطارق: ٩] يَوْمَ تُخْتَبَرُ سَرَائِرُ الْعِبَادِ، فَيَظْهَرُ مِنْهَا يَوْمَئِذٍ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا مُسْتَخْفِيًا عَنْ أَعْيُنِ الْعِبَادِ، مِنَ الْفَرَائِضِ الَّتِي كَانَ اللَّهُ أَلْزَمَهُ إِيَّاهَا، وَكَلَّفَهُ الْعَمَلَ بِهَا.

قَالَ قَتَادَةُ وَمُقَاتِلٌ: تُخْتَبَرُ الْأَعْمَالُ ،قال ابن عثيمين أي: تُختبَر السرائر، وهي القلوب؛ فإنَّ الحساب يوم القيامة على ما في القلوب، والحساب في الدنيا على ما في الجوارح ، ولهذا يجب علينا يا إخواني العناية بعمل القلب أكثر من العناية بعمل الجوارح، عملُ الجوارح علامةٌ ظاهرةٌ، لكن عمل القلب هو الذي عليه المدار، ولهذا أخبر النبيُّ عليه الصلاة والسلام عن الخوارج يخاطب الصحابةَ يقول: «يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ»

يعني: أنهم يجتهدون في الأعمال الظاهرة، لكن قلوبهم خاليةٌ والعياذ بالله، لا يتجاوز الإسلامُ حناجرهم «يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ».[٢]

فعلينا أيُّها الإخوة أنْ نعتني بالقلوب وإصلاحِها وأعمالِها وعقائدِها واتجاهاتِها؛ قال الحسن البصري رحمه الله: «واللهِ ما سَبَقهم أبو بكرٍ بصلاةٍ ولا صومٍ، وإنما سَبَقهم بما وَقَرَ في قلبه من الإيمان».

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٦١٧٧)، واللفظ له، وأخرجه مسلم رقم ( ١٧٣٥).

[٢] أخرجه البخاري من حديث أَبَي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رقم(٣٦١٠)واللفظ له ومسلم رقم (١٠٦٤).

والإيمان إذا وقَرَ في القلب حَمَل الإنسانَ على العمل، لكن العمل الظاهر قد لا يحمل الإنسانَ على إصلاح قلبه، فعلينا أيها الإخوة أنْ نعتني بقلوبنا وإصلاحها وتخليصها من شوائب الشركِ، والبدَعِ، والحقدِ، والبَغْضاءِ، وغيرِ ذلك مما يجب تنزيه القلب عنه.

قال الشوكاني: والمُرادُ هُنا عَرْضُ الأعْمالِ ونَشْرُ الصُّحُفِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَمَيَّزُ الحَسَنُ مِنها عَنِ القَبِيحِ، والغَثُّ مِنَ السَّمِين.

وَقَوْلُهُ: {فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ}[الطارق: ١٠] قال البغوي أَيْ: مَا لِهَذَا الْإِنْسَانِ الْمُنْكِرِ لِلْبَعْثِ مِنْ قُوَّةٍ يَمْتَنِعُ بِهَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَلَا نَاصِرَ يَنْصُرُهُ مِنَ اللَّهِ.

وَقَوْلُهُ:{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ} [الطارق: ١١] تَرْجِعُ بِالْغُيُومِ وَأَرْزَاقِ الْعِبَادِ كُلَّ عامٍ، أَيْ: ذَاتِ الْمَطَرِ، لِأَنَّهُ يَرْجِعُ كُلَّ عَامٍ وَيَتَكَرَّرُ ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ مُجَاهِدٌ: {ذَاتِ الرَّجْعِ} سَحَابٌ يَرْجِعُ بِالْمَطَرِ. (١)

وَقَوْلُهُ:{وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ} [الطارق: ١٢] أَيْ :تَتَصَدَّعُ وَتَنْشَقُّ عَنِ النَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ {إِنَّهُ} يَعْنِي: الْقُرْآنَ {لَقَوْلٌ فَصْلٌ} حَقٌّ وَجِدٌّ يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. {إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ} [الطارق: ١٣] قَالَ الْبُخَارِيُّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَقٌّ. (٢) وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ، وَقَالَ آخَرُ: حُكْمٌ عَدْلٌ.

وَقَوْلُهُ:{وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ} [الطارق: ١٤] أَيْ: بَلْ هُوَ حَقٌّ جِدٌّ ، عَنْ مُجَاهِدٍ: {وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ} يَقُولُ: مَا هُوَ بِاللَّعِبِ.

قال ابن كثير:ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ الْكَافِرِينَ بِأَنَّهُمْ يُكَذِّبُونَ بِهِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِهِ، فَقَالَ: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا} [الطارق: ١٥]ِيْ: يَمْكُرُونَ بِالنَّاسِ فِي دَعْوَتِهِمْ إِلَى خِلَافِ الْقُرْآنِ{وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق: ١٦] وَكَيْدُ اللَّهِ اسْتِدْرَاجُهُ إِيَّاهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، وَأُجَازِيهِمْ جَزَاءَ كَيْدِهِمْ، وقِيلَ: هُوَ مَا أَوْقَعَ اللَّهُ بِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، ثُمَّ قَالَ: {فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ} أَيْ: أَنْظِرْهُمْ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَذَا وَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ {أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً } [الطارق: ١٧]قال ابن جرير يَقُولُ: أَمْهِلْهُمْ آنًا قَلِيلًا، وَأَنْظِرْهُمْ لِلْمَوْعِدِ الَّذِي هُوَ وَقْتُ حُلُولِ النِّقْمَةِ بِهِمْ ، كَمَا قَالَ: **{نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ}** [لُقْمَانَ: ٢٤] . (٣)

---

(١) ذكره البخاري تعليقا (ج٦ص١٦٨).
(٢) ذكره البخاري تعليقا ج٩ص١٤٣.
(٣) انظر: تفسير مجاهد (ص: ٧٢١)، تفسير الطبري (٢٤/ ٣٥٩)، تفسير البغوي (٣٩٥/٨)، تفسير ابن كثير =

انتهى ؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

= (٣٧٤/٨) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٠٧) تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ١٤٩).

## ٨٧- سُورَةُ الْأَعْلَى مَكِّيَّةٌ ،وَآيَاتُهَا تِسْعَ عَشْرَةَ

أخرج الْبُخَارِيُّ في صحيحه بسنده، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَجَعَلَا يُقْرِئَانِنَا الْقُرْآنَ،ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ، وَبِلَالٌ، وَسَعْدٌ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ، حَتَّى رَأَيْتُ الْوَلَائِدَ(١) وَالصِّبْيَانَ يَقُولُونَ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ قَدْ جَاءَ، فَمَا جَاءَ حَتَّى قَرَأْتُ[٢]: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى} فِي سُوَرٍ مِثْلِهَا. (٣)

وأخرج الْبُخَارِيُّ في صحيحه بسنده، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ بِـ {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١] وَفِي الصُّبْحِ بِأَطْوَلَ مِنْ ذَلِكَ. (٤)

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده ، عَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ الْأَنْصَارِيُّ لِأَصْحَابِهِ الْعِشَاءَ فَطَوَّلَ عَلَيْهِمْ فَانْصَرَفَ رَجُلٌ مِنَّا فَصَلَّى؛ فَأُخْبِرَ مُعَاذٌ عَنْهُ فَقَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ مَا قَالَ مُعَاذٌ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُرِيدُ أَنْ تَكُونَ فَتَّانًا يَا مُعَاذُ؟ إِذَا أَمَمْتَ النَّاسَ فَاقْرَأْ بِالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، **وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**، وَاقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى».[٥]

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ، وَفِي الْجُمُعَةِ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ»، قَالَ: «وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعِيدُ وَالْجُمُعَةُ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، يَقْرَأُ بِهِمَا أَيْضًا فِي الصَّلَاتَيْنِ».[٦]

وأخرج أبو داود في سننه بسنده، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: كَانَ إِذَا قَرَأَ: {سَبِّحِ

---

(١) (الولائد) جمع وليدة، وهي الصبية والأمة.

[٢] (قول الْبَرَاءِ:حَتَّى قَرَأْتُ فِي سُوَرٍمِثْلِهَا) أَيْ: تَعَلَّمْتُهَا فِي جُمْلَةِ سُوَرٍ أَوْ مَعَ سُوَرٍ مِثْلِ سُورَةِ سَبِّحْ فِي الْمِقْدَارِ مِنَ الْمُفَصَّلِ.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٩٤١) .

(٤) أخرجه البخاري برقم(٤٦٠).

[٥] أخرجه مسلم برقم(٤٦٥).

[٦] أخرجه مسلم برقم(٨٧٨).

اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}، قَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: خُولِفَ وَكِيعٌ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَرَوَاهُ أَبُو وَكِيعٍ، وَشُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْقُوفًا. (١)

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{سَبِّحْ اِسْمَ رَبِّك الْأَعْلَى } [الأعلى: ١] وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{سَبِّحْ اِسْمَ رَبِّك الْأَعْلَى } [الأعلى: ١] قال ابن جرير أَيْ: نَزِّهْ يَا مُحَمَّدُ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، أَنْ تُسَمِّيَ بِهِ شَيْئًا سِوَاهُ، يَنْهَاهُ بِذَلِكَ أَنْ يَفْعَلَ مَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونِ، مِنْ تَسْمِيَتِهِمْ آلِهَتَهُمْ بَعْضَهَا اللَّاتَ، وَبَعْضَهَا الْعُزَّى، قَالَ السُّدِّيُّ: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى أَيْ: عَظِّمْهُ ، {الْأَعْلَى } [الأعلى: ١] صِفَةٌ لِلرَّبِّ.

وَقَوْلُهُ :{الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى} [الأعلى: ٢] قال ابن جرير يَقُولُ: الَّذِي خَلَقَ الْأَشْيَاءَ فَسَوَّى خَلْقَهَا وَعَدَّلَهَا،قال ابن كثير أَيْ: خَلَقَ الْخَلِيقَةَ وسَوّى كُلَّ مَخْلُوقٍ فِي أَحْسَنِ الْهَيْئَاتِ.

وَقَوْلُهُ :{وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى}[الأعلى: ٣] قال ابن عثيمين أَيْ: قدَّرَ كلَّ شيءٍ عز وجل؛ كما قال تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا} [الفرقان ٢]، قدَّره في حاله وفي مآله، في ذاته وفي صفاته، كلُّ شيءٍ له قَدْرٌ محدودٌ، الآجال محدودة، الأحوال محدودة، الأجسام محدودة، كلُّ شيءٍ مقدَّر تقديرًا كما قال تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}[الفرقان ٢].

وَقَوْلُهُ : {فَهَدَى}يشمل الهداية الشرعية والهداية الكونية: الهداية الكونية أنَّ الله هدى كلَّ شيءٍ لِمَا خُلِقَ له،...ا نظر إلى الطفل إذا خرج من بطن أمِّه وأراد أن يرضع، هل فيه أحد يقول: ارفعْ رأسَك، ارضعْ من الثدي؟ لا. ولو كان فيه أحد ما فَقَه، لكن يهديه الله عز وجل إلى هذا الثدي يرتضع منه ، وهذا الشيء مشاهَد مجرَّب، مَن الذي هداها لذلك؟ هداها الله عز وجل، هذه هداية كونية؛ أنَّه هَدَى كلَّ مخلوقٍ لِمَا يحتاج إليه.

أمَّا الهداية الشرعية -وهي الأهمُّ بالنسبة لبني آدم- فهي أيضًا بيَّنها الله عز وجل، حتى الكفَّار قد هداهم الله؛ يعني بيَّن لهم؛ قال الله تعالى: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} [فصلت: ١٧]، والعياذ بالله، استحبُّوا الكفرَ على الإيمان.

وقال الشيخ سعيد بن مسفر:«الهداية الشرعية أي: الدلالة، فالله دلك ففطرك على الإسلام، ودلك فأنزل لك كتاباً وأرسل لك رسولاً، ودلك فبين لك الخير وأمرك به، وبين

(١) أخرجه أبو داود رقم (٨٨٣)، قال شعَيب الأرنؤوط: صحيح موقوف عَلي ابْنِ عَبَّاسٍ.

لك الشر وحذرك منه، فماذا تريد بعد ذلك؟ هل تريد أن يُنزِل لك الله ملكاً من الملائكة يأخذ بأذنك فيقول صلِّ إذا جاءت الصلاة.»

إذاً ليس هناك فائدة إذا اهتديت؛ لأنك إنما اهتديت بالقوة.

فالهداية هي: الدلالة، والله تعالى يقول: {أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي} [الزمر:٥٧] قال الله تعالى: {بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي} [الزمر:٥٩] أي: بلغتك دلالاتي {فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [الزمر:٥٩].

فليس لأحد حجة الآن؟ ما يدريك أن الله لم يهدك؟ هل اطلعت على الغيب؟ بعض الناس عندما تنصحه يقول لك: لا يا شيخ! يمكن أن الله كتبني شقياً.

حسناً، لماذا لا تَحتمل أن الله كتبك سعيداً مادامت كلمة شقي وسعيد في علم الغيب؟ لماذا احتملت الخيار الأسوأ انهزاماً أمام شهواتك؟ إن قضية شقي وسعيد ليست من خصوصياتك، أنت عبد مأمور، عملك أن تطيع الله ولا تعصه، وأن تثق أن الله لا يظلمك أبداً {إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} [النساء:٤٠].[1]

وَقَوْلُهُ :{ فَهَدَى } بَيَّنَ لَهُ السَّبِيلَ: سَبِيلَ الْهُدَى، وَسَبِيلَ الضَّلالَةِ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ مُجَاهِدٌ:{قَدَّرَ فَهَدَى}[الأعلى: ٣]قَدَّرَ الشَّقَاءَ وَالسَّعَادَةَ،وَهَدَى الأَنْعَامَ لِمَرَاتِعِهَا. (٢) وَقَوْلُهُ:{وَالَّذِي أخرج الْمَرْعَى}[الأعلى: ٤] أَيْ: مِنْ جَمِيعِ صُنُوفِ النَّبَاتَاتِ وَالزُّرُوعِ، وَأَنْوَاعِ الْحَشِيشِ.

وَقَوْلُهُ: {فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى} [الأعلى: ٥] قال ابن جرير يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَجَعَلَ ذَلِكَ الْمَرْعَى غُثَاءً، وَهُوَ مَا جَفَّ مِنَ النَّبَاتِ وَيَبِسَ، فَطَارَتْ بِهِ الرِّيحُ؛ وَإِنَّمَا عُنِيَ بِهِ هَاهُنَا أَنَّهُ جَعَلَهُ هَشِيمًا يَابِسًا مُتَغَيِّرًا إِلَى الْحُوَّةِ، وَهِيَ السَّوَادُ، مِنَ الْبَيَاضِ أَوِ الْخُضْرَةِ، مِنْ شِدَّةِ الْيُبْسِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَشِيمًا مُتَغَيِّرًا.

وَقَوْلُهُ: {سَنُقْرِئُكَ} أَيْ: يَا مُحَمَّدُ {فَلا تَنْسَى}[الأعلى: ٦]قال ابن كثير: وَهَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَوَعْدٌ مِنْهُ لَهُ، بِأَنَّهُ سَيُقْرِئُهُ قِرَاءَةً لَا يَنْسَاهَا، {إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ} وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ جَرِيرٍ.

[1] «دروس للشيخ سعيد بن مسفر» (٤٧/ ٢٢).

(٢) ذكره البخاري تعليقا (ج٨ص١٢٦).

عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَذَكَّرُ الْقُرْآنَ فِي نَفْسِهِ مَخَافَةَ أَنْ يَنْسَى»، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى}[الأعلى: ٦
وَقَوْلُهُ:{إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} [الأعلى: ٧] قال ابن جرير مَعْنَى ذَلِكَ: فَلَا تَنْسَى إِلَّا أَنْ نَشَاءَ نَحْنُ أَنْ نُنْسِيَكَهُ بِنَسْخِهِ وَرَفْعِهِ.
وَقَوْلُهُ:{إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى}[الأعلى: ٧] قال ابن كثير أَيْ: يَعْلَمُ مَا يَجْهَرُ بِهِ الْعِبَادُ وَمَا يُخْفُونَهُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ.
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى}[الأعلى: ٨] قال ابن جرير وَالْيُسْرَى: هُوَ الْفُعْلَى مِنَ الْيُسْرِ، وقيل أَيْ: نُسَهِّلُ عَلَيْكَ أَفْعَالَ الْخَيْرِ وَأَقْوَالَهُ، وَنُشَرِّعُ لَكَ شَرْعًا سَهْلًا سَمْحًا مُسْتَقِيمًا عَدْلًا لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ وَلَا حَرَجَ وَلَا عُسْرَ.
وَقَوْلُهُ: {فَذكر} أَيْ: بِالْقُرْآنِ {إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى}[الأعلى: ٩] أَيْ: إِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِالتَّذْكِرَةِ مَنْ يقبلها .
وَمِنْ هَاهُنَا يُؤْخَذُ الْأَدَبُ فِي نَشْرِ الْعِلْمِ، فَلَا يَضَعُهُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا أَنْتَ بمحدِّث قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً لِبَعْضِهِمْ، وَقَالَ: حَدِّثِ النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟!. (١)
وَقَوْلُهُ: {سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى} [الأعلى: ١٠]أَيْ: سَيَتَّعِظُ بِمَا تُبَلِّغُهُ-يَا مُحَمَّدُ-مَنْ قَلْبُهُ يَخْشَى اللَّهَ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ مُلَاقِيهِ وَقَوْلُهُ: {ويتجنبها} يتَجَنَّب التَّذْكِرَةَ {الأشقى}[الأعلى: ١١] بِمَعْنَى الشَّقِيّ أَيْ الْكَافِر{ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى } [الأعلى: ١٢]وَهِيَ نَارُ جَهَنَّمَ، {ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا}[الأعلى: ١٣] قال ابن جرير: ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِي النَّارِ الْكُبْرَى وَلَا يَحْيَا، وَذَلِكَ أَنَّ نَفَسَ أَحَدِهِمْ تَصِيرُ فِيهَا فِي حَلْقِهِ، فَلَا تَخْرُجُ فَتُفَارِقُهُ فَيَمُوتُ، وَلَا تَرْجِعُ إِلَى مَوْضِعِهَا مِنَ الْجِسْمِ فَيَحْيَا، وقال ابن كثير أَيْ: لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ وَلَا يَحْيَا حَيَاةً تَنْفَعُهُ، بَلْ هِيَ مُضِرَّةٌ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ بِسَبَبِهَا يَشْعُرُ مَا يُعَاقَبُ بِهِ مِنْ أَلِيمِ الْعَذَابِ وَأَنْوَاعِ النَّكَالِ. (٢)
أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١٢٧)، وصورته صورة المعلق، لكنه قد ساق عقبه إسناده إلى علي، قال: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ مَعْرُوفِ بْنِ خَرَّبُوذٍ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ عَلِيٍّ بِذَلِكَ.
(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٤/٣١٨)، تفسير مجاهد (ص: ٧٢٢)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٥/ ١٢٠)، تفسير ابن كثير (٨/٣٨٠).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا، أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، كَأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ .[1]

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ إِخْبَارًا عَنْ أَهْلِ النَّارِ: {وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ} [الزُّخْرُفِ:٧٧] وَقَالَ تَعَالَى: {لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا} [فَاطِرِ:٣٦] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ فِي هَذَا الْمَعْنَى.

وَقَوْلُهُ: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}[الأعلى: ١٤] قال ابن كثير أَيْ: طَهَّرَ نَفْسَهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَتَابَعَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} [الأعلى: ١٥] أَيْ: أَقَامَ الصَّلَاةَ فِي أَوْقَاتِهَا؛ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ وَطَاعَةً لِأَمْرِ اللَّهِ وَامْتِثَالًا لِشَرْعِ اللَّهِ، وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَوْلُهُ: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}[الأعلى: ١٦] أَيْ: تُقَدِّمُونَهَا عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَتُبْدُونَهَا عَلَى مَا فِيهِ نَفْعُهُمْ وَصَلَاحُهُمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، {وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}[الأعلى: ١٧] أَيْ: ثَوَابُ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَأَبْقَى، فَإِنَّ الدُّنْيَا دنيَّة فَانِيَةٌ، وَالْآخِرَةَ شَرِيفَةٌ بَاقِيَةٌ، فَكَيْفَ يُؤْثِرُ عَاقِلٌ مَا يَفْنَى عَلَى مَا يَبْقَى، وَيَهْتَمُّ بِمَا يَزُولُ عَنْهُ قَرِيبًا، وَيَتْرُكُ الِاهْتِمَامَ بِدَارِ الْبَقَاءِ وَالْخُلْدِ؟!.

وَقَوْلُهُ:{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى }[الأعلى: ١٨] أَيْ فِي الْكُتُبِ الْأُولَى الَّتِي أُنْزِلَتْ قَبْلَ الْقُرْآنِ، ذَكَرَ فِيهَا فَلَاحَ الْمُتَزَكِّي وَالْمُصَلِّي، وَإِيثَارَ الْخَلْقِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى؛ ثُمَّ بَيَّنَ الصُّحُفَ فَقَالَ: { صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى }[الأعلى: ١٩]أي: صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، وَصُحُفِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ كليم الرَّحْمَنِ .

قال ابن كثير: وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: {إِنَّ هَذَا} إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}** ثُمَّ قَالَ:

[1] أخرجه مسلم رقم (١٨٥) (ضبائر ضبائر) منصوب على الحال وهو جمع ضبارة بفتح الضاد وكسرها أشهرها الكسر ويقال فيها أيضا إضبارة قال أهل اللغة الضبائر جماعات في تفرقة (فبثوا) معناه فرقو].

{إِنَّ هَذَا} أَيْ: مَضْمُونُ هَذَا الْكَلَامِ {لَفِي الصُّحُفِ الأولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}[الأعلى: ١٩] وقال:وَهَذَا اخْتِيَارٌ حَسَنٌ قَوِيٌّ. (١)

انتهى ؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٢٥/٢٤)، تفسير البغوي (٨/ ٤٠٣)، تفسير ابن كثير (٣٨٣/٨) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥١٣)،تفسير العثيمين: جزء عم» (ص١٦١).

## ٨٨- سُورَةُ الْغَاشِيَةِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَعِشْرُونَ

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ، وَفِي الْجُمُعَةِ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ، قَالَ: وَإِذَا اجْتَمَعَ الْعِيدُ وَالْجُمُعَةُ، فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، يَقْرَأُ بِهِمَا أَيْضًا فِي الصَّلَاتَيْنِ. (١)

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ } [الغاشية: ١] قَوْلُهُ تَعَالَى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ } [الغاشية: ١]قال ابن كثير{الْغَاشِيَةُ}: مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ لِأَنَّهَا تَغْشَى النَّاسَ وتَعُمّهم{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ} [الغاشية: ٢]أَيْ: ذَلِيلَةٌ، قَالَهُ قَتَادَةُ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَخْشَعُ وَلَا يَنْفَعُهَا عَمَلُهَا، وَالْمُرَادُ بِالْوُجُوهِ هنا أصحابها {عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ} [الغاشية: ٣] قال ابن كثير أَيْ: قَدْ عَمِلَتْ عَمَلًا كَثِيرًا، وَنَصَبَتْ فِيهِ، وَصَلِيَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَارًا حامية،وقيل:{عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ} قَالَ عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَعْنِي الَّذِينَ عَمِلُوا وَنَصَبُوا فِي الدُّنْيَا عَلَى غَيْرِ دِينِ الْإِسْلَامِ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَكُفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابِ، مِثْلَ الرُّهْبَانِ وَغَيْرِهِمْ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُمُ اجْتِهَادًا فِي ضَلَالَةٍ، يَدْخُلُونَ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَمَعْنَى النَّصَبِ: الدَّأْبُ فِي الْعَمَلِ بِالتَّعَبِ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:{عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ} النَّصَارَى(٢) .

وَعَنْ عِكْرِمَةَ، وَالسُّدِّيِّ: {عَامِلَةٌ} فِي الدُّنْيَا بِالْمَعَاصِي {نَّاصِبَةٌ} فِي النَّارِ بِالْعَذَابِ وَالْأَغْلَالِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ: {تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً} [الغاشية: ٤] أَيْ: حَارَةٌ شَدِيدَةُ الْحَرِّ {تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ} [الغاشية: ٥] أَيْ: قَدِ انْتَهَى حرّها وَغَلَيَانُهَا، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَالسُّدِّيُّ.

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ قَالَ مُجَاهِدٌ: {عَيْنٍ آنِيَةٍ}بَلَغَ إِنَاهَا، وَحَانَ شُرْبُهَا.(٣)

وَقَوْلُهُ: {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ} [الغاشية: ٦] قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٨٧٨).

(٢) ذكره البخاري تعليقا (٦/ ١٦٨) (النصارى) أي:فسر أصحاب الوجوه الخاشعة الذليلة يوم القيامة بالنصارى الذين أتعبوا أنفسهم في الدنيا في أعمال عملوها بغير علم ولا هدي ولا صراط مستقيم ظنوها تنفعهم، وإذا بها سبب عنائهم وتعبهم الدائم في نار جهنم يوم القيامة.

(٣) ذكره البخاري تعليقا (١٦٨/٦).

عَبَّاسٍ: شَجَرٌ مِنْ نَارٍ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُوَ الزَّقُّومُ، وَعَنْهُ: أَنَّهَا الْحِجَارَةُ، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ مُجَاهِدٌ: ال{ضريعُ} نبتٌ يُقَالُ لَهُ الشِّبرِقُ[1]، يُسَمِّيهِ أَهْلُ الْحِجَازِ الضريعَ إِذَا يَبِسَ، وَهُوَ سُمٌّ. (٢).

قَالَ سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ: {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ} مِنْ شَرِّ الطَّعَامِ وَأَبْشَعِهِ وَأَخْبَثِهِ.

وقَوْلُهُ:{لَا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ}[الغاشية: ٧] يَعْنِي: لَا يَحْصُلُ بِهِ مَقْصُودٌ، وَلَا يَنْدَفِعُ بِهِ مَحْذُورٌ.

قَوْلُهُ: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ} أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ {نَاعِمَةٌ} [الغاشية: ٨]أَيْ: يُعْرَفُ النَّعِيمُ فِيهَا، وَإِنَّمَا حَصَلَ لَهَا ذَلِكَ بِسَعْيِهَا،وَقَالَ سُفْيَانُ: {لِسَعْيِهَا }فِي الدُّنْيَا {رَاضِيَةٌ} [الغاشية: ٩]فِي الْآخِرَةِ حِينَ أُعْطِيَتِ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهَا {فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ} [الغاشية: ١٠] أَيْ: رَفِيعَةٌ بَهِيَّةٌ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ{لَا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً}[الغاشية: ١١] أَيْ: لَا يُسْمَعُ فِي الْجَنَّةِ كَلِمَةَ لَغْوٍ، قال البخاري:{لَا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً}» شَتْمًا.(٣)

قَوْلُهُ: {فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ}[الغاشية: ١٢] أَيْ: سَارِحَةٌ، وَهَذِهِ نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ الْإِثْبَاتِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهَا عَيْنًا وَاحِدَةً، وَإِنَّمَا هَذَا جِنْسٌ، يَعْنِي: فِيهَا عُيُونٌ جَارِيَاتٌ.

وقَوْلُهُ:{فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ}[الغاشية: ١٣] أَيْ: عَالِيَةٌ نَاعِمَةٌ كَثِيرَةُ الْفَرْشِ، مُرْتَفِعَةُ السَّمْك، عَلَيْهَا الْحُورُ الْعِينُ، قَالُوا: فَإِذَا أَرَادَ وَلِيُّ اللَّهِ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى تِلْكَ السُّرُرِ الْعَالِيَةِ تَوَاضَعَتْ لَهُ.

قَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَلْوَاحُهَا مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةٌ بِالزَّبَرْجَدِ وَالدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ، مُرْتَفِعَةٌ مَا لَمْ يَجِيءْ أَهْلُهَا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَجْلِسَ عَلَيْهَا تَوَاضَعَتْ لَهُ حَتَّى يَجْلِسَ عَلَيْهَا، ثُمَّ تَرْتَفِعُ إِلَى مَوَاضِعِهَا.

قَوْلُهُ: {وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ}[الغاشية: ١٤] يَعْنِي: أَوَانِي الشُّرْبِ مُعَدَّةٌ مرصدة لِمَنْ أَرَادَهَا مِنْ أَرْبَابِهَا.

قَوْلُهُ: {وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ} [الغاشية: ١٥]قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: النَّمَارِقُ: الْوَسَائِدُ، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ، وَالثَّوْرِيُّ، وَغَيْرُهُمْ،{مَصْفُوفَةٌ} مصفوفة: الواحدة

---

[1] وَالشِّبْرِقُ بِكَسْرِ الْمُعْجَمَةِ بَعْدَهَا مُوَحَّدَةٌ قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ هُوَ نَبْتٌ أَخْضَرُ مُنْتِنُ الرِّيحِ يَرْمِي بِهِ الْبَحْرُ. انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧٠١).

(٢) ذكره البخاري تعليقا (١٦٨/٦).

(٣) ذكره البخاري تعليقا (١٦٨/٦).

إلى جنب الأخرى للاستناد إليها.
قال ابن جرير وَقَوْلُهُ: {وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ}[الغاشية: ١٦] وَفِيهَا طَنَافِسُ وَبُسُطٌ كَثِيرَةٌ مَبْثُوثَةٌ مَفْرُوشَةٌ، وَالْوَاحِدَةُ: زِرْبِيَّةٌ، وَهِيَ الطِّنْفِسَةُ الَّتِي لَهَا خَمْلٌ رَقِيقٌ.
قَوْلُهُ: {وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ}[الغاشية: ١٦] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الزَّرَابِيُّ: الْبُسُطُ، وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَمَعْنَى {مَبْثُوثَةٌ}أَيْ: هَاهُنَا وَهَاهُنَا لِمَنْ أَرَادَ الْجُلُوسَ عَلَيْهَا، وقيل: { مَبْثُوثَةٌ } أي: أَنَّهَا مَنْسُوجَةٌ بِالدُّرِّ والياقوت. (١)
قال البغوي قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: لَمَّا نَعَتَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ مَا فِي الْجَنَّةِ عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ أَهْلُ الْكُفْرِ وَكَذَّبُوهُ، فَذَكَّرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى صُنْعَهُ فَقَالَ: {أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} [الغاشية: ١٧]وقال ابن عثيمين: وهذا الاستفهام للتوبيخ؛ أي إنَّ الله يوبِّخ هؤلاء الذين أنكروا ما أخبر الله به عن يوم القيامة وعن الثواب والعقاب، أنكر عليهم إعراضَهم عن النظر في آيات الله تعالى التي بين أيديهم، وبدأ بالإبل؛ لأنَّ أكثر ما يُلابس الناس في ذلك الوقت الإبل، فهُم يركبونها، ويحلبونها، ويأكلون لحمها، وينتفعون من أوبارها، إلى غير ذلك من المنافع.
وَقَالَ قَتَادَةُ: ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى ارْتِفَاعَ سُرُرِ الْجَنَّةِ وَفُرُشِهَا، فَقَالُوا: كَيْفَ نَصْعَدُهَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ{أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} [الغاشية: ١٧]وَسُئِلَ الْحَسَنُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، وَقِيلَ لَهُ: الْفِيلُ أَعْظَمُ فِي الْأُعْجُوبَةِ؟ فَقَالَ: أَمَّا الْفِيلُ فَالْعَرَبُ بَعِيدَةُ الْعَهْدِ بِهَا، ثُمَّ هُوَ لَا خَيْرَ فِيهِ لَا يُرْكَبُ ظَهْرُهَا وَلَا يُؤْكَلُ لَحْمُهَا وَلَا يُحْلَبُ دَرُّهَا، وَالْإِبِلُ أَعَزُّ مَالٍ لِلْعَرَبِ وَأَنْفَسُهَا تَأْكُلُ النَّوَى وَالْقَتَّ وَتُخْرِجُ اللَّبَنَ.
وَقِيلَ: إِنَّهَا مَعَ عِظَمِهَا تَلِينُ لِلْحِمْلِ الثَّقِيلِ وَتَنْقَادُ لِلْقَائِدِ الضَّعِيفِ، حَتَّى إِنَّ الصَّبِيَّ الصَّغِيرَ يَأْخُذُ بِزِمَامِهَا فَيَذْهَبُ بِهَا حَيْثُ شَاءَ، وَكَانَ شُرَيْحٌ الْقَاضِي يَقُولُ: اخْرُجُوا بِنَا إِلَى كناسة اسطبل حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ .
قَوْلُهُ: {وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ}[الغاشية: ١٨] أَيْ: كَيْفَ رَفَعَهَا اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، عَنِ الْأَرْضِ هَذَا الرَّفْعَ الْعَظِيمَ، قال ابن جرير: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رَفَعَهَا الَّذِي أَخْبَرَكُمْ أَنَّهُ مُعِدٌّ لِأَوْلِيَائِهِ مَا وَصَفَ، وَلِأَعْدَائِهِ مَا ذَكَرَ، فَيَعْلَمُوا أَنَّ قُدْرَتَهُ الْقُدْرَةُ الَّتِي لَا

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٣٧/٢٤)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١٢٤/٥)، تفسير البغوي (٨/ ٤٠٩)، تفسير ابن كثير (٣٨٤/٨)،أيسر التفاسير للجزائري (٥٦٠/٥).

يُعْجِزُهُ فِعْلُ شَيْءٍ أَرَادَ فِعْلَهُ.

قَوْلُهُ: {وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ}[الغاشية: ١٩] يَقُولُ: وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ أُقِيمَتْ مُنْتَصِبَةً لَا تَسْقُطُ، فَتَنْبَسِطُ فِي الْأَرْضِ، وَلَكِنَّ جَعَلَهَا بِقُدْرَتِهِ مُنْتَصِبَةً جَامِدَةً، لَا تَبْرَحُ مَكَانَهَا وَلَا تَزُولُ عَنْ مَوْضِعِهَا.

وَقَوْلُهُ: {وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ}[الغاشية: ٢٠] وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ بُسِطَتْ، يُقَالَ: جَبَلٌ مُسَطَّحٌ: إِذَا كَانَ فِي أَعْلَاهُ اسْتِوَاءٌ.

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ، فَيَسْأَلَهُ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لَنَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: «اللهُ»، قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ قَالَ: «اللهُ»، قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ؟ قَالَ: «اللهُ»، قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ، وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ، آللَّهُ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِنَا، وَلَيْلَتِنَا، قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً فِي أَمْوَالِنَا، قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي سَنَتِنَا، قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ، آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: «صَدَقَ»، قَالَ: ثُمَّ وَلَّى، قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ، وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ».[1]

وَقَوْلُهُ: {فَذَكِّرْ}يَا مُحَمَّدُ عِبَادِي بِآيَاتِي، وَعِظْهُمْ بِحُجَجِي، وَبَلِّغْهُمْ رِسَالَتِي،{إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ}[الغاشية: ٢١] يَقُولُ: إِنَّمَا أَرْسَلْتُكَ إِلَيْهِمْ مُذَكِّرًا، لِتُذَكِّرَهُمْ نِعْمَتِي عِنْدَهُمْ، وَتُعَرِّفَهُمُ اللَّازِمَ لَهُمْ، وَتَعِظَهُمْ{لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ}[الغاشية: ٢٢]قال ابن جرير يَقُولُ: لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَلَّطٍ، وَلَا أَنْتَ بِجَبَّارٍ، تَحْمِلُهُمْ عَلَى مَا تُرِيدُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَغَيْرُهُمَا: لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: لَسْتَ بِالَّذِي تُكْرِهُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، {بِمُسَيْطِرٍ} قال البخاري:

---

[1] أخرجه مسلم رقم(١٢).

بِمُسَلَّطٍ، وَيُقْرَأُ بِالصَّادِ وَالسِّينِ» (١).

قَوْلُهُ: {إِلا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ}[الغاشية: ٢٣] أَيْ: تَوَلَّى عَنِ الْعَمَلِ بِأَرْكَانِهِ، وَكَفَرَ بِالْحَقِّ بِجِنَانِهِ وَلِسَانِهِ، وَهَذِهِ كَقَوْلِهِ: **{فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى} [الْقِيَامَةِ: ٣١، ٣٢]** وَلِهَذَا قَالَ: {فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ}[الغاشية: ٢٤] هُوَ عَذَابُ جَهَنَّمَ يَقُولُ: فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ عَلَى كُفْرِهِ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابَ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ{إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ}[الغاشية: ٢٥] أَيْ: مَرْجِعَهُمْ وَمُنْقَلَبَهُم،قال البخاري قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {إِيَابَهُمْ} أي: «مَرْجِعَهُمْ». (٢)

وقَوْلُهُ: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} أَيْ: نَحْنُ نُحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَنُجَازِيهِمْ بِهَا، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ، عَنْ قَتَادَةَ، «{إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} [الغاشية: ٢٦] يَقُولُ: إِنَّ إِلَى اللَّهِ الْإِيَابَ، وَعَلَيْهِ الْحِسَابُ»(٣).

انتهى، والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

---

(١) ذكره البخاري تعليقا (٦/١٦٨).
(٢) ذكره البخاري تعليقا (٦/١٦٨).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٤/٣٤٣)، تفسير ابن كثير (٨/٣٨٨).

## ٨٩- سُورَةُ الْفَجْرِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلَاثُونَ

أخرج النسائي في سننه بسنده عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: صَلَّى مُعَاذٌ صَلَاةً، فَجَاءَ رَجُلٌ فَصَلَّى مَعَهُ فَطَوَّلَ، فَصَلَّى فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا، فَقَالَ: مُنَافِقٌ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَ الْفَتَى، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، جِئْتُ أُصَلِّي مَعَهُ فَطَوَّلَ عَلَيَّ، فَانْصَرَفْتُ وَصَلَّيْتُ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَعَلَفْتُ نَاضِحِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذٍ: " أَفَتَّانًا يَا مُعَاذُ، فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} ، {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}، **{وَالْفَجْرِ}** ، {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}.[1]

**{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}**

{وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ }

قَوْلُهُ: {وَالْفَجْرِ}[الفجر: ١] قال ابن كثير: أَمَّا {الْفَجْرُ} فَمَعْرُوفٌ وَهُوَ: الصُّبْحُ قَالَهُ عَلِيٌّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَعَنْ مَسْرُوقٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ: الْمُرَادُ بِهِ فَجْرُ يَوْمِ النَّحْرِ خَاصَّةً، وَهُوَ خَاتِمَةُ اللَّيَالِي الْعَشْرِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ الصَّلَاةُ الَّتِي تُفْعَلُ عِنْدَهُ، كَمَا قَالَهُ عِكْرِمَةُ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ جَمِيعُ النَّهَارِ وَهُوَ رِوَايَةٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ قَالَ: {وَالْفَجْرِ}قَسَمٌ أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ.

وَقَوْلُهُ: {وَلَيَالٍ عَشْرٍ} [الفجر: ٢]وَاللَّيَالِي الْعَشْرُ: الْمُرَادُ بِهَا عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ، كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ، وَمُجَاهِدٌ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: لَيَالِي الْعَشْرِ، قَالَ: هِيَ أَفْضَلُ أَيَّامِ السَّنَةِ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا: «مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ»- يَعْنِي عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ- قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلًا خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ». (٢)

قَوْلُهُ: {وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ} [الفجر: ٣] قال البغوي :وَاخْتَلَفُوا فِي الشَّفْعِ وَالْوَتْرِ، قِيلَ: "الشَّفْعُ: الْخَلْقُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا} وَ"الْوَتْرُ" هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، رُوِيَ ذَلِكَ

[1] أخرجه النسائي رقم(١١٦٠٩).
(٢) أخرجه البخاري رقم (٩٦٩).

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَهُوَ قَوْلُ عَطِيَّةَ الْعَوْفِيِّ.
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: اللَّهُ وَتْرٌ وَأَنْتُمْ شَفْعٌ، وَيُقَالُ الشَّفْعُ صَلَاةُ الْغَدَاةِ، وَالْوَتْرُ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ، وقال البخاري قَالَ مُجَاهِدٌ: وَ"الْوَتْرُ" :«اللَّهُ»(١)، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ {وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ} قَالَ: الْوَتْرُ: اللَّهُ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ شَفْعٌ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ مُجَاهِدٌ: كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ فَهُوَ شَفْعٌ، السَّمَاءُ شَفْعٌ، وَالوَتْرُ اللهُ- عز وجل (٢)
وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رِوَايَةً، قَالَ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لاَ يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ، **وَهُوَ وَتْرٌ يُحِبُّ الوَتْرَ**».[3]
وفي الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ**، فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ القُرْآنِ».[4]
وَفِي البَابِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ: «حَدِيثُ عَلِيٍّ حَدِيثٌ حَسَنٌ».
وقَوْلُهُ: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ} [الفجر: ٤] قال ابن جرير: وَاللَّيْلِ إِذَا سَارَ فَذَهَبَ، يُقَالُ مِنْهُ: سَرَى فُلَانٌ لَيْلًا يَسْرِي: إِذَا سَارَ،وقال ابن كثير: ويحتمل أن يكون المراد إذا سار، أَيْ: أَقْبَلَ. وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ هَذَا أَنْسَبُ؛ لِأَنَّهُ فِي مُقَابَلَةِ قَوْلِهِ: {وَالْفَجْرِ} فَإِنَّ الْفَجْرَ هُوَ إِقْبَالُ النَّهَارِ وَإِدْبَارُ اللَّيْلِ، فَإِذَا حُمِلَ قَوْلُهُ: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ}[الفجر: ٤] عَلَى إِقْبَالِهِ كَانَ قَسَمًا بِإِقْبَالِ اللَّيْلِ وَإِدْبَارِ النَّهَارِ، وَبِالْعَكْسِ، كَقَوْلِهِ: {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ}[التَّكْوِيرِ:١٧، ١٨] . وَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ: { وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ }[الفجر: ٤] أَيْ: يَجْرِي.
وقَوْلُهُ:{هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ} [الفجر: ٥]قال أبو جعفر: هَلْ فِيمَا أَقْسَمْتُ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ مَقْنَعٌ لِذِي عَقْلٍ، وَإِنَّمَا عُنِيَ بِذَلِكَ: إِنَّ فِي هَذَا الْقَسَمِ مُكْتَفًى لِمَنْ عَقَلَ عَنْ رَبِّهِ، مِمَّا هُوَ أَغْلَظُ مِنْهُ فِي الْأَقْسَامِ، وَجَوَاب الْقَسَم مَحْذُوف أَيْ: لَتُعَذَّبُنَّ يَا كفار مكة. (٥)
وقَوْلُهُ: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ}[الفجر: ٦] وَالْمُرَادُ بِعَادٍ اسْمُ أَبِيهِمْ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِعَادٍ أَوْلَادُ عَادٍ، وَهُمْ عَادٌ الْأُولَى، وَيُقَالُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ عَادٌ الْأُخْرَى،قال ابن كثير: وَهَؤُلَاءِ كَانُوا مُتَمَرِّدِينَ عُتَاةً جَبَّارِينَ، خَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ مُكَذِّبِينَ لِرُسُلِهِ، جَاحِدِينَ لِكُتُبِهِ، فَذَكَرَ

---

(١) ذكره البخاري تعليقا (١٦٩/٦).
(٢) ذكره البخاري تعليقا ج٤ص١٣١.
[3] أخرجه البخاري رقم(٦٤١٠)واللفظ له ،ومسلم رقم(٢٦٧٧).
[4] أخرجه الترمذي رقم(٤٥٣). وصححه الألباني.
(٥) انظر: تفسير الطبري (٣٥٢/٢٤).

تَعَالَى كَيْفَ أَهْلَكَهُمْ وَدَمَّرَهُمْ، وَجَعَلَهُمْ أَحَادِيثَ وعبَرا، فَقَالَ: { إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ}[الفجر: ٧] قال ابن جرير: {إِرَمَ} أَنَّهَا اسْمُ قَبِيلَةٍ مِنْ عَادٍ، وَلِذَلِكَ جَاءَتِ الْقِرَاءَةُ بِتَرْكِ إِضَافَةِ عَادٍ إِلَيْهَا، وَتَرْكُ إِجْرَائِهَا، وَقِيلَ: فَإِنَّ إِرَمَ هُوَ جَدُّ عَادٍ، لِأَنَّهُ عاد بن إرم بن عوص بن سام ابن نُوحٍ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ مُجَاهِدٌ: {إِرَمَ}: يَعْنِي القَدِيمَةَ، يَعْنِي: عَادًا الْأُولَى،وَ{العِمَادُ}: أَهْلُ عَمُودٍ لاَ يُقِيمُونَ»(١).

وَقَوْلُهُ: {ذَاتِ الْعِمَادِ} كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ فِي زَمَانِهِمْ خِلْقَةً وَأَقْوَاهُمْ بَطْشًا، وَهَؤُلَاءِ عَادٌ الْأَوْلَى، وَهُمْ أَوْلَادُ عَادِ بْنِ إِرَمَ بْنِ عَوص بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ، قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ، وَهُمُ الَّذِينَ بَعَثَ اللَّهُ فِيهِمْ رَسُولَهُ هُودًا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَذَّبُوهُ وَخَالَفُوهُ، فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ وَمَنْ آمَنُ مَعَهُ مِنْهُمْ، وَأَهْلَكَهُمْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ، **{سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ}** [الْحَاقَّةِ: ٧، ٨] وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ قِصَّتَهُمْ فِي الْقُرْآنِ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ، لِيَعْتَبِرَ بِمَصْرَعِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ.

وقال ابن كثير وَقَوْلُهُ: {ذَاتِ الْعِمَادِ}[الفجر: ٧] لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْكُنُونَ بُيُوتَ الشِّعرِ الَّتِي تُرْفَعُ بِالْأَعْمِدَةِ الشِّدَادِ، وَقَدْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ فِي زَمَانِهِمْ خِلْقَةً وَأَقْوَاهُمْ بَطْشًا، وَلِهَذَا ذكَّرهم هُودٌ بِتِلْكَ النِّعْمَةِ وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى أَنْ يَسْتَعْمِلُوهَا فِي طَاعَةِ رَبِّهِمُ الَّذِي خَلَقَهُمْ، فَقَالَ: {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] } [الأعراف:٦٩] وَقَوْلُهُ: {فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً} [فُصِّلَتْ:١٥] ، وَقَالَ هَاهُنَا: {الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ}[الفجر: ٨] أَيِ: الْقَبِيلَةُ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي بِلَادِهِمْ، لِقُوَّتِهِمْ وَشِدَّتِهِمْ وَعِظَمِ تَرْكِيبِهِمْ. (٢)

وَقَوْلُهُ: {الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ}[الفجر: ٨]قال ابن كثير: أَعَادَ ابْنُ زَيْدٍ الضميرَ عَلَى الْعِمَادِ؛ لِارْتِفَاعِهَا، وَقَالَ: بَنَوْا عُمُدا بِالْأَحْقَافِ لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ.

وَأَمَّا قَتَادَةُ وَابْنُ جَرِيرٍ فَأَعَادَ الضَّمِيرَ عَلَى الْقَبِيلَةِ، أَيْ: لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَ تِلْكَ الْقَبِيلَةِ فِي

(١) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٦٩.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣٩٤/٨).

الْبِلَادِ، يَعْنِي فِي زَمَانِهِمْ، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ الصَّوَابُ، وَقَوْلُ ابْنِ زَيْدٍ وَمَنْ ذَهَبَ مَذْهَبَهُ ضَعِيفٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ أَرَادَ ذَلِكَ لَقَالَ: الَّتِي لَمْ يُعْمَلْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ، وَإِنَّمَا قَالَ: {لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ}[الفجر: ٨].

وقَوْلُهُ:{وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ}[الفجر: ٩] وَهُمْ قَوْمُ صَالِحٍ سُمُّوا بِاسْمِ جَدِّهِمْ ثَمُودَ بْنِ عَابِرِ بْنِ إِرَمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ، يَقُولُ: وَبِثَمُودَ الَّذِي خَرَقُوا الصَّخْرَ وَدَخَلُوهُ، فَاتَّخَذُوهُ بُيُوتًا،وَالْعَرَبُ تَقُولُ: جَابَ فُلَانٌ الْفَلَاةَ يَجُوبُهَا جَوْبًا: إِذَا دَخَلَهَا وقَطَعَهَا، قَالَ الْبُخَارِيُّ: {جَابُوا} نَقَبُوا، مِنْ جِيبَ القَمِيصُ: قُطِعَ لَهُ جَيْبٌ، يَجُوبُ الفَلاَةَ: يَقْطَعُهَا.(١)

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: أَوَّلُ مَنْ نَحَتَ الْجِبَالَ وَالصُّخُورَ ثَمُودُ، فَبَنَوْا مِنَ الْمَدَائِنِ أَلْفًا وَسَبْعَمِائَةِ مَدِينَةٍ كُلُّهَا من الحجارة، ومنه قوله سبحانه: **{وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِيْنَ} [الحجر: ٨٢]**وَكَانُوا يَنْحِتُونَ الْجِبَالَ وَيَنْقُبُونَهَا وَيَجْعَلُونَ تِلْكَ الْأَنْقَابَ بُيُوتًا يَسْكُنُونَ فِيهَا.

وقيل: {بِالْوَادِ} وَادِي الْقُرَى، قَالَ مُحَمَّدٌ: قِرَاءَةُ نَافِعٍ فِي رِوَايَةِ وَرْشٍ {بِالْوَادِي} بِيَاءٍ، وَأخرج عَنْهُ غيره {بِالْوَادِ} بِغَيْرِ يَاءٍ ذَكَرَهُ ابْنُ مُجَاهِدٍ ، وَهُوَ وَادِي الْقُرَى.

وقَوْلُهُ:{وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ}[الفجر:١٠] قَالَ: الْأَوْتَادُ: الْجُنُودُ الَّذِينَ يَشُدُّونَ لَهُ أَمْرَهُ، وَيُقَالُ: كَانَ فِرْعَوْنُ يُوتِدُ فِي أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ أَوْتَادًا مِنْ حَدِيدٍ، يُعَلِّقُهُمْ بِهَا، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ قِيلَ لَهُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُوتِدُ النَّاسَ بِالْأَوْتَادِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ} [الفجر:١٠] قَالَ: كَانَ لَهُ مَنَارَاتٌ يُعَذِّبُهُمْ عَلَيْهَا، وَكَانَ إِذَا غضبَ عَلَى أحدٍ أوتد لَهُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ عَلَى يَدَيْهِ وَرجلَيْهِ.

وَقَالَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ: قِيلَ لِفِرْعَوْنَ {ذِي الأَوْتَادِ} ؛ لِأَنَّهُ ضَرَبَ لِامْرَأَتِهِ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ، ثُمَّ جَعَلَ عَلَى ظَهْرِهَا رَحًى عَظِيمَةً حَتَّى مَاتَتْ.

وقال ابن جرير: وَأَوْلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ عِنْدِي بِالصَّوَابِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: الْأَوْتَادُ الَّتِي تُوتَدُ، مِنْ خَشَبٍ كَانَتْ أَوْ حَدِيدٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمَعْرُوفُ مِنْ مَعَانِي الْأَوْتَادِ، وَوُصِفَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ كَانَ يُعَذِّبُ النَّاسَ بِهَا، كَمَا قَالَ أَبُو رَافِعٍ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ كَانَ يُلْعَبُ لَهُ بِهَا.

وقَوْلُهُ: {الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ}[الفجر:١١] {الَّذِينَ} أي: عَادًا ،وَثَمُودَ ،وَفِرْعَوْنَ ،وَجُنْدَهُ، وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: {طَغَوْا} تَجَاوَزُوا مَا أَبَاحَهُ لَهُمْ رَبُّهُمْ، وَعَتَوْا عَلَى رَبِّهِمْ إِلَى مَا حَظَرَهُ عَلَيْهِمْ

(١) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٦٩.

مِنَ الْكُفْرِ بِهِ، وَقَوْلِهِ {فِي الْبِلَادِ} الَّتِي كَانُوا فِيهَا {فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ} [الفجر:١٢]قال ابن كثير: أَيْ تَمَرَّدُوا وَعَتَوْا وَعَاثُوا فِي الْأَرْضِ بِالْإِفْسَادِ وَالْأَذِيَّةِ لِلنَّاسِ، {فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ}[الفجر:١٣] أَيْ: أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ، وَأَحَلَّ بِهِمْ عُقُوبَةً لَا يَرُدُّهَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.

وقَوْلُهُ:{إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ}[الفجر:١٤] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَعْنِي: يَرْصُدُ خَلْقَهُ فِيمَا يَعْمَلُونَ، وَيُجَازِي كُلًّا بِسَعْيِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْأُخْرَى، وَسَيُعْرَضُ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ عَلَيْهِ فَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِعَدْلِهِ وَيُقَابِلُ كُلًّا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ،وَهُوَ الْمُنَزَّهُ عَنِ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ، وَقَالَ آخَرُونَ: يَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ بِمَرْصَدٍ لِأَهْلِ الظُّلْمِ. (١)

قَوْلُهُ: {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ}[الفجر:١٥] فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا امْتَحَنَهُ رَبُّهُ بِالنِّعَمِ وَالْغِنَى {فَأَكْرَمَهُ} بِالْمَالِ وَأَفْضَلَ عَلَيْهِ {وَنَعَّمَهُ} بِمَا أَوْسَعَ عَلَيْهِ مِنْ فَضْلِهِ {فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ}[الفجر:١٥] فَيَفْرَحُ بِذَلِكَ، وَيُسَرُّ بِهِ وَيَقُولُ: رَبِّي أَكْرَمَنِي بِهَذِهِ الْكَرَامَةِ{وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ}[الفجر:١٦] يَقُولُ: وَأَمَّا إِذَا مَا امْتَحَنَهُ رَبُّهُ بِالْفَقْرِ {فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ} يَقُولُ: فَضَيَّقَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ وَقَتَّرَهُ، فَلَمْ يُكْثِرْ مَالَهُ، وَلَمْ يُوَسِّعْ عَلَيْهِ {فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ}[الفجر:١٦] فَيَقُولُ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ: رَبِّي أَهَانَنِي، يَقُولُ: أَذَلَّنِي بِالْفَقْرِ، وَلَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَلَى مَا وَهَبَ لَهُ مِنْ سَلَامَةِ جَوَارِحِهِ، وَرِزْقِهِ مِنَ الْعَافِيَةِ فِي جِسْمِهِ ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: {وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ} [الفجر: ١٦] مَا أَسْرَعَ مَا كَفَرَ ابْنُ آدَمَ، يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: كَلَّا إِنِّي لَا أُكْرِمُ مَنْ أَكْرَمْتُ بِكَثْرَةِ الدُّنْيَا، وَلَا أُهِينُ مَنْ أَهَنْتُ بِقِلَّتِهَا، وَلَكِنْ إِنَّمَا أُكْرِمُ مَنْ أَكْرَمْتُ بِطَاعَتِي، وَأُهِينُ مَنْ أَهَنْتُ بِمَعْصِيَتِي.

قال ابن كثير قَوْلُهُ: {وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ}[الفجر:١٦] يَقُولُ تَعَالَى مُنْكِرًا عَلَى الْإِنْسَانِ فِي اعْتِقَادِهِ إِذَا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ لِيَخْتَبِرَهُ فِي ذَلِكَ، فَيَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ إِكْرَامٌ لَهُ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ هُوَ ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ} [الْمُؤْمِنُونَ:٥٥، ٥٦] .

وَكَذَلِكَ فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ إِذَا ابْتَلَاهُ وَامْتَحَنَهُ وضَيَّق عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ، يَعْتَقِدُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٧١/٢٤)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١٢٧/٥) مختصر تفسير ابن كثير (٦٣٧/٢)، تفسير الجلالين (ص: ٨٠٦).

اللَّهِ إِهَانَةٌ لَهُ.
قَالَ اللَّهُ: {كَلَّا}[الفجر:١٧] أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ، لَا فِي هَذَا وَلَا فِي هَذَا، أي:لَمْ أَبْتَلِهِ بِالْغِنَى لِكَرَامَتِهِ، وَلَمْ أَبْتَلِهِ بِالْفَقْرِ لِهَوَانِهِ، فَأَخْبَرَ أَنَّ الْإِكْرَامَ وَالْإِهَانَةَ لَا تَدُورُ عَلَى الْمَالِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ، وَلَكِنَّ الْفَقْرَ وَالْغِنَى بِتَقْدِيرِهِ، فَيُوَسِّعُ عَلَى الْكَافِرِ لَا لِكَرَامَتِهِ، وَيُقَدِّرُ عَلَى الْمُؤْمِنِ لَا لِهَوَانِهِ، إِنَّمَا يُكْرِمُ الْمَرْءَ بِطَاعَتِهِ وَيُهِينُهُ بِمَعْصِيَتِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الْمَالَ مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَيُضَيِّقُ عَلَى مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَإِنَّمَا الْمَدَارُ فِي ذَلِكَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ فِي كُلٍّ مِنَ الْحَالَيْنِ، إِذَا كَانَ غَنِيًّا بِأَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِذَا كَانَ فَقِيرًا بِأَنْ يَصْبِرَ.
وَقَوْلُهُ: {كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ}[الفجر:١٧] وفِيهِ أَمْرٌ بِالْإِكْرَامِ لَهُ يَعْنِي: بَلْ لَسْتُمْ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ، فَلِذَلِكَ أَهَنْتُكُمْ ، ،إِنَّمَا أَهَانَ مَنْ أَهَانَ بِأَنَّهُ لَا يُكْرِمُ الْيَتِيمَ، وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ، وَسَائِرُ الْمَعَانِي الَّتِي عَدَّدَ، وَفِي إِبَانَتِهِ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَهَانَ مَنْ أَهَانَ ، وفي الصحيح عن سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا» وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى.[1]
وقَوْلُهُ: {وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ}[الفجر: ١٨] يَعْنِي: لَا يَأْمُرُونَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَيُحِثُّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي ذَلِكَ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: {تَحَاضُّونَ}: تُحَافِظُونَ (٢) ، وقيل: أَيْ لَا تَأْمُرُونَ بِإِطْعَامِهِ،{وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ} أَيِ: الْمِيرَاثَ {أَكْلًا لَمًّا}[الفجر: ١٩] شَدِيدًا وَهُوَ أَنْ يَأْكُلَ نَصِيبَهُ وَنَصِيبَ غَيْرِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُوَرِّثُونَ النِّسَاءَ وَلَا الصِّبْيَانَ، وَيَأْكُلُونَ نَصِيبَهُمْ.
قَوْلُهُ: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}[الفجر: ٢٠] أَيْ: وَتُحِبُّونَ جَمْعَ الْمَالِ أَيُّهَا النَّاسُ وَاقْتِنَاءَهُ حُبًّا كَثِيرًا شَدِيدًا(٣).

{كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا }

قَوْلُهُ: {كَلَّا} مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ ثُمَّ أَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْ نَدَمِهِمْ عَلَى أَفْعَالِهِمُ السَّيِّئَةِ فِي الدُّنْيَا، وَتَلَهُّفِهِمْ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُمْ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ النَّدَمُ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: {إِذَا

[1] أخرجه البخاري رقم (٦٠٠٥).
(٢) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٦٩.
(٣) انظر:تفسير الطبري (٣٨٢/٢٤) ،تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٨) ، تفسير البغوي (٨/ ٤٢٢)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٩٩).

دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا}[الفجر: ٢١] يَعْنِي: إِذَا رُجَّتْ وَزُلْزِلَتْ زَلْزَلَةً، وَحُرِّكَتْ تَحْرِيكًا بَعْدَ تَحْرِيكٍ {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}[الفجر: ٢٢] قال ابن جرير: وَإِذَا جَاءَ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ وَأَمْلَاكُهُ صُفُوفًا صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ، {وَجَاءَ رَبُّكَ} قال ابن كثير يَعْنِي: لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ، **وَذَلِكَ بَعْدَ مَا يَسْتَشْفِعُونَ إِلَيْهِ بِسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ مُحَمَّدٌ** ﷺ، بَعْدَمَا يَسْأَلُونَ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، فَكُلُّهُمْ يَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَاكُمْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ النَّوْبَةُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ **فَيَقُولُ: «أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا»** فَيَذْهَبُ فَيَشْفَعُ عِنْدَ اللهِ فِي أَنْ يَأْتِيَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ فَيُشَفِّعُهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ، وَهِيَ أَوَّلُ الشَّفَاعَاتِ، وَهِيَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: { وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}[الفجر: ٢٢] صُفُوفُ الْمَلَائِكَةِ، وقال السُّدِّيِّ: يَعْنِي: صُفُوفَ الْمَلَائِكَةِ كُلَّ أَهْلِ سَمَاءٍ عَلَى حِدَةٍ.

وقَوْلُهُ: {وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ}[الفجر: ٢٣] قَالَ: جِيءَ بِهَا تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَقُودُونَهَا، لهَا تَغَيُّظٌ وَزَفِيرٌ حَتَّى تُنْصَبَ عَلَى يَسَارِ الْعَرْشِ. (١)

وأخرج الْإِمَامُ مُسْلِمُ فِي صَحِيحِهِ بسنده، عَنْ عَبْدِ اللهِ-هُوَ ابْنُ مَسْعُودٍ-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا». (٢)

قَوْلُهُ: {يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ} [الفجر: ٢٣] تَفْرِيطَهُ فِي الدُّنْيَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَفِيمَا يُقَرِّبُ إِلَيْهِ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ {وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى} [الفجر: ٢٣] يَقُولُ: مِنْ أَيِّ وَجْهٍ لَهُ التَّذْكِيرُ ، قَالَ الزَّجَّاجُ: يُظْهِرُ التَّوْبَةَ وَمِنْ أَيْنَ لَهُ التَّوْبَةُ؟ أَيْ: وَكَيْفَ تَنْفَعُهُ الذِّكْرَى؟.

قَوْلُهُ: {يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}[الفجر: ٢٤] يَعْنِي: يَنْدَمُ عَلَى مَا كَانَ سَلَفَ مِنْهُ مِنَ الْمَعَاصِي-إِنْ كَانَ عَاصِيًا-وَيَوَدُّ لَوْ كَانَ ازْدَادَ مِنَ الطَّاعَاتِ-إِنْ كَانَ طَائِعًا-{فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ}[الفجر: ٢٥] قَرَأَ الْكِسَائِيُّ وَيَعْقُوبُ "لَا يُعَذَّبُ" "وَلَا يُوثَقُ" بِفَتْحِ الذَّالِ وَالثَّاءِ عَلَى مَعْنَى لَا يُعَذَّبُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا كَعَذَابِ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ، وَلَا يُوثَقُ كَوَثَاقِهِ أَحَدٌ يَوْمَئِذٍ.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٨١/٢٤)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١٢٩/٥)،تفسير البغوي (٤٢٢/٨)، تفسير ابن كثير (٣٩٩/٨).

(٢) أخرجه مسلم رقم (٢٨٤٢).

وَقِيلَ: هُوَ رَجُلٌ بِعَيْنِهِ، وَهُوَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ[1]، يَعْنِي لَا يُعَذَّبُ كَعَذَابِ هَذَا الْكَافِرِ أَحَدٌ، وَلَا يُوثَقُ كَوَثَاقِهِ أَحَدٌ.

وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِكَسْرِ الذَّالِ وَالثَّاءِ، أَيْ: لَا يُعَذِّبُ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا كَعَذَابِ اللَّهِ الْكَافِرَ يَوْمَئِذٍ، وَلَا يُوثِقُ كَوَثَاقِهِ أَحَدٌ، يَعْنِي لَا يَبْلُغُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ كَبَلَاغِ اللَّهِ فِي الْعَذَابِ، وَالْوَثَاقِ: هُوَ الْإِسَارُ فِي السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ.

أَيْ: لَيْسَ أَحَدٌ أَشَدَّ عَذَابًا مِنْ تَعْذِيبِ اللَّهِ مَنْ عَصَاهُ، {وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ}[الفجر: ٢٦] أَيْ: وَلَيْسَ أَحَدٌ أَشَدَّ قَبْضًا وَوَثْقًا مِنَ الزَّبَانِيَةِ لِمَنْ كَفَرَ بِرَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ، هَذَا فِي حَقِّ الْمُجْرِمِينَ مِنَ الْخَلَائِقِ وَالظَّالِمِينَ ، فَأَمَّا النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ الْمُطْمَئِنَّةُ وَهِيَ السَّاكِنَةُ الثَّابِتَةُ الدَّائِرَةُ مَعَ الْحَقِّ فَيُقَالُ لَهَا: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ}يَعْنِي بِالْمُطْمَئِنَّةِ: الَّتِي اطْمَأَنَّتْ إِلَى وَعْدِ اللَّهِ الَّذِي وَعَدَ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِهِ، فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكَرَامَةِ فِي الْآخِرَةِ، فَصَدَّقَتْ بِذَلِكَ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ الحَسَنُ {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ}[الفجر: ٢٧] إِذَا أَرَادَ اللهُ- عز وجل- قَبْضَهَا، اطْمَأَنَّتْ إِلَى اللهِ، وَاطْمَأَنَّ اللهُ إِلَيْهَا، وَرَضِيَتْ عَنِ اللهِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَأَمَرَ بِقَبْضِ رُوحِهَا، وَأَدْخَلَهَا اللهُ الجَنَّةَ، وَجَعَلَهُ مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ(٢).

قَوْلُهُ: {ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً}[الفجر: ٢٨] أَيْ: إِلَى جِوَارِهِ وَثَوَابِهِ وَمَا أَعَدَّ لِعِبَادِهِ فِي جَنَّتِهِ، {مَرْضِيَّةً} أَيْ: قَدْ رَضِيَتْ عَنِ اللَّهِ وَرَضِيَ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا، {فَادْخُلِي فِي عِبَادِي}[الفجر: ٢٩] أَيْ: فِي جُمْلَتِهِمْ، بِمَعْنَى: فَادْخُلِي فِي عِبَادِيَ الصَّالِحِينَ؛ {وَادْخُلِي جَنَّتِي}[الفجر: ٣٠] وَهَذَا يُقَالُ لَهَا عِنْدَ الِاحْتِضَارِ، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَيْضًا، كَمَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُبَشِّرُونَ الْمُؤْمِنَ عِنْدَ احْتِضَارِهِ وَعِنْدَ قِيَامِهِ مِنْ قَبْرِهِ، وَكَذَلِكَ هَاهُنَا(٣).

انتهى ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ،

---

[1] وَكَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفِ بْنِ وَهْبِ بْنِ حُذَافَةَ ، يعذب سيدنا بَلَالُ بْنُ رَبَاحٍ،و يُخْرِجُهُ إذَا حَمِيَتْ الظَّهِيرَةُ، فَيَطْرَحُهُ عَلَى ظَهْرِهِ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصّخرة الْعَظِيمَة فتتوضع عَلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: لَا وَاَللَّهِ لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ، أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدِ، وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، فَيَقُولُ وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْبَلَاءِ: أَحَدٌ أَحَدٌ. انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣١٨).

(٢) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٦٩.

(٣) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٢٤)، تفسير ابن كثير (٨/٤٠٠).

كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

## ٩٠- سُورَةُ الْبَلَدِ مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا عِشْرُونَ

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤)}

قال مُجَاهِدٍ: {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ} [البلد: ١] {لَا } لَا رَدَّ عَلَيْهِمْ؛ أَقْسَمَ بِهَذَا الْبَلَدِ{أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ} قال ابْنُ جَرِيرٍ: أُقْسِمُ يَا مُحَمَّدُ بِهَذَا الْبَلَدِ الْحَرَامِ، وَهُوَ مَكَّةُ.

قال البغوي وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَقْسَمَ بِمَكَّةَ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى عَظِيمِ قَدْرِهَا مَعَ حُرْمَتِهَا، فَوَعَدَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يُحِلُّهَا لَهُ حَتَّى يُقَاتِلَ فِيهَا، وَأَنْ يَفْتَحَهَا عَلَى يَدِهِ، فَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ يُحِلَّهَا لَهُ.

وَقَوْلُهُ: {وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ} [البلد: ٢] قال ابن جرير يَعْنِي: بِمَكَّةَ؛ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ، يَعْنِي بِمَكَّةَ، يَقُولُ: أَنْتَ بِهِ حَلَالٌ تَصْنَعُ فِيهِ مِنْ قَتْلِ مَنْ أَرَدْتَ قَتْلَهُ، وَأَسْرِ مَنْ أَرَدْتَ أَسْرَهُ، مُطْلَقٌ ذَلِكَ لَكَ.

وَقال البخاري قَالَ مُجَاهِدٌ: {وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ}بِمَكَّةَ لَيْسَ عَلَيْكَ مَا عَلَى النَّاسِ فِيهِ مِنَ الإِثْمِ. (١)

قال ابن كثير :وَهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي قَالُوهُ قَدْ وَرَدَ بِهِ الْحَدِيثُ الْمُتَّفَقُ عَلَى صِحَّتِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ «إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلَا يَلْتَقِطُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهَا»، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا الْإِذْخِرَ، فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ، فَقَالَ: «إِلَّا الْإِذْخِرَ».[٢]

وَقَوْلُهُ: {وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ} [البلد: ٣] قال البغوي يَعْنِي: آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذُرِّيَّتَهُ ، وقال البخاري: {وَوَالِدٍ}: «آدَمَ»، {وَمَا وَلَدَ} لُبَدًا كَثِيرًا .[٣]

---

(١) ذكره البخاري تعليقا (١٦٩/٦).

[٢] أخرجه البخاري برقم (١٠٤، ١٠٥، ١٨٣٢، ٤٢٩٥) واللفظ له ،و مسلم برقم (١٣٥٣)

[٣] ذكره البخاري تعليقا (١٦٩/٦).

وقَالَ قَتَادَةُ وَمُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ وَالْحَسَنُ وَأَبُو صَالِحٍ وَوالِدٍ أَيْ: آدَمَ وَما وَلَدَ أَيْ: وَمَا تَنَاسَلَ مِنْ وَلَدِهِ أَقْسَمَ بِهِمْ لِأَنَّهُمْ أَعْجَبُ مَا خَلَقَ اللَّهُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لِمَا فِيهِمْ مِنَ الْبَيَانِ وَالْعَقْلِ وَالتَّدْبِيرِ، وَفِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَالصَّالِحُونَ.

وَاخْتَارَ ابْنُ جَرِيرٍ أَنَّهُ عَامٌّ فِي كُلِّ وَالِدٍ وَوَلَدِهِ، وَهَذَا كُله قسم؛ وَقَوْلُهُ: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ} [البَلَد: ٤] وَهَذَا هُوَ جَوابُ الْقَسَم ، مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ خُلِقَ يُكَابِدُ الْأُمُورَ وَيُعَالِجُهَا، فَقَوْلُهُ: {فِي كَبَدٍ} [البلد: ٤] مَعْنَاهُ: فِي شِدَّةٍ، وقَالَ الْبُخَارِيُّ: {فِي كَبَدٍ}: فِي شِدَّةِ خَلْقٍ. (١)

وقال الشوكاني: وَالْإِنْسَانُ هُوَ هَذَا النَّوْعُ الْإِنْسَانِيُّ، وَالْكَبَدُ: الشِّدَّةُ وَالْمَشَقَّةُ، يُقَالُ: كَابَدْتُ الْأَمْرَ: قَاسَيْتُ شِدَّتَه، وَالْإِنْسَانُ لَا يَزَالُ فِي مُكَابَدَةِ الدُّنْيَا وَمُقَاسَاةِ شَدَائِدِهَا حَتَّى يَمُوتَ، وَأَصْلُ الْكَبَدِ: الشِّدَّةُ، وَمِنْهُ تَكَبَّدَ اللَّبَنُ: إِذَا غَلُظَ وَاشْتَدَّ، وَيُقَالُ: كَبِدَ الرَّجُلُ إِذَا وُجِعَتْ كَبِدُهُ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي كُلِّ شِدَّةٍ وَمَشَقَّةٍ.

وقَوْلُهُ: {أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ} [البلد: ٥] قال الشوكاني: أيْ يَظُنُّ ابْنُ آدَمَ أنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ ولا يَنْتَقِمَ مِنهُ أحَدٌ، أوْ يَظُنَّ أبو الأشَدَّيْنِ أنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أحَدٌ، قال ابن جرير ذُكِرَ أَنَّ ذَلِكَ نَزَلَ فِي رَجُلٍ بِعَيْنِهِ مِنْ بَنِي جُمَحٍ، كَانَ يُدْعَى أَبَا الْأَشَدَّيْنِ، وَكَانَ شَدِيدًا، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: أَيَحْسَبُ هَذَا الْقَوِيُّ بِجَلَدِهِ وَقُوَّتِهِ، أَنْ لَنْ يَقْهَرَهُ أَحَدٌ وَيَغْلِبَهُ، فَاللَّهُ غَالِبُهُ وَقَاهِرُهُ.

وقَوْلُهُ:{يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا}[البلد: ٦] يَقُولُ هَذَا الْجَلِيدُ الشَّدِيدُ: أَهْلَكْتُ مَالًا كَثِيرًا، فِي عَدَاوَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَنْفَقْتُ ذَلِكَ فِيهِ ، عَنِ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ: {أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا} قَالَ: أَنْفَقْتُ مَالًا فِي الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

وقَوْلُهُ: {أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ} [البلد: ٧] أَيَظُنُّ أنَّ اللَّهَ سُبْحانَهُ لَمْ يَرَهُ ولا يَسْأَلْهُ عَنْ مالِهِ مِن أيْنَ كَسَبَهُ، وأيْنَ أنْفَقَهُ ؟ قَالَه قَتادَةُ.

وقَوْلُهُ:{أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ}[البلد: ٨] قال ابن جرير: أَلَمْ نَجْعَلْ لِهَذَا الْقَائِلِ **{أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا}** عَيْنَيْنِ يُبْصِرُ بِهِمَا،حُجَجَ اللَّهِ عَلَيْهِ {وَلِسَانًا} يُعَبِّرُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ مَا أَرَادَ، {وَشَفَتَيْنِ}[البلد: ٩] نِعْمَةً مِنَّا بِذَلِكَ عَلَيْهِ {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}[البلد: ١٠] وَهَدَيْنَاهُ الطَّرِيقَيْنِ،

(١) ذكره البخاري تعليقا ج٤ص١٣١.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: الْخَيْرُ وَالشَّرُّ، وقال البخاري{النَّجْدَيْنِ}: «الخَيْرُ وَالشَّرُّ»[1]، {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}أَيْ: بَصَّرْنَاهُ السَّبِيلَيْنِ: سَبِيلَ الْهُدَى، وسبيل الضَّلَالَة، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}[البلد: ١٠] قَالَ: " هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَيْنِ: سَبِيلَ الْخَيْرِ، وَسَبِيلَ الشَّرِّ، يَقُولُ: عَرَّفْنَاهُ سَبِيلَ الْخَيْرِ، وَسَبِيلَ الشَّرِّ " كَمَا قَالَ: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان: ٣] .(٢)

قَوْلُهُ: {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ} [البلد: ١١] قال البغوي أَيْ: لَمْ يَقْتَحِمْهَا وَلَا جَاوَزَهَا، وَالِاقْتِحَامُ: الدُّخُولُ فِي الْأَمْرِ الشَّدِيدِ، وَذِكْرُ الْعَقَبَةِ هَاهُنَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ وَالْهَوَى وَالشَّيْطَانِ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ، فَجَعَلَهُ كَالَّذِي يَتَكَلَّفُ صُعُودَ الْعَقَبَةِ، يَقُولُ: لَمْ يَحْمِلْ عَلَى نَفْسِهِ الْمَشَقَّةَ بِعِتْقِ الرَّقَبَةِ وَلَا طَعَامٍ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ قَتَادَةَ.

وَقِيلَ: إِنَّهُ شَبَّهَ ثِقَلَ الذُّنُوبِ عَلَى مُرْتَكِبِهَا بِعَقَبَةٍ، فَإِذَا أَعْتَقَ رَقَبَةً وَأَطْعَمَ كَانَ كَمَنِ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَجَاوَزَهَا ،عَنِ ابْنِ عُمَرَ فِي قَوْلِهِ: {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ}[البلد: ١١] قَالَ: جَبَلٌ فِي جَهَنَّمَ.

قال البخاري يُقَالُ: {فَلاَ اقْتَحَمَ العَقَبَةَ}[البلد: ١١] أي: «فَلَمْ يَقْتَحِمِ العَقَبَةَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ فَسَّرَ العَقَبَةَ، فَقَالَ: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا العَقَبَةُ، فَكُّ رَقَبَةٍ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ} [البلد: ١٣] .(٣)

وقَوْلُهُ:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ}[البلد: ١٢] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَشْعَرَكَ يَا مُحَمَّدُ {مَا الْعَقَبَةُ} ثُمَّ بَيَّنَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَهُ، {مَا الْعَقَبَةُ}، وَمَا النَّجَاةُ مِنْهَا، وَمَا وَجْهُ اقْتِحَامِهَا؟ فَقَالَ: اقْتِحَامُهَا وَقَطْعُهَا {فَكُّ رَقَبَةٍ} مِنَ الرِّقِّ، وَأَسْرِ الْعُبُودَةِ، عَنِ الْحَسَنِ، {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ}[البلد: ١٣] قَالَ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَيْسَ مُسْلِمٌ يُعْتِقُ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، إِلَّا كَانَتْ فِدَاءَهُ مِنَ النَّارِ.

وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً، أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ إِرْبٍ مِنْهَا إِرْبًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ».(٤)

---

[1] ذكره البخاري تعليقا (١٦٩/٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤٠١/٢٤)، تفسير مجاهد (ص: ٧٣٠)، تفسير ابن أبي حاتم (٣٤٣٤/١٠)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١٣٤/٥).

(٣) ذكره البخاري تعليقا (١٦٩/٦).

(٤) أخرجه البخارق رقم(٦٧١٥)،أخرجه مسلم رقم (١٥٠٩)واللفظ له، أي:حَتَّى إِنَّهُ لَيُعْتِقُ بِالْيَدِ الْيَدَ، وَبِالرِّجْلِ =

وقَوْلُهُ: {أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ}[البلد: ١٤] يَقُولُ: أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمِ ذِي مَجَاعَةٍ، **وَالسَّاغِبُ**: الْجَائِعُ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلُهُ: {أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ} يَقُولُ: يَوْمٌ يُشْتَهَى فِيهِ الطَّعَامُ.

قال البخاري:{مَسْغَبَةٍ}: «مَجَاعَةٍ مَتْرَبَةٍ السَّاقِطُ فِي التُّرَابِ».[1].

وَقَوْلُهُ: {يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ}[البلد: ١٥] أَيْ: أَطْعِمْ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ يَتِيمًا، يَقُولُ: أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمِ مَجَاعَةٍ صَغِيرًا لَا أَبَ لَهُ مِنْ قَرَابَتِهِ، وَهُوَ الْيَتِيمُ ذُو الْمَقْرَبَةِ؛ وَعُنِيَ بِذِي الْمَقْرَبَةِ: ذَا الْقَرَابَةِ.

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ النسائي ، عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ».[2].

وقَوْلُهُ: {أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ}[البلد: ١٦] أَيْ: فَقِيرًا مُدقعًا لَاصِقًا بِالتُّرَابِ، وَهُوَ الدَّقْعَاءُ أَيْضًا ،عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ: مِسْكِينٌ ذُو بَنِينَ وَعِيَالٍ، لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ، قال الضَّحَّاكَ: ذَا عِيَالٍ لَاصِقِينَ بِالْأَرْضِ، مِنَ الْمَسْكَنَةِ وَالْجَهْدِ،قيل:{ذَا مَتْرَبَةٍ} مطروح على الطريق لا بيت له .

قال أبو جعفر: وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصِّحَّةِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: أَوْ مِسْكِينًا قَدْ لَصِقَ بِالتُّرَابِ مِنَ الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ مَعَانِيهِ، وَأَنَّ قَوْلَهُ: {مَتْرَبَةٍ} إِنَّمَا هِيَ مَفْعَلَةٌ مِنْ تَرِبَ الرَّجُلُ إِذَا أَصَابَهُ التُّرَابُ.

وقَوْلُهُ: {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ }[البلد: ١٧]قال ابن جرير يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ثُمَّ كَانَ هَذَا الَّذِي قَالَ: {أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا} [البلد: ٦] مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَيُؤْمِنُ مَعَهُمْ كَمَا آمَنُوا، {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}[البلد: ١٧] ، يَقُولُ: وَمِمَّنْ أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالصَّبْرِ عَلَى مَا نَابَهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ {وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ}[البلد: ١٧] يَقُولُ: وَأَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالْمَرْحَمَةِ، أَيْ: بِالرَّحْمَةِ عَلَى عِبادِ اللَّهِ فَإِنَّهم إذا فَعَلُوا ذَلِكَ رَحِمُوا الْيَتِيمَ والمِسْكِينَ، واسْتَكْثَرُوا من فِعْلِ الْخَيْرِ بالصَّدَقَةِ ونَحْوِها.

وقَوْلُهُ: {أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} [البلد: ١٨] يَقُولُ: الَّذِينَ فَعَلُوا هَذِهِ الْأَفْعَالَ الَّتِي

---

= الرِّجْلَ، وَبِالْفَرْجِ الْفَرْجَ.

[1] ذكره البخاري تعليقًا (٦/١٦٩).

[2] أخرجه النسائي في الصغري رقم(٢٥٨٢)وصححه الألباني.

ذَكَرْتُهَا، مِنْ فَكِّ الرِّقَابِ، وَإِطْعَامِ الْيَتِيمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، أَصْحَابُ الْيَمِينِ، الَّذِينَ يُؤْخَذُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَى الْجَنَّةِ.

وَقَوْلُهُ: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا} [البلد: ١٩] يَقُولُ: وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِأَدِلَّتِنَا وَأَعْلَامِنَا وَحُجَجِنَا مِنَ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ {هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ} [البلد: ١٩] يَقُولُ: هُمْ أَصْحَابُ الشِّمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ، أَوْ أَصْحَابُ الشُّؤْمِ، أَوِ الَّذِينَ يُعْطَوْنَ كُتُبَهم بِشِمالِهِمْ، وَهُمْ أَهْلُ النَّارِ.

وَقَوْلُهُ: {عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ}[البلد: ٢٠] أَيْ: مُطْبَقَةٌ عَلَيْهِمْ، فَلَا مَحِيدَ لَهُمْ عَنْهَا، وَلَا خُرُوجَ لَهُمْ مِنْهَا، قَالَ الْبُخَارِيُّ: {مُؤْصَدَةٌ}: مُطْبَقَةٌ. (١)

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: {مُؤْصَدَةٌ} حَيْطٌ لَا بَابَ لَهُ ، عَنْ قَتَادَةَ قَوْلُهُ: {عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ}[البلد: ٢٠] أَيْ: مُطْبَقَةٌ؛ أَطْبَقَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَلَا ضَوْءَ فِيهَا وَلَا فُرَجَ، وَلَا خُرُوجَ مِنْهَا آخِرَ الْأَبَدِ .(٢)

انتهى ، والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

## ٩١- سُورَةُ الشَّمْسِ مَكِّيَّةٌ ،وَآيَاتُهَا خَمْسَ عَشْرَةَ

تَقَدَّمَ حَدِيثُ جَابِرٍ الَّذِي فِي الصَّحِيحِ: أن النَّبِيَّ ﷺ قال: «يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ- ثَلَاثًا- اقْرَأْ: **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا** وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى وَنَحْوَهَا».(٣)

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤)}

قَوْلُهُ: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا}[الشمس: ١] قال ابن جرير: قَسَمٌ، أَقْسَمَ رَبُّنَا تَعَالَى ذِكْرُهُ بِالشَّمْسِ وَنَهَارِهَا؛ لِأَنَّ ضَوْءَ الشَّمْسِ الظَّاهِرَةِ هُوَ النَّهَارُ{وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا} قَالَ: هَذَا قَسَمٌ،

---

(١) ذكره البخاري تعليقا ج٤ص١٧٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري (٤٣٣/٢٤)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١٣٥/٥)، تفسير البغوي (٨/ ٤٢٦)، تفسير ابن كثير (٤٠٨/٨).
(٣) أخرجه البخا ري رقم(٦١٠٦).

وَالْقَمَرُ يَتْلُو الشَّمْسَ نِصْفَ الشَّهْرِ الْأَوَّلَ، وَتَتْلُوهُ النِّصْفَ الْآخَرَ، فَأَمَّا النِّصْفُ الْأَوَّلُ فَهُوَ يَتْلُوهَا، وَتَكُونُ أَمَامَهُ وَهُوَ وَرَاءَهَا، فَإِذَا كَانَ النِّصْفُ الْآخَرُ كَانَ هُوَ أَمَامَهَا يَقْدُمُهَا، وَتَلِيهِ هِيَ ، عَنْ مُجَاهِدٍ:{وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا}[الشمس: ٢] يَعْنِي: «إِذَا تَبِعَهَا». وقَوْلُهُ:{وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا}[الشمس: ٣] قال ابن جرير يَقُولُ: وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا، قَالَ: إِذَا أَضَاءَ{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا}[الشمس: ٤] يعني: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى الشَّمْسَ، حَتَّى تَغِيبَ فَتُظْلِمَ الْآفَاقُ، وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ فِي ذَلِكَ: مَا إِذَا غَشَّاهَا اللَّيْلُ{وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا}[الشمس: ٥] أي: وَالسَّمَاءِ وَمَنْ بَنَاهَا، أي: وَمَنْ خَلَقَهَا، وَبِنَاؤُهُ إِيَّاهَا: تَصْيِيرُهُ إِيَّاهَا لِلْأَرْضِ سَقْفًا،وقال الشوكاني: يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ ما مَصْدَرِيَّةً أيْ: والسَّماءِ وبُنْيانِها، ويَجُوزُ أنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً: أيْ : والَّذِي بَناها؛ وإيثارُ **" ما " عَلى " مَن "** لِإرادَةِ الوَصْفِيَّةِ لِقَصْدِ التَّفْخِيمِ ؛كَأنَّهُ قالَ: والقادِرِ العَظِيمِ الشَّأْنِ الَّذِي بَناها.

وقيل: {وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا}[الشمس: ٥] وَالَّذِي بَنَاهَا، أَقْسَمَ بِالسَّمَاءِ وبنفسه، قال ابن كثير: وَالْبِنَاءُ هُوَ الرَّفْعُ.

وقَوْلُهُ:{وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا}[الشمس: ٦] قال ابن جرير أي: بَسَطَهَا يَمِينًا وَشِمَالًا، وَمِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَهَذِهِ أَيْضًا نَظِيرُ الَّتِي قَبْلَهَا، وَمَعْنَى الْكَلَامِ: وَالْأَرْضِ وَمَنْ طَحَاهَا، قَالَ الْبُخَارِيُّ: {طَحَاهَا}: دَحَاهَا(١). وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ، والسُّدِّي، وَالثَّوْرِيُّ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَابْنُ زَيْدٍ: {طَحَاهَا} بَسَطَهَا.

وقَوْلُهُ: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا}[الشمس: ٧] قال ابن كثير أَيْ: خَلَقَهَا سَوِيَّةً مُسْتَقِيمَةً عَلَى الْفِطْرَةِ الْقَوِيمَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} [الرُّومِ: ٣٠] وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفاء فَجَاءَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ" .[٢]

كما ورد في الصحيحين من حديث أبي هُرَيْرَةَ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا

(١) ذكره البخاري تعليقاج٤ص١٠٦.

[٢] أخرجه مسلم رقم(٢٨٦٥) (فاجتالتهم) أي: استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه وجالوا معهم في الباطل وقال شمر اجتال الرجل الشيء ذهب به واجتال أموالهم ساقها وذهب بها .

تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ». (١)

وقَوْلُهُ: {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}[الشمس: ٨] أَيْ: فَأَرْشَدَهَا إِلَى فُجُورِهَا وَتَقْوَاهَا، أَيْ: بَيَّنَ لَهَا ذَلِكَ، وَهَدَاهَا إِلَى مَا قُدِّرَ لَهَا، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} بَيَّنَ لَهَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَكَذَا قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، والثوري.

قالَ الفَرّاءُ: فَأَلْهَمَها عَرَّفَها طَرِيقَ الخَيْرِ وطَرِيقَ الشَّرِّ، كَما قالَ: {وهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ}[البلد: ١٠] .

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدِّيلِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ، أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ[٢] ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرِ مَا سَبَقَ؟ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ، وَمَضَى عَلَيْهِمْ، قَالَ فَقَالَ: أَفَلَا يَكُونُ ظُلْمًا؟ قَالَ: فَفَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا، وَقُلْتُ: كُلُّ شَيْءٍ خَلْقُ اللهِ وَمِلْكُ يَدِهِ، فَلَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، فَقَالَ لِي: يَرْحَمُكَ اللهُ إِنِّي لَمْ أُرِدْ بِمَا سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأَحْزِرَ عَقْلَكَ[٣]، إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَيَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ،أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ، أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ، وَثَبَتَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: " لَا، بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا }[الشمس: ٨] .[٤]

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده ، عَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ[٥] بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

---

(١) أخرجه البخا ري رقم(١٣٥٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٥٨).قال ابن عبد البر:(جَدْعَاءَ ):يَعْنِي مَقْطُوعَةَ الْأُذُنِ فَمَثَّلَ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بِالْبَهَائِمِ لِأَنَّهَا تُولَدُ كَامِلَةَ الْخَلْقِ لَيْسَ فِيهَا نُقْصَانٌ وَلَا آفَةٌ،ثُمَّ تُقْطَعُ آذَانُهَا بَعْدُ وَتُشَقُّ وَتُثْقَبُ أُنُوفُهَا،وَيُقَالُ هَذِهِ بِحَائِرُ وَهَذِهِ سَوَائِبُ،وَكَذَلِكَ قُلُوبُ الْأَطْفَالِ فِي حِينِ وِلَادَتِهِمْ سَالِمَةٌ. انظر: الاستذكار (٣/ ١٠١).

[٢] (ويكدحون فيه) الكدح هو السعي في العمل سواء أكان للآخرة أم للدنيا .

[٣] . (لأحزر عقلك) أي لأمتحن عقلك وفهمك ومعرفتك.

[٤] أخرجه مسلم رقم(٢٦٥٠).

[٥] (أول من قال بالقدر) معناه أول من قال بنفي القدر فابتدع وخالف الصواب الذي عليه أصل الحق.

الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ - أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ - فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ[1]، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ[2]، قَالَ: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ» ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ... وذكر الحديث.[3]

وأخرج أبو داود في سننه عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، وَحُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَا: لَقِينَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ فَذَكَرْنَا لَهُ الْقَدَرَ وَمَا يَقُولُونَ فِيهِ فَذَكَرَ نَحْوَهُ زَادَ قَالَ: وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ مُزَيْنَةَ أَوْ جُهَيْنَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ : فِيمَا نَعْمَلُ أَفِي شَيْءٍ قَدْ خَلَا أَوْ مَضَى أَوْ فِي شَيْءٍ يُسْتَأْنَفُ الْآنَ؟ قَالَ: «فِي شَيْءٍ قَدْ خَلَا وَمَضَى»، فَقَالَ الرَّجُلُ أَوْ بَعْضُ الْقَوْمِ: فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ».[4]

قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، يُقَالُ مُيَسَّرٌ: مُهَيَّأٌ.[5]

أخرج الأمام مسلم في صحيحه، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ، الْقَبْرِ اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا».[6]

---

[1] (ويتقفرون العلم) ومعناه يطلبونه ويتبعونه وقيل معناه يجمعونه.

[2] (وإن الأمر أنف) أي: مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى وإنما يعلمه بعد وقوعه، و مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه: أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالي ،وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى.

[3] أخرجه مسلم رقم(٨).

[4] أخرجه أبو داود رقم (٤٦٩٦) وصححه الألباني.

[5] ذكره البخاري تعليقا (ج٩ص١٥٩).

[6] أخرجه مسلم رقم (٢٧٢٢).

قَوْلُهُ: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}[الشمس: ٩] وَهَذَا مَوْضِعُ الْقَسَمِ، أَيْ فَازَتْ وَسَعِدَتْ نَفْسٌ زَكَّاهَا اللَّهُ، أَيْ أَصْلَحَهَا وَطَهَّرَهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَوَفَّقَهَا لِلطَّاعَةِ، وَأَصْلَحَهَا بِالصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ،كَقَوْلِهِ: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} [الْأَعْلَى: ١٤، ١٥].**

قَوْلُهُ: {وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}[الشمس: ١٠] أَيْ: أَخْمَلَهَا وَوَضَعَ مِنْهَا بِخِذْلَانِهِ إِيَّاهَا عَنِ الْهُدَى، حَتَّى رَكِبَ الْمَعَاصِيَ وَتَرَكَ طَاعَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وقَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ مُجَاهِدٌ: {دَسَّاهَا}: أَغْوَاهَا(١)،عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ {وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} يَعْنِي: مَكَرَ بِهَا(٢).

قَوْلُهُ: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا}[الشمس: ١١] قال ابن كثير: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ ثَمُودَ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ، بِسَبَبِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الطُّغْيَانِ وَالْبَغْيِ.

ويُقَالُ: كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطُغْيَانِهَا، يَعْنِي: بِعَذَابِهَا الَّذِي وَعَدَهُمُ به صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَانَ ذَلِكَ الْعَذَابُ طَاغِيًا طَغَى عَلَيْهِمْ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ مُجَاهِدٌ: {بِطَغْوَاهَا}: بِمَعَاصِيهَا. (٣)

وَقَوْلُهُ: {إِذْ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا}[الشمس: ١٢] يَقُولُ: إِذْ ثَارَ أَشْقَى ثَمُودَ، وَهُوَ قُدَارُ بْنُ سَالِفٍ، وَكَانَ أَشْقَرَ أَزْرَقَ الْعَيْنَيْنِ قَصِيرًا قَامَ لِعَقْرِ النَّاقَةِ.

وفي الصحيحين من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ، وَذَكَرَ النَّاقَةَ وَالَّذِي عَقَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «{إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا} انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ، مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ، مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ». (٤)

قَوْلُهُ: {فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا }[الشمس: ١٣] يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: صَالِحًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لِثَمُودَ صَالِحٍ: {نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا} احْذَرُوا نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا، وَإِنَّمَا حَذَّرَهُمْ سُقْيَا النَّاقَةِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، أَنَّ لِلنَّاقَةِ شِرْبَ يَوْمٍ، وَلَهُمْ شِرْبُ يَوْمٍ آخَرَ، غَيْرِ يَوْمِ النَّاقَةِ.

وَقَوْلُهُ: {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا}[الشمس: ١٤] يَقُولُ: فَكَذَّبُوا صَالِحًا فِي خَبَرِهِ الَّذِي أَخْبَرَهُمْ بِهِ، مِنْ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ شِرْبَ النَّاقَةِ يَوْمًا، وَلَهُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ، وَأَنَّ اللَّهَ يَحِلُّ بِهِمْ

---

(١) ذكره البخار تعليقا ج٨ص١٢٥.
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٨).
(٣) ذكره البخار تعليقا ج٦ص١٦٩.
(٤) أخرجه البخاري رقم(٤٩٤٢) أخرجه مسلم رقم( ٢٨٥٥).

نِقْمَتَهُ، إِنْ هُمْ عَقَرُوهَا.
قَوْلُهُ: {فَعَقَرُوهَا} جَوَابٌ لِقَوْلِهِ: {إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا} كَأَنَّهُ قِيلَ: إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا فَعَقَرَهَا، فَقَالَ: وَكَيْفَ؟ قِيلَ :{فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا}وَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ قَبْلَ قَتْلِ النَّاقَةِ مُسْلِمَيْنَ، لَهَا شِرْبُ يَوْمٍ، وَلَهُمْ شِرْبُ يَوْمٍ آخَرَ، قِيلَ: جَاءَ الْخَبَرُ أَنَّهُمْ بَعْدَ تَسْلِيمِهِمْ ذَلِكَ، أَجْمَعُوا عَلَى مَنْعِهَا الشُّرْبَ، وَرَضُوا بِقَتْلِهَا، وَعَنْ رِضَا جَمِيعِهِمْ قَتَلَهَا قَاتِلُهَا، وَعَقَرَهَا مَنْ عَقَرَهَا ، وَلِذَلِكَ نُسِبَ التَّكْذِيبُ وَالْعَقْرُ إِلَى جَمِيعِهِمْ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا}[الشمس: ١٤].
وَقَوْلُهُ: {فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا}[الشمس: ١٤] {فَدَمْدَمَ}أَطْبَقَ، الدَّمْدَمَةَ عَلَيْهِمْ،أَيْ: عَمَّهُمْ بِهَا فَلَمْ يَفْلِت مِنْهُمْ أحد، بمعني: فَدَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ ذَلِكَ، وَكُفْرِهِمْ بِهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُ صَالِحًا، وَعَقْرِهِمْ نَاقَتَهُ، وَالدَّمْدَمَةُ: إِهْلَاكٌ باسْتِئْصَالِ{بِذَنْبِهِمْ} بِقَتْلِهِم النَّاقة وتكذيبهم صالحا {فَسَوَّاهَا} يَقُولُ: فَسَوَّى الدَّمْدَمَةَ عَلَيْهِمْ جَمِيعِهِمْ، فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، قَالَ قَتَادَةُ: بَلَغَنَا أَنَّ أُحَيْمِرَ ثَمُودَ لَمْ يَعْقِرِ النَّاقَةَ حَتَّى تَابَعَهُ صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ وَذَكَرُهُمْ وَأُنْثَاهُمْ، فَلَمَّا اشْتَرَكَ الْقَوْمُ في عقرها دمّدم الله عليهم بذنبهم، {فَسَوَّاهَا}أَيْ: فَجَعَلَ الْعُقُوبَةَ نَازِلَةً عَلَيْهِمْ عَلَى السَّوَاءِ.
قَوْلُهُ: {وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا}[الشمس: ١٥] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا يَخَافُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ تَبِعَةً، قال البخاري وَقَالَ مُجَاهِدٌ: {وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا} [الشمس: ١٥]: «عُقْبَى أَحَدٍ».[١]
قال الشيخ أبو بكر الجزائري-رحمه الله- أي: ولا يخاف الرب تعالى تبعة إهلاكهم كما يخاف الإنسان عاقبة فعله إذا هو قتل أحد أو عذبه. (٢)
انتهي ، والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

[١] ذكره البخاري تعليقا(١٦٩/٦).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٤٣٤/٢٤)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١٣٧/٥)، تفسير البغوي (٨/ ٤٤٠) ،تفسير ابن كثير (٤١١/٨)، تفسير الجلالين (ص: ٨١٠)، أيسر التفاسير للجزائري (٥/ ٥٧٨)..

## ٩٢- سُورَةُ اللَّيْلِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا إِحْدَى وَعِشْرُونَ

أخرج البخاري في صحيحه بسنده، عن جَابِرَ بْن عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيَّ قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ بِنَاضِحَيْنِ[1] وَقَدْ جَنَحَ اللَّيْلُ، فَوَافَقَ مُعَاذًا يُصَلِّي، فَتَرَكَ نَاضِحَهُ وَأَقْبَلَ إِلَى مُعَاذٍ، فَقَرَأَ بِسُورَةِ البَقَرَةِ- أَوِ النِّسَاءِ- فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ[2] وَبَلَغَهُ أَنَّ مُعَاذًا نَالَ مِنْهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَشَكَا إِلَيْهِ مُعَاذًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ»- أَوْ «أَفَاتِنٌ»- ثَلاَثَ مِرَارٍ: «فَلَوْلاَ صَلَّيْتَ بِسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَذُو الحَاجَةِ».(٣)

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأنْثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) }.

قال ابن كثير: فَأَقْسَمَ تَعَالَى بِـ {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى}[الليل: ١] أَيْ: إِذَا غَشيَ الخليقةَ بِظَلَامِهِ{وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى}[الليل: ٢] أَيْ: بِضِيَائِهِ وَإِشْرَاقِهِ {وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأنْثَى}[الليل: ٣] قال ابن عثيمين- رحمه الله-

يعني: وخَلْق الذَّكَر والأُنثى، على أحد التفسيرين الذي جعل (ما) هنا مصدرية، أو: والذي خَلَقَ الذَّكَرَ والأُنثى؛ وهو الله عز وجل، على التفسير الآخَر. فعلى المعنى الأول يكون الله سبحانه وتعالى أَقْسَمَ بخَلْق الذَّكَر والأُنثى، وعلى الثاني يكون الله تعالى أَقْسَمَ بنفسه لأنه هو الذي خَلَقَ الذَّكَر والأُنثى.

وقَوْلُهُ: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى}[الليل: ٤] جَوَابُ الْقَسَمِ، قال ابن كثير أَيْ: أَعْمَالُ الْعِبَادِ الَّتِي اكْتَسَبُوهَا مُتَضَادَّةٌ أَيْضًا وَمُتَخَالِفَةٌ، فَمِنْ فَاعِلٍ خَيْرًا وَمِنْ فَاعِلٍ شَرًّا،فَعَامِل لِلْجَنَّةِ بِالطَّاعَةِ، وَعَامِل لِلنَّارِ بِالْمَعْصِيَةِ .

[1] (بناضحين) مثنى ناضح و (الناضح) هو : البعير الذي يسقى عليه النخل والزرع.

[2] فانطلَقَ الرجلُ، فتجوَّزَ، فصلَّى صلاةً خفيفةً، فبلَغَ ذلك معاذاً، فقال: إنه منافق ، وبلَغَه أن معَاذاً نالَ منْه، فأَتى النبيَّ - صلى الله عليه وسلم -، فشكا إليهِ مُعاذاً، فقالَ: يا رسولَ اللهِ! إنا قومٌ نعملُ بأيدينا، ونَسقي بنواضِحنا، وإنَّ معاذاً صلَّى بنا البارحةَ فقرَأ (البقرة)، فتجوزْتُ، فزَعَم أني منافقٌ، فقالَ النبيُّ - صلى الله عليه وسلم -:" يا مُعاذُ! أَفتَّانٌ أنتَ؟! (ثلاثَ مِرارٍ)،وذكر الحديث... انظر:مختصر صحيح الإمام البخاري للألباني (١/ ٢٢٨).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٧٠٥).

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآَنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، **كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا».**[1]

وقَوْلُهُ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى}[الليل: ٥] مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، {وَاتَّقَى} رَبَّهُ {وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى}[الليل: ٦] أَيْ: بِالْمُجَازَاةِ عَلَى ذَلِكَ قَالَهُ قَتَادَةُ، وَقَالَ خَصِيف: بِالثَّوَابِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: {وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} أَيْ: بِالْخَلَفِ مِنَ اللَّهِ عَلَى نَفَقَتِهِ، وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ، وَالضَّحَّاكُ: {وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} أَيْ: بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عِكْرِمَةَ: {وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى}[الليل: ٦] أَيْ: بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: {وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} قَالَ: الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصَّوْمُ، وَقَالَ مَرَّةً: صَدَقَةُ الْفِطْرِ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ {وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى} قَالَ: صَدَّقَ الْمُؤْمِنُ بِمَوْعُودِ اللَّهِ الْحَسَنِ، قال ابن جرير:وَأَشْبَهُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ، وَأَوْلَاهَا بِالصَّوَابِ عِنْدِي: قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِهِ التَّصْدِيقُ بِالْخَلَفِ مِنَ اللهِ عَلَى نَفَقَتِهِ.

وقَوْلُهُ: {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى}[الليل: ٧] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَعْنِي لِلْخَيْرِ، وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: يَعْنِي لِلْجَنَّةِ.

وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا "(٢).

وقَوْلُهُ: {وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ} أَيْ: بِمَا عِنْدَهُ، {وَاسْتَغْنَى}[الليل: ٨] قَالَ عِكْرِمَةُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَيْ بَخِلَ بِمَالِهِ، وَاسْتَغْنَى عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وقَوْلُهُ:{وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى}[الليل: ٩] أَيْ: بِالْجَزَاءِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى}: بِالخَلَفِ مِنَ اللَّهِ عَلَى نَفَقَتِهِ .(٣)

---

[1] أخرجه مسلم برقم: (٢٢٣) (كل الناس يغدو الخ) فمعناه كل إنسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها الله بطاعته فيعتقها من العذاب ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى بإتباعها فيوبقها أي يهلكها.

(٢) أخرجه البخاري رقم (١٤٤٢) واللفظ له، أخرجه مسلم رقم (١٠١٠)، وَذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٧٠.

وقَوْلُهُ:{فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى}[الليل: ١٠] قال ابن جرير: **وَالْعُسْرَى** الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ يُيَسِّرُهُ لَهَا: الْعَمَلُ بِمَا يَكْرَهُهُ وَلَا يَرْضَاهُ.

قال السعدي-رحمه الله-أي: للحالة العسرة، والخصال الذميمة، بأن يكون ميسرًا للشر أينما كان، ومقيضًا له أفعال المعاصي، نسأل الله العافية.

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَعُلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ قِيلَ: فَفِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: «كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»(١).

وفي الصحيحين من حديث عَلِيٍّ، قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً» قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: ٦]. (٢)

وقَوْلُهُ: {وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ}[الليل: ١١] أَيُّ شَيْءٍ يَدْفَعُ -عَنْ هَذَا الَّذِي بَخِلَ بِمَالِهِ، وَاسْتَغْنَى عَنْ رَبِّهِ- مَالُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ {إِذَا} هُوَ {تَرَدَّى}[الليل: ١١] فِي جَهَنَّمَ؛ أَيْ : سَقَطَ فِيهَا فَهَوَى.(٣)

---

(١) أخرجه مسلم رقم(٢٦٤٩)، قال ابن حجر: وَفِي الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمَآلَ مَحْجُوبٌ عَنِ الْمُكَلَّفِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي عَمَلِ مَا أُمِرَ بِهِ، فَإِن عمله امارة إِلَى مَا يؤول إِلَيْهِ أَمْرُهُ غَالِبًا ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ قَدْ يُخْتَمُ لَهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ. انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٩٣).

(٢) أخرجه البخاري رقم(٤٩٤٧)، ومسلم رقم (٢٦٤٧) واللفظ له.

وقال ابن عثيمين **وفيه: الأمر بالعمل وعدم الاتكال على الكتاب السابق**، ولهذا لما قالوا: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٤/٤٥٥)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٥/١٤٠)، تفسير الجلالين (ص: ٨١٠).

قَوْلُهُ: {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى}[الليل: ١٢] أي: إِنَّ عَلَيْنَا لَبَيَانَ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالطَّاعَةِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ {وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى}[الليل: ١٣] يَقُولُ: وَإِنَّ لَنَا مُلْكَ مَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، نُعْطِي مِنْهُمَا مَنْ أَرَدْنَا مِنْ خَلْقِنَا، وَنَحْرِمُهُ مَنْ شِئْنَا، وَإِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّهُ يُوَفِّقُ لِطَاعَتِهِ مَنْ أَحَبَّ مِنْ خَلْقِهِ، فَيُكْرِمُهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُهَيِّئُ لَهُ الْكَرَامَةَ وَالثَّوَابَ فِي الْآخِرَةِ، وَيَخْذُلُ مَنْ يَشَاءُ خُذْلَانَهُ مِنْ خَلْقِهِ عَنْ طَاعَتِهِ، فَيُهِينُهُ بِمَعْصِيَتِهِ فِي الدُّنْيَا، وَيُخْزِيهِ بِعُقُوبَتِهِ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ .

وقَوْلُهُ: {فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى}[الليل: ١٤] أي: فَأَنْذَرْتُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ نَارًا تَتَوَهَّجُ، وَهِيَ نَارُ جَهَنَّمَ، يَقُولُ: احْذَرُوا أَنْ تَعْصُوا رَبَّكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَتَكْفُرُوا بِهِ، فَتَصْلَوْنَهَا فِي الْآخِرَةِ، وَقِيلَ: {تَلَظَّى} وَإِنَّمَا هِيَ تَتَلَظَّى، وَهِيَ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ؛ لِأَنَّهُ فِعْلٌ مُسْتَقْبَلٌ، وَلَوْ كَانَ فِعْلًا مَاضِيًا لَقِيلَ: فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّتْ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: {نَارًا تَلَظَّى} قَالَ: تَوَهَّجُ {لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى}[الليل: ١٥] أي: لَا يَدْخُلُهَا فَيَصْلَى بِسَعِيرِهَا إِلَّا الْأَشْقَى {الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى}[الليل: ١٦]أي: الَّذِي كَذَّبَ بِآيَاتِ رَبِّهِ، وَأَعْرَضَ عَنْهَا، وَلَمْ يُصَدِّقْ بِهَا.

وقَوْلُهُ: {وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى}[الليل: ١٧] أي: وَسَيُوَقَّى صِلِيَّ النَّارِ الَّتِي تَلَظَّى التَّقِيُّ، عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: {وسيجنبها الأتقى} قَالَ: هُوَ أَبُو بكر الصّديق{الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى}[الليل: ١٨] يَقُولُ: الَّذِي يُعْطِي مَالَهُ فِي الدُّنْيَا فِي حُقُوقِ اللَّهِ الَّتِي أَلْزَمَهُ إِيَّاهَا {يَتَزَكَّى} يَعْنِي: يَتَطَهَّرُ بِإِعْطَائِهِ ذَلِكَ مِنْ ذُنُوبِهِ{وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى}[الليل: ١٩] عَن سعيد قَالَ: نزلت فِي أبي بكر أعتق نَاسا لم يلْتَمس مِنْهُم جَزَاء وَلَا شكُورًا، سِتَّة أَو سَبْعَة، مِنْهُم بِلَال، وعامر بن فهيرَة.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، دَعَاهُ خَزَنَةُ الجَنَّةِ، كُلُّ خَزَنَةِ بَابٍ: أَيْ فُلُ هَلُمَّ»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَاكَ الَّذِي لاَ تَوَى(١) عَلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ». (٢)

قَوْلُهُ: {إِلاَّ ابْتِغَاء }أَيْ: لَيس يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا ابْتِغَاءَ {وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى وَلَسَوْف يَرْضَى }[الليل: ٢١] الثَّوَابَ فِي الْجَنَّةِ، قال ابن كثير :وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ حَكَى الْإِجْمَاعَ مِنَ

(١) وبقوله (لاَ تَوَى) أي لا ضياع يعني أنه لا بأس عليه أن يترك باباً ويدخل آخر.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٨٤١)، واللفظ له، و مسلم برقم (١٠٢٧).

الْمُفَسِّرِينَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِيهَا، وَأَوْلَى الْأُمَّةِ بِعُمُومِهَا، فَإِنَّ لَفْظَهَا لَفْظُ الْعُمُومِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **{وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى}** وَلَكِنَّهُ مُقَدَّمُ الْأُمَّةِ وَسَابِقُهُمْ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ وَسَائِرِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا تَقِيًا كَرِيمًا جَوَادًا بَذَّالًا لِأَمْوَالِهِ فِي طَاعَةِ مَوْلَاهُ، وَنُصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ، فَكَمْ مِنْ دَرَاهِمَ وَدَنَانِيرَ بَذَلَهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ، وَلَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ عِنْدَهُ مِنَّةٌ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُكَافِئَهُ بِهَا، وَلَكِنْ كَانَ فَضْلُهُ وَإِحْسَانُهُ عَلَى السَّادَاتِ وَالرُّؤَسَاءِ مِنْ سَائِرِ الْقَبَائِلِ؛ وَلِهَذَا قَالَ لَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ -وَهُوَ سَيِّدُ ثَقِيفٍ يَوْمَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ-: أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا يَدٌ لَكَ كَانَتْ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لَأَجَبْتُكَ، وَكَانَ الصِّدِّيقُ قَدْ أَغْلَظَ لَهُ فِي الْمَقَالَةِ، فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُهُ مَعَ سَادَاتِ الْعَرَبِ وَرُؤَسَاءِ الْقَبَائِلِ، فَكَيْفَ بِمَنْ عَدَاهُمْ؟ وَلِهَذَا قَالَ: {وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى}[الليل: ٢١].

قَوْلُهُ: {وَلَسَوْفَ يَرْضَى}[الليل: ٢١] بِمَا يُعْطِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْكَرَامَةِ جَزَاءً عَلَى مَا فَعَلَ. (١)

انتهى ،والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٤/٤٨١)، تفسير البغوي (٨/ ٤٤٩)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٢)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/٥٣٨).

## ٩٣- سُورَةُ الضُّحَى مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

ففي الصحيحين من حديث الأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدَبًا، يَقُولُ: «اشْتَكَى النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَةً- أَوْ لَيْلَتَيْنِ- فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ[1]، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ مَا أُرَى شَيْطَانَكَ إِلَّا قَدْ تَرَكَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} [الضحى: ٢]. (٢)

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى }

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَالضُّحَى}[الضحى: ١] قال البغوي: أَقْسَمَ بِالضُّحَى وَأَرَادَ بِهِ النَّهَارَ كُلَّهُ، بِدَلِيلِ أَنَّهُ قَابَلَهُ بِاللَّيْلِ فَقَالَ {وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}، نظيره: قوله: {أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ} (الْأَعْرَافِ :٩٨) أَيْ: نَهَارًا.

وَقَالَ قَتَادَةُ وَمُقَاتِلٌ: يَعْنِي وَقْتَ الضُّحَى، وَهِيَ السَّاعَةُ الَّتِي فِيهَا ارْتِفَاعُ الشَّمْسِ، وَاعْتِدَالُ النَّهَارِ فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ.

وقَوْلُهُ: {وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}[الضحى: ٢] أَيْ: سَكَنَ فَأَظْلَمَ وادلَهم، مَعْنَاهُ: وَاللَّيْلِ إِذَا أَقْبَلَ بِظَلَامِهِ، عَنْ قَتَادَةَ أي: سَكَنَ بِالْخَلْقِ، وَذَلِكَ عِنْدَ تَنَاهِي ظَلامِهُ وَرُكُودِهُ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ مُجَاهِدٌ: {إِذَا سَجَى}: اسْتَوَى. (٣)

قَوْلُهُ: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}[الضحى: ٣] هَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ، أَيْ: مَا تَرَكَكَ مُنْذُ اخْتَارَكَ ، {وَمَا قَلَى} وَلَا أَبْغَضَكَ مُنْذُ أَحَبَّكَ {وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأولَى}[الضحى: ٤] أَيْ: وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ.

قَوْلُهُ: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}[الضحى: ٥] أَيْ: فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ يُعْطِيهِ حَتَّى يُرْضِيَهُ فِي أُمَّتِهِ، وَفِيمَا أعدّه لَهُ مِنَ الْكَرَامَةِ، وَمِنْ جُمْلَتِهِ نَهْرُ الْكَوْثَرِ الَّذِي حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ، وَطِينُهُ مِنْ مِسْكٍ أَذْفَرَ.

---

[1] (فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ )قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ هِيَ: أُمُّ جَمِيلٍ امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ، وَذُكِرَ أَنَّ أُصْبَعَهُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، دَمِيَتْ.قاله: ابن كثير.

(٢) أخرجه البخاري رقم(٤٩٨٣)، واللفظ له، مسلم برقم (١٧٩٧).

(٣) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا ج٦ص١٧٢.

قال ابن كثير: ثُمَّ قَالَ تعالى يعدد نعمه عل عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى}[الضحى: ٦] وَذَلِكَ أَنَّ أَبَاهُ تُوفِّي وَهُوَ حملٌ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَقِيلَ: بَعْدَ أَنْ وُلِدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ سِتُّ سِنِينَ، ثُمَّ كَانَ فِي كَفَالَةِ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَمَانِ سِنِينَ، فَكَفَلَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَحُوطُهُ وَيَنْصُرُهُ ويرفع مِنْ قَدره وَيُوقِّره، وَيَكُفُّ عَنْهُ أَذَى قَوْمِهِ بَعْدَ أَنِ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ عُمْرِهِ، هَذَا وَأَبُو طَالِبٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدَرِ اللَّهِ وحُسن تَدْبِيرِهِ، إِلَى أَنْ تُوفي أَبُو طَالِبٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِقَلِيلٍ، فَأَقْدَمَ عَلَيْهِ سُفَهَاءُ قُرَيْشٍ وجُهالهم، فَاخْتَارَ اللَّهُ لَهُ الْهِجْرَةَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ إِلَى بَلَدِ الْأَنْصَارِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، كَمَا أَجْرَى اللَّهُ سُنَّته عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ وَالْأَكْمَلِ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ آوَوه ونَصرُوه وَحَاطُوهُ وَقَاتَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَكُلُّ هَذَا مِنْ حِفْظِ اللَّهِ لَهُ وَكِلَاءَتِهِ وَعِنَايَتِهِ بِهِ.

وَقَوْلُهُ: {وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى}[الضحى: ٧]قال البغوي يَعْنِي: ضَالًّا عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ {فَهَدَى} أَيْ: فَهَدَاكَ لِلتَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ، كَقَوْلِهِ: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشُّورَى: ٥٢] قَالَ الْحَسَنُ وَالضَّحَّاكُ وَابْنُ كَيْسَانَ: {وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى}[الضحى: ٧]عَنْ مَعَالِمِ النُّبُوَّةِ وَأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ غَافِلًا عَنْهَا، فَهَدَاكَ إِلَيْهَا، كَمَا قَالَ: {وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} [يوسف: ٣] وَقَوْلُهُ: {مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ} [الشورى: ٥٢].

وَقِيلَ: {وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى}[الضحى: ٧]قال ابن جرير: وَوَجَدَكَ عَلَى غَيْرِ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ ،عَنِ السُّدِّيِّ، {وَوَجَدَكَ ضَالًّا} [الضحى: ٧] قَالَ: كَانَ عَلَى أَمْرِ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَقِيلَ: عُنِيَ بِذَلِكَ: وَوَجَدَكَ فِي قَوْمِ ضُلَّالٍ فَهَدَاكَ.

وَقَوْلُهُ:{وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى}[الضحى: ٨] قال ابن جرير يَقُولُ: وَوَجَدَكَ فَقِيرًا فَأَغْنَاكَ، يُقَالُ مِنْهُ: عَالَ فُلَانٌ يَعِيلُ عَيْلَةً، وَذَلِكَ إِذَا افْتَقَرَ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: {عَائِلًا}: ذُو عِيَالٍ. (١)

قَوْلُهُ: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ}[الضحى: ٩] أَيْ: كَمَا كُنْتَ يَتِيمًا فَآوَاكَ اللَّهُ فَلَا تَقْهَرِ الْيَتِيمَ، أَيْ: لَا تُذِلَّهُ وَتَنْهَرْهُ وَتُهِنْهُ، وَلَكِنْ أحسِنْ إِلَيْهِ، وَتَلَطَّفْ بِهِ.

---

(١) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا ج٦ص١٧٢.

وقَوْلُهُ: {وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ}[الضحى: ١٠] يَقُولُ: وَأَمَّا مَنْ سَأَلَكَ مِنْ ذِي حَاجَةٍ فَلَا تَنْهَرْهُ، وَلَكِنْ أَطْعِمْهُ وَاقْضِ لَهُ حَاجَتَهُ {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}[الضحى: ١١] يَقُولُ: فَاذْكُرْهُ ،عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: مَا عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ فَحدث إِخْوَانَكَ، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: مَا جَاءَكَ اللَّهُ مِنْ نِعْمَةٍ وَكَرَامَةٍ مِنَ النُّبُوَّةِ فَحَدِّثْ بِهَا وَاذْكُرْهَا، وَادْعُ إِلَيْهَا، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ:{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}[الضحى: ١١]قَالَ: بِالنُّبُوَّةِ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: الْقُرْآنُ.

قَوْلِهِ:{فَحَدِّثْ}قَالَ مُحَمَّدٌ: يَقُولُ: بَلِّغْ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ وَحَدِّثْ بِالنُّبُوَّةِ وَهِيَ أَجَلُّ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ يَحْيَى ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْ شُكْرِ النِّعَمِ أَنْ يُحَدَّثَ بِهَا. (١)

وأخرج الترمذ ي في سننه بسنده، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ»،وقال : «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».[٢]

انتهى؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٨١/٢٤)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١٤٢/٥)، تفسير ابن كثير (٤٢٨/٨).

[٢] أخرجه الترمذي رقم (٢٨١٩)، وقال الألباني : حسن صحيح.

## ٩٤- سُورَةُ الشَّرْحِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُها ثَمَانٍ

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)}

قَوْلِهِ:{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ}[الشرح: ١] قال ابن جرير: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُذَكِّرَهُ آلاءَهُ عِنْدَهُ، وَإِحْسَانَهُ إِلَيْهِ، حَاضًّا لَهُ بِذَلِكَ عَلَى شُكْرِهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ، لِيَسْتَوْجِبَ بِذَلِكَ الْمَزِيدَ مِنْهُ: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ} يَا مُحَمَّدُ، لَلْهُدَى وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَمَعْرِفَةِ الْحَقِّ {صَدْرَكَ}فَنُلِينُ لَكَ قَلْبَكَ، وَنَجْعَلُهُ وِعَاءً لِلْحِكْمَةِ. وقَالَ الْبُخَارِيُّ: يُذْكَرُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} [الشرح: ١] شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ. (١)

قَوْلُهُ: {وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ}[الشرح: ٢] قال ابن جرير يَقُولُ: وَغَفَرْنَا لَكَ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكَ، وَحَطَطْنَا عَنْكَ ثِقَلَ أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي كُنْتَ فِيهَا،أي: قبل نبوتك، قَالَ مُجَاهِدٌ: {وِزْرَكَ} فِي الجَاهِلِيَّةِ، كقوله تعالي: **{لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ}** [الفتح: ٢].

قَوْلُهُ:{الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ}[الشرح: ٣] يَقُولُ: الَّذِي أَثْقَلَ ظَهْرَكَ فَأَوْهَنَهُ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ لِلْبَعِيرِ إِذَا كَانَ رَجِيعَ سَفَرٍ قَدْ أَوْهَنَهُ السَّفَرُ وَأَذْهَبَ لَحْمَهُ، هُوَ نَقْضُ سَفَرٍ.

وَقَوْلُهُ: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ}[الشرح: ٤] يَقُولُ: وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ، فَلَا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي، وَذَلِكَ قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَكَى الْبَغَوِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ: أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ الْأَذَانُ، يَعْنِي: ذِكْرَهُ فِيهِ، وَأَوْرَدَ مِنْ شِعْرِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ:

أغَرّ عَلَيه لِلْنُّبُوَّةِ خَاتَم ... مِنَ اللَّهِ مِنْ نُور يَلوحُ وَيشْهَد

وَضمَّ الإِلهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ ... إِذَا قَالَ فِي الخَمْسِ المؤذنُ: أشهدُ

وَشَقَّ لَهُ مِن اسْمِهِ لِيُجِلَّه ... فَذُو العَرْشِ محمودٌ وهَذا مُحَمَّدُ .

وَقَالَ آخَرُونَ: رَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخَرِينَ، وَنَوَّهَ بِهِ، حِينَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَأَنْ يَأْمُرُوا أُمَمَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِهِ، ثُمَّ شَهَرَ ذِكْرَهُ فِي أُمَّتِهِ فَلَا يُذكر اللَّهُ إِلَّا ذُكر مَعَهُ.

---

(١) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا (ج٦ص١٧٢).

وقَوْلُهُ:{فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}[الشرح: ٥] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم: فَإِنَّ مَعَ الشِّدَّةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا، مِنْ جِهَادِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ، وَمِنْ أَوَّلِهِ: مَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ، رَجَاءً وَفَرَجًا بِأَنْ يُظْفِرَكَ بِهِمْ، حَتَّى يَنْقَادُوا لِلْحَقِّ الَّذِي جِئْتَهُمْ بِهِ طَوْعًا وَكَرْهًا، وقَالَ الْبُخَارِيُّ: {مَعَ العُسْرِ يُسْرًا}، قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: أَيْ: مَعَ ذَلِكَ العُسْرِ يُسْرًا آخَرَ، كَقَوْلِهِ: **{هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ} [التوبة: ٥٢]** «وَلَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ». (١)

قَوْلُهُ: {فَإِنَّ مَعَ الْعسر يسرا}[الشرح: ٥] قيل: فَذَكَرَ الْعُسْرَ مَعَ الْأَلِفِ وَاللَّامِ، ثُمَّ ثَنَّى ذِكْرَهُ، فَصَارَ الْمَعْنَى: إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرَيْنِ.

وقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِاللُّغَةِ: إِنَّ النَّكِرَةَ إِذَا ثُنِّيَتْ كَانَتِ اثْنَتَيْنِ فَقَوْلُهُ يُسْرًا وَيُسْرًا يُسْرَانِ وَالْعُسْرُ وَالْعُسْرُ عُسْرٌ وَاحِدٌ، كَأَنَّهُ جَاءَ لِلتَّأْكِيدِ ،لِأَنَّهُ مَعْرِفَةٌ هَكَذَا قَالُوا أَوْ مَعْنَاهُ..[٢]

وقَوْلُهُ: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ}[الشرح: ٧] مَعْنَاهُ: فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ صَلَاتِكَ، فَانْصَبْ إِلَى رَبِّكَ فِي الدُّعَاءِ، وَسَلْهُ حَاجَاتِكَ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: {فَإِذَا فَرَغْتَ}: مِنْ صَلَاتِكَ {فَانْصَبْ}: فِي الدُّعَاءِ، وَقَالَ آخَرُونَ بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: {فَإِذَا فَرَغْتَ} مِنْ جِهَادِ عَدُوِّكَ {فَانْصَبْ} فِي عِبَادَةِ رَبِّكَ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: {فَانْصَبْ}: فِي حَاجَتِكَ إِلَى رَبِّكَ، عَنْ مُجَاهِدٍ {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ} قَالَ: إِذَا فَرَغْتَ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكَ فَانْصَبْ، فَصَلِّ، قال ابن جرير: وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ، أَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَجْعَلَ فَرَاغَهُ مِنْ كُلِّ مَا كَانَ بِهِ مُشْتَغِلًا، مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، مِمَّا أَدَّى لَهُ الشُّغْلَ بِهِ، وَأَمَرَهُ بِالشُّغْلِ بِهِ إِلَى النَّصَبِ فِي عِبَادَتِهِ، وَالِاشْتِغَالِ فِيمَا قَرَّبَهُ إِلَيْهِ، وَمَسْأَلَتِهِ حَاجَاتِهِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ بِذَلِكَ حَالًا مِنْ أَحْوَالِ فَرَاغِهِ دُونَ حَالٍ.

قَوْلُهُ: {وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ}[الشرح: ٨] أي: : وَإِلَى رَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ فَاجْعَلْ رَغْبَتَكَ، دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنْ خَلْقِهِ، إِذْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ قَدْ جَعَلُوا رَغْبَتَهُمْ فِي حَاجَاتِهِمْ إِلَى الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ (٣).

---

(١) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا (ج٦ص١٧٢).
[٢] انظر: الاستذكار لا بن عبد البر (٥/ ٢٠).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٤/٤٩٢)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٥/ ١٤٤)، معالم التنزيل للبغوي (٨/٤٦٤)، تفسير ابن كثير (٨/٤٢٩).

انتهى ؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

## ٩٥- سُورَةُ التِّينِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ

ففي الصحيحين عَنْ عَدِيٍّ، قَالَ: سَمِعْتُ البَرَاءَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي سَفَرٍ فَقَرَأَ فِي العِشَاءِ فِي إِحْدَى الرَّكْعَتَيْنِ: بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ» [التين: ١]. (١)

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}.

قَوْلُهُ:{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ}[التين: ١] قال ابن جرير: عُنِيَ بِالتِّينِ: التِّينُ الَّذِي يُؤْكَلُ، وَالزَّيْتُونِ: الَّذِي يُعْصَرُ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ التِّينُ وَالزَّيْتُونُ الَّذِي يَأْكُلُ النَّاسُ. (٢)

وقَوْلُهُ:{وَطُورِ سِينِينَ}[التين: ٢] هُوَ: جَبَلُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَمَسْجِدُهُ، وقال ابن كثير قَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى.

قَوْلُهُ:{وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ}[التين: ٣] يَقُولُ: وَهَذَا الْبَلَدِ الْآمِنِ مِنْ أَعْدَائِهِ أَنْ يُحَارِبُوا أَهْلَهُ، أَوْ يَغْزُوهُمْ، وَقِيلَ: {الْأَمِينُ} وَمَعْنَاهُ: الْآمِنُ، عَنْ قَتَادَةَ، {وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ} يَعْنِي: مَكَّةَ.

قال ابن كثير :وَقَالَ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ: هَذِهِ مَحَالٌّ ثَلَاثَةٌ، بَعَثَ اللَّهُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا نَبِيًّا مُرْسَلًا مِنْ أُولِي الْعَزْمِ أَصْحَابِ الشَّرَائِعِ الْكِبَارِ، فَالْأَوَّلُ: مَحَلَّةُ التِّينِ وَالزَّيْتُونِ، وَهِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ فِيهَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ.

وَالثَّانِي: طُورُ سِينِينَ، وَهُوَ طُورُ سَيْنَاءَ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ.

وَالثَّالِثُ: مَكَّةُ، وَهُوَ الْبَلَدُ الْأَمِينُ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ فِيهِ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم ، وَلِهَذَا أَقْسَمَ بِالْأَشْرَفِ، ثُمَّ الْأَشْرَفِ مِنْهُ، ثُمَّ بِالْأَشْرَفِ مِنْهُمَا.

وقَوْلُهُ:{لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[التين: ٤] قال البغوي أَيْ: أَعْدَلِ قَامَةٍ وَأَحْسَنِ صُورَةٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ خَلَقَ كُلَّ ذِي رُوحٍ مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ إِلَّا الْإِنْسَانَ خَلَقَهُ مَدِيدَ الْقَامَةِ، يَتَنَاوَلُ مَأْكُولَهُ بِيَدِهِ، مُزَيَّنًا بِالْعَقْلِ وَالتَّمْيِيزِ.

وقال ابن كثير:هَذَا هُوَ الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ، وَهُوَ أَنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٦٧)واللفظ له، مسلم برقم (٤٦٤).
(٢) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا ج٦ص١٧٢.

وَأَعْدَلِهَا.
و قَالَ الْبُخَارِيُّ: {فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}: فِي أَحْسَنِ خَلْقٍ. (١)
وقَوْلُهُ:{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[التين: ٥] قال ابن كثير أَيْ: إِلَى النَّارِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَالْحَسَنُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُهُمْ.
وذَلِكَ أنَّ النّارَ دَرَجاتٌ بَعْضُها أسْفَلُ مِن بَعْضٍ، فالكافِرُ يَرِدُ إلى أسْفَلِ الدَّرَجاتِ السّافِلَةِ، ولا يُنافِي هَذا قَوْلَهُ تَعالى: {إنَّ المُنافِقِينَ في الدَّرْكِ الأسْفَلِ مِنَ النّارِ} [النساء: ١٤٥] فَلا مانِعَ مِن كَوْنِ الكُفّارِ والمُنافِقِينَ مُجْتَمِعِينَ في ذَلِكَ الدَّرْكِ الأسْفَلِ.
وقَالَ ابن جرير: ثُمَّ رَدَدْنَاهُ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، إِلَى عُمُرِ الْخَرْفَى، الَّذِينَ ذَهَبَتْ عُقُولُهُمْ مِنَ الْهرمِ وَالْكِبَرِ، فَهُوَ فِي أَسْفَلَ مِنْ سَفَلٍ، فِي إِدْبَارِ الْعُمُرِ وَذَهَابِ الْعَقْلِ، فَلَمْ تَثْبُتْ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ حَسَنَةٌ ،وهو الراجح والله أعلم.
وقال البغوي:{ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[التين: ٥] نَكِرَةٌ تَعُمُّ الْجِنْسَ، كَمَا تَقُولُ: فَلَانٌ أَكْرَمُ قَائِمٍ فَإِذَا عَرَّفْتَ قُلْتَ: أَكْرَمُ الْقَائِمِينَ، وَفِي مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ "أَسْفَلَ السَّافِلِينَ" .
وقَوْلُهُ:{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}[التين: ٦] قال ابن عثيمين : هذا استثناءٌ من قوله: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}؛ يعني: إلا المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنَّهم لا يُرَدُّون إلى أسفل السافلين؛ لأنهم متمسِّكون بإيمانهم وأعمالهم، فيبقون عليها إلى أن يموتوا.
وقَوْلُهُ:{فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}[التين: ٦] قال ابن جرير مَعْنَاهُ: لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَنْقُوصٍ، كَمَا كَانَ لَهُ أَيَّامَ صِحَّتِهِ وَشَبَابِهِ.
وقَوْلُهُ:{فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}[التين: ٨] قَالَ الْبُخَارِيُّ: يُقَالُ:{فَمَا يُكَذِّبُكَ}فَمَا الَّذِي يُكَذِّبُكَ بِأَنَّ النَّاسَ يُدَانُونَ بِأَعْمَالِهِمْ؟ كَأَنَّهُ قَالَ: وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى تَكْذِيبِكَ بِالثَّوَابِ وَالعِقَابِ؟. (٢)
وَقَالَ بَعْضُهُمْ :{فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ}[التين: ٧] مَعْنَاهُ: فَمَنْ يُكَذِّبُكَ يَا مُحَمَّدُ بَعْدَ هَذِهِ الْحُجَجِ الَّتِي احْتَجَجْنَا بِهَا بِالدِّينِ، يَعْنِي: بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَمَا بَعَثَكَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ؟ قَالُوا: (مَا) فِي مَعْنَى (مَنْ)؛ لِأَنَّهُ عُنِيَ بِهِ ابْنُ آدَمَ، وَمَنْ بُعِثَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم،

---

(١) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا ج٤ص١٣١.
(٢) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٧٢.

وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: {فَمَا يُكَذِّبُكَ} أَيُّهَا الْإِنْسَانُ {بَعْدُ}هَذِهِ الْحُجَج {بِالدِّين}أي: فَمَنْ يُكَذِّبُكَ يَا مُحَمَّدُ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ مِنَ اللَّهِ {بِالدِّين}؟ يَعْنِي: بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَمُجَازَاتِهِ الْعِبَادَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، {بِالدِّينُ}قال ابن جرير: وَأَوْلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: الدِّينُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: الْجَزَاءُ وَالْحِسَابُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: كَمَا تَدِينُ تُدَانُ.

وقَوْلُهُ:{أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}[التين: ٨] قال ابن جرير: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَا مُحَمَّدُ بِأَحْكَم مِنْ حَكَمَ فِي أَحْكَامِهِ، وَفَصْلِ قَضَائِهِ بَيْنَ عِبَادِهِ؟ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَرَأَ ذَلِكَ فِيمَا بَلَغَنَا قَالَ: بَلَى(١).

وَالْمَعْنَى: أَلَا تَتَفَكَّرُ فِي صُورَتِكَ وَشَبَابِكَ وَهَرَمِكَ فَتَعْتَبِرُ، وَتَقُولُ: إِنَّ الَّذِي فَعَلَ ذَلِكَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَبْعَثَنِي وَيُحَاسِبَنِي، فَمَا الَّذِي يُكَذِّبُكَ بِالْمُجَازَاةِ بَعْدَ هَذِهِ الْحُجَجِ؟ {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}[التين: ٨] بِأَقْضَى الْقَاضِينَ.

انتهى ؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٠١/٢٤)، تفسير البغوي (٨/ ٤٧٣)، تفسير ابن كثير (٤٣٥/٨).

## ٩٦- سُورَةُ الْعَلَقِ{اقْرَأْ}مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا تِسْعَ عَشْرَةَ، وَهِيَ أَوَّلُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيم

ففي الصحيحين من حديث عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ- وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ} [العلق: ٢]» فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» ،فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ(١)، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ(٢)، وَتَقْرِي الضَّيْفَ(٣)، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ(٤)، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا(٥)، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَ

(١) تحمل الكل: تكفل اليتيم وتحمل ثقل العجزة.
(٢) تكسب المعدوم: تفوز بمعاونة الفقير وتتبرع بالمال لمن عدمه وتعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك.
(٣) تقري الضيف: تحسن إليه وتكرمه.
(٤) نوائب الحق: ما ينزل بالإنسان من حوادث ومصائب ،جمع نائبة.
(٥) قال ابن حجر في الفتح: وَالْجَذَعُ: بِفَتْحِ الْجِيمِ وَالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ هُوَ الصَّغِيرُ مِنَ الْبَهَائِمِ، كَأَنَّهُ تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ عِنْدَ ظُهُورِ الدُّعَاءِ إِلَى الْإِسْلَامِ شَابًّا لِيَكُونَ أَمْكَنَ لِنَصْرِهِ، وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ سِرُّ وَصْفِهِ بِكَوْنِهِ كَانَ كَبِيرًا أعمى. انظر: فتح الباري لابن حجر (٢٦/١).

مُخْرِجِيَّ هُمْ؟»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ. (١)وأخرج البخاري في صحيحه بسنده، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: " أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ} [العلق: ٢].(٢)

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ }

قَوْلُهُ:{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ}[العلق: ١] قال ابن جرير يَعْنِي : اقْرَأْ يَا مُحَمَّدُ بِذِكْرِ رَبِّكَ ، قال الشوكاني: قِيلَ البَاءُ لِلاسْتِعانَةِ: أيْ مُسْتَعِينًا باسِمِ رَبِّكَ، ووَصَفَ الرَّبَّ بِقَوْلِهِ: الَّذِي خَلَقَ لِتَذْكِيرِ النِّعْمَةِ لِأنَّ الخَلْقَ هو أعْظَمُ النِّعَمِ، وعَلَيْهِ يَتَرَتَّبُ سائِرُ النِّعَمِ.

وقال ابن عثيمين يعني: اقرأ مستعيناً باسم ربك دون أن يقول باسم الله ،لأن المقام مقام ربوبية وتصرف وتدبير للأمور وابتداء رسالة فلهذا قال: {باسم ربك} قَوْلُهُ:{الَّذِي خَلَقَ}[العلق: ١] يَعْنِي الْخَلَائِقَ، ولهذا قال: { خَلَقَ } وحذف المفعول إشارة للعموم؛ لأن حذف المفعول يفيد العموم، إذ لو ذكر المفعول لتقيد الفعل به، لو قال خلق كذا تقيد الخلق بما ذكر فقط، لكن إذا قال { خَلَقَ } وأطلق صار عامًّا فهو خالق كل شيء جل وعلا، ثُمَّ خص الله تعالى خلق الإنسان تكريماً للإنسان وتشريفاً له فَقَالَ: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ} يَعْنِي: خَلَقَ ابْنَ آدَمَ {مِنْ عَلَقٍ}[العلق: ٢] جَمْعِ عَلَقَة وَهِيَ الْقِطْعَة الْيَسِيرَة مِنْ الدَّم الْغَلِيظ {اقْرَأْ} كَرَّرَهُ تَأْكِيدًا، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ فَقَالَ: {وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ}[العلق: ٣] أي: الْحَلِيمُ عَنْ جَهْلِ الْعِبَادِ لَا يَعْجَلُ عَلَيْهِمْ بِالْعُقُوبَةِ.

قَوْلُهُ:{الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ}[العلق: ٤] يَعْنِي الْخَطَّ وَالْكِتَابَةَ، قَالَ قَتَادَةُ: الْقَلَمُ: نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَظِيمَةٌ، لَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَقُمْ، وَلَمْ يَصْلُحْ عَيْشٌ {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}[العلق: ٥] مِنْ أَنْوَاعِ الْهُدَى وَالْبَيَانِ، وَقِيلَ: عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، وَقِيلَ: الْإِنْسَانُ هَاهُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ بَيَانُهُ: لقوله

(١) أخرجه البخاري رقم (٣)، واللفظ له، ومسلم رقم (١٦٠).
(٢) أخرجه البخاري رقم (٤٩٥٥).

تعالي:{وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ} (النِّسَاءَ: ١١٣).
وَقَوْلُهُ: {كَلَّا} يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ ، وَقَوْلُهُ: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} [العلق: ٧]قال ابن جرير يَقُولُ: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَتَجَاوَزُ حَدَّهُ، وَيَسْتَكْبِرُ عَلَى رَبِّهِ، فَيَكْفُرُ بِهِ، لِأَنْ رَأَى نَفْسَهُ اسْتَغْنَتْ.
قال ابن كثير: ثُمَّ تهدده وَتَوَعَّدَهُ وَوَعَظَهُ فَقَالَ: {إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى}[العلق: ٨] أَيْ: إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ وَالْمَرْجِعُ، وَسَيُحَاسِبُكَ عَلَى مَالِكِ: مِنْ أَيْنَ جَمَعْتَهُ؟ وَفِيمَ صَرَفْتَهُ؟.
قَالَ الْبُخَارِيُّ قَالَ مَعْمَرٌ: {الرُّجْعَى}: المَرْجِعُ. (١)
قَوْلُهُ: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى *عَبْدًا إِذَا صَلَّى}[العلق: ٩-١٠] نَزَلَتْ فِي أَبِي جَهْلٍ، نَهَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنِ الصَّلَاةِ.
أخرج البخاري في صحيحه بسنده، عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الكَعْبَةِ لَأَطَأَنَّ عَلَى عُنُقِهِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «لَوْ فَعَلَهُ لَأَخَذَتْهُ المَلاَئِكَةُ». (٢)
وقَوْلُهُ:{أَرَأَيْتَ إِنَّ كَانَ} الْمَنْهِيّ {عَلَى الْهُدَى}[العلق: ١١] أي: فما أظنك إِن كَانَ هَذَا الَّذِي تَنْهَاهُ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمَةِ فِي فِعْلِهِ {أَوْ} لِلتَّقْسِيمِ {أَمَرَ بِالتَّقْوَى}[العلق: ١٢] بِقَوْلِهِ وَأَنْتَ تَزْجُرُهُ وَتَتَوَعَّدُهُ عَلَى صِلَاتِهِ؟.
قَوْلُهُ:{أَرَأَيْتَ إِنَّ كَذَّبَ} أَبُو جَهْلٍ بِالْحَقِّ الَّذِي بَعَثَ بِهِ مُحَمَّدًا {وَتَوَلَّى}[العلق: ١٣] يَقُولُ: وَأَدْبَرَ عَنْهُ، فَلَمْ يُصَدِّقْ بِهِ {أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}[العلق: ١٤] أَيْ: أَمَا عَلِمَ هَذَا النَّاهِي لِهَذَا الْمُهْتَدِي أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ، وَسَيُجَازِيهِ عَلَى فِعْلِهِ أَتَمَّ الْجَزَاءِ.
وَقَوْلُهُ: {كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ} [العلق: ١٥] قال ابن جرير يَقُولُ: لَيْسَ كَمَا قَالَ: إِنَّهُ يَطَأُ عُنُقَ مُحَمَّدٍ، يَقُولُ: لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ.
قَوْلُهُ: {لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ} [الأحزاب: ٦٠] ، يَقُولُ: {لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ} [الأحزاب: ٦٠] أَبُو جَهْلٍ عَنْ مُحَمَّدٍ {لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ} [العلق: ١٥] يَقُولُ: لَنَأْخُذَنْ بِمُقَدَّمِ رَأْسِهِ، فَلَنَضُمَّنَّهُ وَلَنُذِلَّنَّهُ؛ يُقَالُ مِنْهُ: سَفَعْتُ بِيَدِهِ: إِذَا أَخَذْتُ بِيَدِهِ ، وَقِيلَ: إِنَّمَا قِيلَ: {لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ} [العلق: ١٥] وَالْمَعْنَى: لَنُسَوِّدَنَّ وَجْهَهُ، فَاكْتَفَى بِذِكْرِ النَّاصِيَةِ مِنَ الْوَجْهِ كُلِّهِ، إِذْ كَانَتِ النَّاصِيَةُ فِي مُقَدَّمِ

(١) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٧٣.
(٢) أخرجه البخاري رقم (٤٩٥٨).

الْوَجْهِ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: {لَنَسْفَعَنْ}: قَالَ: لَنَأْخُذَنْ(١).
وَقِيلَ: مَعْنَى ذَلِكَ: لَنَأْخُذَنَّ بِنَاصِيَتِهِ إِلَى النَّارِ، كَمَا قَالَ: {فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ} [الرحمن: ٤١].
ثُمَّ قَالَ: {نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ}[العلق: ١٦]قال ابن كثير يَعْنِي: نَاصِيَةَ أَبِي جَهْلٍ كَاذِبَةً فِي مَقَالِهَا خَاطِئَةً فِي فعَالها.
وقَوْلُهُ:{فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ}[العلق: ١٧] أَيْ: قَوْمَهُ وَعَشِيرَتَهُ أَيْ لِيَدَعُهُمْ يَسْتَنْصِرُ بِهِمْ! لِأَنَّ أَبَا جَهْلٍ لَمَّا نَهَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصَّلَاةِ عِنْدَ الْمَقَامِ، انْتَهَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَغْلَظَ لَهُ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: عَلَامَ يَتَوَعَّدُنِي مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَكْثَرُ أَهْلِ الْوَادِي نَادِيًا؟ فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: {سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ}[العلق: ١٨] جَمْعُ زِبْنِيٍّ مَأْخُوذٌ مِنَ الزِّبْنِ وَهُوَ الدَّفْعُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ زَبَانِيَةَ جَهَنَّمَ سَمُّوا بِهَا لِأَنَّهُمْ يَدْفَعُونَ أَهْلَ النَّارِ إِلَيْهَا، قَالَ الزَّجَّاجُ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ الْغِلَاظُ الشِّدَادُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ اللَّهِ، وَهُمْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، حَتَّى يَعْلَمَ مَنْ يغلبُ: أحزبُنا أَوْ حِزْبُهُ ،ثُمَّ قَالَ: {كَلَّا} لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا عَلَيْهِ أَبُو جَهْلٍ، {لَا تُطِعْهُ } يَعْنِي: يَا مُحَمَّدُ، لَا تُطِعْهُ فِيمَا يَنْهَاكَ عَنْهُ مِنَ الْمُدَاوَمَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَكَثْرَتِهَا، وصلِّ حَيْثُ شِئْتَ وَلَا تُبَالِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ حَافِظُكَ وَنَاصِرُكَ، وَهُوَ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، {وَاسْجُدْ} صلِّ لِلَّهِ {وَاقْتَرِبْ}[العلق: ١٩] مِنَ اللَّهِ، بِالتَّحَبُّبِ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ، فَإِنَّ أَبَا جَهْلٍ لَنْ يَقْدِرَ عَلَى ضَرِّكَ، وَنَحْنُ نَمْنَعُكَ مِنْهُ(٢).
كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ -عِنْدَ مُسْلِمٍ- بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ».[٣]
انتهى ، والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

(١) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٧٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري (٥٢٧/٢٤)، تفسير البغوي (٤٨١/٨)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٩) ،تفسيرالجلالين (ص٨١٤)، تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٢٥٧).
[٣] أخرجه مسلم رقم (٤٨٢) .

## ٩٧- سُورَةُ الْقَدْرِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْسٌ

في الصحيحين منْ حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ القَدْرِ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».(١)

وفي الصحيحين، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، أُرُوا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي المَنَامِ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ»(٢).

وفي الصحيحين، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوِتْرِ، مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»(٣).

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٤).

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا سَعِيدٍ، وَكَانَ لِي صَدِيقًا فَقَالَ: اعْتَكَفْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم العَشْرَ الأَوْسَطَ مِنْ رَمَضَانَ، فَخَرَجَ صَبِيحَةَ عِشْرِينَ فَخَطَبَنَا، وَقَالَ: «إِنِّي أُرِيتُ لَيْلَةَ القَدْرِ، ثُمَّ أُنْسِيتُهَا - أَوْ نُسِّيتُهَا - فَالْتَمِسُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ فِي الوَتْرِ، وَإِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ، فَمَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَلْيَرْجِعْ»، فَرَجَعْنَا وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، فَجَاءَتْ سَحَابَةٌ فَمَطَرَتْ حَتَّى سَالَ سَقْفُ المَسْجِدِ، وَكَانَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ، وَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَسْجُدُ فِي المَاءِ وَالطِّينِ، حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ الطِّينِ فِي جَبْهَتِهِ.(٥)

---

(١) أخرجه البخاري رقم(٣٥)واللفظ له، ومسلم رقم(٧٦٠) (من يقم ليلة القدر) يحييها بالصلاة وغيرها من القربات. (إيمانا) تصديقا بأنها حق. (واحتسابا) يريد وجه الله تعالى لا رياء ويحتسب الأجر عنده ولا يرجو ثناء الناس.

(٢) أخرجه البخاري رقم(٢٠١٥) واللفظ له، أخرجه مسلم رقم (١١٦٥).

(٣) أخرجه البخاري رقم(٢٠١٧واللفظ له، أخرجه مسلم رقم (١١٦٩].

(٤) أخرجه البخاري رقم(٢٠١٤).

(٥) أخرجه البخاري رقم (٢٠١٦).

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «التَمِسُوهَا فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ لَيْلَةَ القَدْرِ، فِي تَاسِعَةٍ تَبْقَى، فِي سَابِعَةٍ تَبْقَى، فِي خَامِسَةٍ تَبْقَى» (١).

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{إِنَّا أَنزلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنزلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)}قَوْلُهُ: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [القدر: ١] قال ابن كثير: يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **{إِنَّا أَنزلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ} [الدُّخَانِ: ٣]** وَهِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَهِيَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} [الْبَقَرَةِ: ١٨٥]**، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ العِزّة مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ مُفَصَّلًا بِحَسْبِ الْوَقَائِعِ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً على رسول الله ﷺ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُعَظِّما لِشَأْنِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، الَّتِي اخْتَصَّهَا بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِيهَا.

وَقِيلَ:{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}[القدر: ١] سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِعَظِيمِ قَدْرِهَا وَشَرَفِهَا، مِنْ قَوْلِهِمْ: لِفُلَانٍ قَدْرٌ، أَيْ: شَرَفٌ وَمَنْزِلَةٌ، كَذَا قَالَ الزُّهْرِيُّ، وَقِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ لِلطَّاعَاتِ فِيهَا قَدْرًا عَظِيمًا وَثَوَابًا جَزِيلًا(٢).

قَالَ الْبُخَارِيُّ: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ}: الهَاءُ كِنَايَةٌ عَنِ القُرْآنِ، {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ}: خَرَجَ مَخْرَجَ الجَمِيعِ، وَالمُنْزِلُ هُوَ اللَّهُ، وَالعَرَبُ تُوَكِّدُ فِعْلَ الوَاحِدِ فَتَجْعَلُهُ بِلَفْظِ الجَمِيعِ، لِيَكُونَ أَثْبَتَ وَأَوْكَدَ . (٣).

وقَوْلُهُ:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ} [القدر: ٢] قال ابْنُ عَثيمين: فهذه الصيغة تعني التفخيم والتعظيم، أي: ما أعلمكَ ليلةَ القدر وشأنها وشرفها وعِظَمَها؟!.

وقَوْلُهُ:{لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ} [القدر: ٣] قَالَ: «عَمَلُهَا وَصِيَامُهَا وَقِيَامُهَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» ، والمراد بالخيريَّة هنا ثوابُ العملِ فيها، وما يُنْزِل الله تعالى فيها من الخير والبركة على هذه الأُمَّة.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٠٢١).
(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٧٥)،.
(٣) ذكره البخاري تعليقا ج٦ ص١٧٥.

وقَوْلُهُ:{تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ}قال ابن كثير أَيْ: يَكْثُرُ تَنَزُّلُ الْمَلَائِكَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لِكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا، وَالْمَلَائِكَةُ يَتَنَزَّلُونَ مَعَ تَنَزُّلِ الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ، كَمَا يَتَنَزَّلُونَ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ،يُحِيطُونَ بِحِلَقِ الذِّكْرِ، وَيَضَعُونَ أَجْنِحَتَهُمْ لِطَالِبِ العلم تَعْظِيمًا لَهُ،{وَالرُّوحُ فِيهَا} [القدر: ٤] وَأَمَّا الرُّوحُ فَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ ههنا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،وَقِيلَ: هُمْ ضَرْبٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وقَوْلُهُ:{بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ} [القدر: ٤] يَعْنِي بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ قَضَاهُ اللَّهُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، مِنْ رِزْقٍ وَأَجَلٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، كَقَوْلِهِ: **{يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} (الرَّعْد-١١)** أَيْ بِأَمْرِ اللَّهِ. {سَلَامٌ} قَالَ عَطَاءٌ: يُرِيدُ: سَلَامٌ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَهْلِ طَاعَتِهِ، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: هُوَ تَسْلِيمُ الْمَلَائِكَةِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَلَى أَهْلِ الْمَسَاجِدِ مِنْ حَيْثُ تَغِيبُ الشَّمْسُ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ،عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: {سَلَامٌ} هِيَ قَالَ: سَالِمَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَعْمَلَ فِيهَا سُوءًا أَوْ يَعْمَلَ فِيهَا أَذى{هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر: ٥] قَالَ الْبُخَارِيُّ: يُقَالُ: المَطْلَعُ: هُوَ الطُّلُوعُ، وَالمَطْلِعُ: المَوْضِعُ الَّذِي يُطْلَعُ مِنْهُ(١)، وقيل: سَلَامٌ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ مِنْ لَيْلَتِهَا(٢).

انتهى ، والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

(١) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٧٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري (٥٤٨/٢٤)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٥/ ١٤٩)، تفسير البغوي (٤٩١/٨)، تفسير ابن كثير (٤٤١/٨).

## ٩٨- سُورَةُ الْبَيِّنَةِ مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَان

في الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُبَيٍّ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} [البينة: ١] قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَبَكَى.(١)

قال النووي في الشرح: وَفِي رِوَايَةٍ فجعل يَبْكِي،أَمَّا بُكَاؤُهُ فَبُكَاءُ سُرُورٍ وَاسْتِصْغَارٍ لِنَفْسِهِ عَنْ تَأْهِيلِهِ لِهَذِهِ النِّعْمَةِ وَإِعْطَائِهِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ،وَالنِّعْمَةُ فِيهَا مِنْ وَجْهَيْنِ،أَحَدُهُمَا كَوْنُهُ مَنْصُوصًا عَلَيْهِ بِعَيْنِهِ، وَلِهَذَا قَالَ وَسَمَّانِي،مَعْنَاهُ نَصَّ عَلَيَّ بِعَيْنِي، أَوْ قَالَ اقْرَأْ عَلَى وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ، قَالَ بَلْ سَمَّاكَ فَتَزَايَدَتِ النِّعْمَةُ، وَالثَّانِي قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّهَا مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لَهُ لَمْ يُشَارِكْهُ فِيهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ.(٢)

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١)}

قَوْلُهُ:{لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ }[البينة: ١] قال ابن كثير: أَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ فَهُمْ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَالْمُشْرِكُونَ: عَبَدَةُ الْأَوْثَانِ وَالنِّيرَانِ، مِنَ الْعَرَبِ وَمِنَ الْعَجَمِ.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُفْتَرِقِينَ فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ، وَهِيَ إِرْسَالُ اللَّهِ إِيَّاهُ رَسُولًا إِلَى خَلْقِهِ، رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ. وَقَوْلُهُ {مُنْفَكِّينَ} أَيْ: مُنْتَهِينَ عَنْ كُفْرِهِمْ، وقيل: {مُنْفَكِّينَ} أي: مُنْتَهِينِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ هَذَا الْقُرْآنُ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: {مُنْفَكِّينَ}: زَائِلِينَ(٣).

وقِيلَ: مُنْفَكِّينَ بارِحِينَ، أيْ: لَمْ يَكُونُوا لِيَبْرَحُوا أوْ يُفارِقُوا الدُّنْيا حَتّى تَأْتِيَهُمُ البَيِّنَةُ ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: {مُنْفَكِّينَ} قَالَ: «لَمْ يَكُونُوا لِيَنْتَهُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ»{حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ}[البينة: ١] فَقَالَ: حَتَّى يَأْتِيَهُمْ بَيَانُ أَمْرِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، بِبَعْثِهِ اللَّهُ إِيَّاهُ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ تَرْجَمَ عَنِ الْبَيِّنَةِ، فَقَالَ: تِلْكَ الْبَيِّنَةُ، {رَسُول من الله}[البينة: ٢] وَهُوَ: مُحَمَّد ﷺ، لِأنَّهُ في نَفْسِهِ بَيِّنَةٌ وحُجَّةٌ ولِذَلِكَ سَمّاهُ سِراجًا مُنِيرًا.

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٨٠٩ )، واللفظ له، وأخرجه مسلم رقم (٧٩٩).
(٢) انظر:شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢١).
(٣) ذكره البخاري تعليقا ج٦ص١٧٥.

قَوْلُهُ:{ يَتْلُو صُحُفًا } يَعْنِي: الْقُرْآن { مُطَهَّرَةً }[البينة: ٢] من الشّرك وَالْكفْر، ، والمَعْنى: أنَّهُ يَقْرَأُ ما تَتَضمَّنُهُ الصُّحُفُ مِنَ المَكْتُوبِ فِيها لِأنَّهُ كانَ ﷺ يَتْلُو عَنْ ظَهْرِ قَلْبِهِ، لا عَنْ كِتابٍ ،{فِيهَا} أَيْ: فِي الصُّحُفِ، {كُتُبٌ} يَعْنِي الْآيَاتِ وَالْأَحْكَامِ الْمَكْتُوبَةِ فِيهَا، {قَيِّمَةٌ} عَادِلَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ غَيْرُ ذَاتِ عِوَجٍ، لِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

وقَوْلُهُ:{وَمَا تَفرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ}[البينة: ٤] يَقُولُ: وَمَا تَفَرَّقَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَكَذَّبُوا بِهِ، إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ، يَعْنِي: مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى {الْبَيِّنَةُ} يَعْنِي: بَيَانَ أَمْرِ مُحَمَّدٍ، أَنَّهُ رَسُولٌ بِإِرْسَالِ اللَّهِ إِيَّاهُ إِلَى خَلْقِهِ؛ يَقُولُ: فَلَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ تَفَرَّقُوا فِيهِ، فَكَذَّبَ بِهِ بَعْضُهُمْ، وَآمَنَ بَعْضُهُمْ، وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ غَيْرَ مُفْتَرِقِينَ فِيهِ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وخَصَّ أهْلَ الكِتابِ، وإنْ كانَ غَيْرُهم مِثْلَهم في التَّفَرُّقِ بَعْدَ مَجِيءِ البَيِّنَةِ لِأنَّهم كانُوا أهْلَ عِلْمٍ.

وقَوْلُهُ:{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ}[البينة: ٥] وَمَا أَمَرَ اللَّهُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، يَقُولُ: مُفْرِدِينَ لَهُ الطَّاعَةَ، لَا يَخْلِطُونَ طَاعَتَهُمْ رَبَّهُمْ بِشِرْكٍ، فَأَشْرَكَتِ الْيَهُودُ بِرَبِّهَا بِقَوْلِهِمْ إِنَّ عُزَيْرًا ابْنُ اللَّهِ، وَالنَّصَارَى بِقَوْلِهِمْ فِي الْمَسِيحِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَجُحُودِهِمْ نُبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، {وَمَا أُمِرُوا} يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ، {إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ} يَعْنِي إِلَّا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وحده {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}[البينة: ٥] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا أُمِرُوا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ فِي الْعِبَادَةِ لِلَّهِ مُوَحِّدِينَ، {حُنَفَاءَ}[البينة: ٥] مَائِلِينَ عَنِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا إِلَى دِينِ الْإِسْلَامِ، وَالْحَنِيفُ فِي تَفْسِيرِ الْحَسَنِ: الْمخْلِصُ {وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ} الْمَكْتُوبَةَ فِي أَوْقَاتِهَا {وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ} عِنْدَ مَحَلِّهَا، و يُقِرُّونَ بِهَا ، وخَصَّ الصَّلاةَ والزَّكاةَ لِأنَّهُما مِن أعْظَمِ أرْكانِ الدِّينِ.

وقَوْلُهُ:{وَذَلِكَ} الَّذِي أُمِرُوا بِهِ {دِينُ الْقَيِّمَةِ} أَي: الْمِلَّةُ وَالشَّرِيعَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ.

وقَوْلُهُ:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ}[البينة: ٦] كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَجَحَدُوا نُبُوَّتَهُ، مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمُشْرِكِينَ جَمِيعِهِمْ {فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا}[البينة: ٦] يَقُولُ: مَاكِثِينَ لَابِثِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا، وَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا {أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ}[البينة: ٦] أي: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ، هُمْ شَرُّ مَنْ بَرَأَهُ اللَّهُ وَخَلَقَهُ.

وقَوْلُهُ: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}[البينة: ٧] بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ، وَعَبَدُوا اللهَ

مُخْلِصِينَ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ، وَأَطَاعُوا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَى {أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ}[البينة: ٧] يَقُولُ: مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنَ النَّاسِ فَهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ.

وَقَدِ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ أَبُو هُرَيْرَةَ وَطَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، عَلَى تَفْضِيلِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْبَرِيَّةِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ؛ لِقَوْلِهِ: {أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ}[البينة: ٧]يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ثَوَابُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ {جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ}[البينة: ٨] يَوْمَ الْقِيَامَةِ {جَنَّاتُ عَدْنٍ} يَعْنِي: بَسَاتِينَ إِقَامَةٍ لَا ظَعْنَ فِيهَا، والمُرادُ بِجَنّاتِ عَدْنٍ هي أَوْسَطُ الجَنّاتِ وأَفْضَلُها، كما في قوله تعالي: **{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ}**(فاطر:٣٣).

قَوْلُهُ:{تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}[البينة: ٨] تَحْتِ أَشْجَارِهَا الْأَنْهَارُ يَقُولُ: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}[البينة: ٨] يقول: مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا، لَا يَخْرُجُونَ عَنْهَا، وَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا {رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ}[البينة: ٨] بِمَا أَطَاعُوهُ فِي الدُّنْيَا، وَعَمِلُوا لِخَلَاصِهِمْ مِنْ عِقَابِهِ فِي ذَلِكَ، وَمَقَامُ رِضَاهُ عَنْهُمْ أَعْلَى مِمَّا أُوتُوهُ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، {وَرَضُوا عَنْهُ}[البينة: ٨] فِيمَا مَنَحَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ الْعَمِيمِ.

وَقِيلَ: الرِّضَا يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: رِضًا بِهِ وَرِضًا عَنْهُ، فَالرِّضَا بِهِ: رَبًّا وَمُدَبِّرًا، وَالرِّضَا عَنْهُ: فِيمَا يَقْضِي وَيُقَدِّرُ،قَالَ السُّدِّيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: إِذَا كُنْتَ لَا تَرْضَى عَنِ اللَّهِ فَكَيْفَ تَسْأَلُهُ الرِّضَا عَنْكَ؟.

قَوْلُهُ:{ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ}[البينة: ٨] يَقُولُ: لِمَنْ خَافَ اللَّهَ فِي الدُّنْيَا فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ، فَاتَّقَاهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ ،وهَذَا الْجَزَاءُ حَاصِلٌ لِمَنْ خَشِيَ اللَّهَ وَاتَّقَاهُ حَقَّ تَقْوَاهُ، وَعَبَدَهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَرَهُ فَإِنَّهُ يَرَاهُ (١).

انتهي؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٥٨/٢٤)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١٥١/٥)، تفسير البغوي (٨/ ٤٩٧)، تفسير ابن كثير (٤٥٦/٨)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٨١).

## ٩٩- سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ مَدَنِيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)}

قَوْلُهُ:{إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا}[الزلزلة: ١] يَعْنِي: تَحَرَّكَتْ مِنْ نَواحِيهَا كُلِّهَا؛ وَذَلِكَ يَوْم الْقِيامَة، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: لَقِيَامِ السَّاعةِ فَرُجِّتْ رَجًّا؛ وَأُضِيفَ الزِّلْزَالُ إِلَى الْأَرْضِ وَهُوَ صِفَتُهَا{زِلْزَالَهَا} تَحْرِيكهَا الشَّدِيد الْمُنَاسِب لِعَظَمَتِهَا.

قَوْلُهُ:{ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا}[الزلزلة: ٢] يَقُولُ: وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْمَوْتَى أَحْيَاءً، وَالْمَيِّتُ فِي بَطْنِ الْأَرْضِ ثُقْلٌ لَهَا، وَهُوَ فَوْقَ ظَهْرِهَا حَيًّا ثُقْلٌ عَلَيْهَا.

قَوْلُهُ:{وَقَالَ الْإِنْسَان} الْكَافِرِ بِالْبَعْثِ {مَا لَهَا}[الزلزلة: ٣] إِنْكَارًا لتلك الحالة{يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا}[الزلزلة: ٤] أَيْ: تُحَدِّثُ بِمَا عَمِلَ الْعَامِلُونَ عَلَى ظَهْرِهَا {يَوْمئِذٍ} بَدَل مِنْ إِذَا وَجَوابهَا {تُحَدِّث أَخْبارهَا} تُخْبِر بِمَا عُمِلَ عَلَيْهَا مِنْ خَيْر وَشَرّ {بِأَنَّ رَبَّك أَوْحَى لَهَا}[الزلزلة: ٥] قَالَ الْبُخَارِيُّ: أَوْحَى لَهَا وَأَوْحَى إِلَيْهَا، وَوَحَى لَهَا وَوَحَى إِلَيْهَا: وَاحِدٌ(١)، وَكَذَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {أَوْحَى لَهَا} أَيْ: أَوْحَى إِلَيْهَا، وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا مُضَمَّن بِمَعْنَى: أَذِنَ لَهَا.

قَوْلُهُ:{يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا}[الزلزلة: ٦] عَنْ مَوْقِفِ الْحِسَابِ فِرَقًا مُتَفَرِّقِينَ، فَآخِذٌ ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَآخِذٌ ذَاتَ الشِّمَالِ إِلَى النَّارِ .

قَوْلُهُ: {لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ}[الزلزلة: ٦] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِيُرَوْا جَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ عَنِ الْمَوْقِفِ فِرَقًا لِيَنْزِلُوا مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَرَى الْمُحْسِنُ فِي الدُّنْيَا، الْمُطِيعُ لِلَّهِ عَمَلَهُ وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْكَرَامَةِ، عَلَى طَاعَتِهِ إِيَّاهُ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، وَيَرَى الْمُسِيءُ الْعَاصِي لِلَّهِ عَمَلَهُ، وَجَزَاءَ عَمَلِهِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْهَوَانِ وَالْخِزْيِ فِي جَهَنَّمَ، عَلَى مَعْصِيَتِهِ إِيَّاهُ كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، وَكُفْرِهِ بِهِ {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ}[الزلزلة: ٧] يَقُولُ: فَمَنْ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا وَزْنَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، يَرَى ثَوَابَهُ هُنَالِكَ، وَأَنَّ الْكَافِرَ لَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ مَا سَلَفَ لَهُ مِنْ إِحْسَانٍ فِي الدُّنْيَا مَعَ كُفْرِهِ .

(١) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا ج٦ص١٧٥.

قَوْلُهُ:{وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[الزلزلة: ٧] يَقُولُ: وَمَنْ كَانَ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا وَزْنَ ذَرَّةٍ مِنْ شَرٍّ يَرَى جَزَاءَهُ هُنَالِكَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} [الزلزلة: ٧] قَالَ: " لَيْسَ مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ عَمِلَ خَيْرًا وَلَا شَرًّا فِي الدُّنْيَا، إِلَّا أَتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُرِيهِ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ، فَيَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَرُدُّ حَسَنَاتِهِ، وَيُعَذِّبُهُ بِسَيِّئَاتِهِ.

وَقِيلَ: أَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيُعَجِّلُ لَهُ عُقُوبَةُ سَيِّئَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، وَيُؤَخِّرُ لَهُ ثَوَابُ حَسَنَاتِهِ، وَالْكَافِرُ يُعَجِّلُ لَهُ ثَوَابُ حَسَنَاتِهِ، وَيُؤَخِّرُ لَهُ عُقُوبَةُ سَيِّئَاتِهِ ".

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَحْكَمُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[الزلزلة: ٧] (١).

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَمِّيهَا الْجَامِعَةَ الْفَاذَّةَ حِينَ سُئِلَ عَنْ زَكَاةِ الْحُمُرِ فَقَالَ: "مَا أُنْزِلَ عَلِيَّ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ الْجَامِعَةُ {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[الزلزلة: ٧][٢].

انتهى؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٦٢/٢٤)، تفسير البغوي (٨/ ٥٠٣)، تفسير ابن كثير (٤٦١/٨) تفسير الجلالين (ص: ٨١٧).

[٢] أخرجه البخاري رقم (٢٣٧١) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ له ، ومسلم برقم (٩٨٧)

## ١٠٠- سُورَةُ الْعَادِيَاتِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ(٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (١١)}

قَوْلُهُ:{وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} [العاديات: ١] قال ابن كثير: يُقْسِمُ تَعَالَى بِالْخَيْلِ إِذَا أُجْرِيَتْ فِي سَبِيلِهِ فَعَدت ،والضَّبْحُ: أَصْوَاتُ أَنْفَاسِ الْخَيْلِ إذا عَدَوْن، والخَيْلُ تَضْبَحُ في عَدْوِها ضَبْحاً: تَسْمَعُ من أجْوَافِها صَوْتاً.

قَوْلُهُ: {فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا}[العاديات: ٢] يَعْنِي: اصْطِكَاكَ نِعَالِهَا لِلصَّخْرِ فَتَقْدَحُ مِنْهُ النَّارَ، وهو قول ابْنُ جَرِير.

قَوْلُهُ: {فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا}[العاديات: ٣] يَعْنِي: الْإِغَارَةَ وَقْتَ الصَّبَاحِ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُغِيرُ صَبَاحًا وَيَتَسَمَّعُ أَذَانًا، فَإِنَّ سَمِعَ وَإِلَّا أَغَارَ.

قَوْلُهُ: {فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا} [العاديات: ٤] يَعْنِي: غُبَارًا فِي مَكَانِ مُعْتَرَكِ الْخُيُولِ،{فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا}[العاديات: ٥] أَيْ: تَوَسَّطْنَ ذَلِكَ الْمَكَانَ كُلُّهن جُمَعَ.

وقال البغوي قَوْلُهُ:{فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا} أَيْ: دَخَلْنَ بِهِ وَسَطَ جَمْعِ الْعَدُوِّ، وَهُمُ الْكَتِيبَةُ.

قَوْلُهُ: {إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}[العاديات: ٦] بِمَعْنَى: أَنَّهُ لِنِعَمِ رَبِّهِ لَجَحُودٌ كَفُورٌ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ مُجَاهِدٌ: {الْكَنُودُ}: الكَفُورُ(١)، قَالَ الْحَسَنُ: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} يَقُولُ: «لَوَّامٌ لِرَبِّهِ يَعُدُّ الْمَصَائِبَ».

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: {الْكَنُودُ}الَّذِي أَنْسَتْهُ الْخَصْلَةُ، الْوَاحِدَةُ مِنَ الْإِسَاءَةِ الْخِصَالَ الْكَثِيرَةَ مِنَ الْإِحْسَانِ.

وقَوْلُهُ:{وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ}[العاديات: ٧] أيْ: وإِنَّ الإنْسانَ عَلى كُنُودِهِ لَشَهِيدٌ يَشْهَدُ عَلى نَفْسِهِ بِهِ لِظُهُورِ أثَرِهِ عَلَيْهِ، وقِيلَ المَعْنى: وإنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَناؤُهُ عَلى ذَلِكَ مِنِ ابْنِ آدَمَ لَشَهِيدٌ، وبِهِ قالَ الجُمْهُورُ.

وَقَوْلُهُ: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ}[العاديات: ٨] قال ابن كثير أَيْ: وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ -

---

(١) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا ج٦ص١٧٦.

وَهُوَ: الْمَالُ-لَشَدِيدٌ، وَفِيهِ مَذْهَبَانِ:
أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمَعْنَى: وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ الْمَحَبَّةِ لِلْمَالِ.
وَالثَّانِي: وَإِنَّهُ لَحَرِيصٌ بَخِيلٌ؛ مِنْ مَحَبَّةِ الْمَالِ، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ.
وقال ابن جرير أي: وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِحُبِّ الْمَالِ لَشَدِيدٌ، وقيل: وَإِنَّهُ مِنْ أَجْلِ حُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ، أَيْ: لَبَخِيلٌ؛ قَالَ: يُقَالُ لِلْبَخِيلِ: شَدِيدٌ وَمُتَشَدِّدٌ.
وقَوْلُهُ: {أَفَلَا يَعْلَمُ}[العاديات: ٩] أَيْ: أَفَلَا يَعْلَمُ هَذَا الْإِنْسَانُ، {إِذَا بُعْثِرَ} أَيْ: أُثِيرَ وَأُخْرِجَ، {مَا فِي الْقُبُورِ}[العاديات: ٩] مِنَ الْمَوْتَى،{وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ}[العاديات: ١٠] أَيْ: مُيِّزَ وَأُبْرِزَ مَا فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.
وقَوْلُهُ: {إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ} [العاديات: ١١] يَقُولُ: إِنَّ رَبَّهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ، وَمَا أَسَرُّوا فِي صُدُورِهِمْ، وَأَضْمَرُوهُ فِيهَا، وَمَا أَعْلَنُوهُ بِجَوَارِحِهِمْ مِنْهَا، عَلِيمٌ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ يَوْمَئِذٍ(١).
انتهى؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٧٠/٢٤)، تفسير البغوي (٥٠٨/٨)، تفسير ابن كثير (٤٦٧/٨) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٨٧).

## ١٠١- سُورَةُ الْقَارِعَةِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)}

قَوْلُهُ:{الْقَارِعَةُ} [القارعة: ١] قال ابن كثير: الْقَارِعَةُ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَالْحَاقَّةِ، وَالطَّامَّةِ، وَالصَّاخَّةِ، وَالْغَاشِيَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ،وقيل: لِأَنَّها تَقْرَعُ الْقُلُوبَ بِالْفَزَعِ وتَقْرَعُ أعْداء اللَّهِ بِالعَذابِ.

وقَوْلُهُ: {مَا الْقَارِعَةُ}[القارعة: ٢] تَهْوِيلٌ وَتَعْظِيمٌ، ثُمَّ قَالَ مُعَظِّمًا أَمْرَهَا وَمُهَوِّلًا لِشَأْنِهَا: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ}[القارعة: ٣]؟ فَإِنَّهُ تَأْكِيدٌ لِشَدَّةِ هَوْلِها ومَزِيدِ فَظاعَتِها حَتّى كَأنَّها خارِجَةٌ عَنْ دائِرَةِ عُلُومِ الخَلْقِ بِحَيْثُ لا تَنالُها دِرايَةُ أحَدٍ مِنهم، والمَعْنى: وأيُّ شَيْءٍ أعْلَمَكَ ما شَأْنُ القارِعَةِ ؟ ، ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: {يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ}[القارعة: ٤] أَيْ: فِي انْتِشَارِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ، وَذَهَابِهِمْ وَمَجِيئِهِمْ، مِنْ حَيْرَتِهِمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ، كَأَنَّهُمْ فَرَاشٌ مَبْثُوثٌ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: **{كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ} [سورة القمر: ٧]**، وقَالَ الْبُخَارِيُّ: {كَالفَرَاشِ المَبْثُوثِ}: كَغَوْغَاءِ الجَرَادِ يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، كَذَلِكَ النَّاسُ يَجُولُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ(١).

وَقَوْلُهُ: {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ}[القارعة: ٥] أمَّا الجبال، وهي تلْك الجبالُ العظيمةُ الراسيةُ الصلبةُ فتكون كالصُّوفُ الْمَنْفُوشُ، الَّذِي قَدْ شَرَعَ فِي الذَّهَابِ وَالتَّمَزُّقِ.

قال ابن كثير: ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَمَّا يَئُولُ إِلَيْهِ عَمَلُ الْعَامِلِينَ، وَمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْكَرَامَةِ أَوِ الْإِهَانَةِ، بِحَسْبِ أَعْمَالِهِمْ، فَقَالَ: {فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ}[القارعة: ٦] أَيْ: رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ، {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ}[القارعة: ٧] يَعْنِي: فِي الْجَنَّةِ.

وَقَوْلُهُ: {وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ}[القارعة: ٨] أَيْ: رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَى حَسَنَاتِهِ،{فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} [القارعة: ٩] قِيلَ: مَعْنَاهُ: فَهُوَ سَاقِطٌ هَاوٍ بِأُمِّ رَأْسِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وعَبَّرَ عَنْهُ بِأُمِّهِ- يَعْنِي دِمَاغَهُ-، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ{فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} أي: وَهُوَ مِثْلُهَا، وَإِنَّمَا جَعَلَ النَّارَ أُمَّهُ، لِأَنَّهَا

(١) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا (ج٦ص١٧٦).

صَارَتْ مَأْوَاهُ، كَمَا تؤْوِي الْمَرْأَةُ ابْنَهَا، فَجَعَلَهَا إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَأْوَى غَيْرَهَا، بِمَنْزِلَةِ أُمٍّ لَهُ.
وَقَوْلُهُ:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ}[القارعة: ١٠] أَيْ: وَمَا أَشْعَرَكَ يَا مُحَمَّدُ مَا الْهَاوِيَةُ؟، فَقَالَ:
{نَارٌ حَامِيَةٌ}[القارعة: ١١] أَيْ: حَارَّةٌ شَدِيدَةُ الْحَرِّ، قَوِيَّةُ اللَّهِيبِ وَالسَّعِيرِ(١).
وفي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ»، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ: «فُضِّلَتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا».[٢]
وأخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً[٣]، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا».[٤]
وأخرج البخاري في صحيحه بسنده، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّارَ، فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا وَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ، - قَالَ شُعْبَةُ: أَمَّا مَرَّتَيْنِ فَلاَ أَشُكُّ - ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ».[٥] انتهى؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٩٢/٢٤)، تفسير ابن كثير (٤٦٨/٨).
[٢] أخرجه البخاري رقم (٣٢٦٥)واللفظ له، أخرجه مسلم رقم( ٢٨٤٣).
[٣] (وجبة) أي سقطة.
[٤] أخرجه مسلم رقم( ٢٨٤٤).
[٥] أخرجه البخاري رقم (٦٠٢٣).

## ١٠٢- سُورَةُ التَّكَاثُرِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُـهَا ثَمَانٍ

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، قَالَ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟». (١)

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)}

وَقَوْلُهُ:{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} [التكاثر: ١]قال ابن كثير: شَغَلَكُمْ حُبُّ الدُّنْيَا وَنَعِيمُهَا وَزَهْرَتُهَا عَنْ طَلَبِ الْآخِرَةِ وَابْتِغَائِهَا،وَتَمَادَى بِكُمْ ذَلِكَ، وقالَ الحَسَنُ: مَعْنى ألْهاكم: أنْساكم.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:{التَّكَاثُرُ}أي:مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ (٢).

وَقَوْلُهُ:{حَتَّى} جاءَكُمُ الْمَوْتُ وَ{زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}[التكاثر: ٢] وَصِرْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا؟! والمَقابِرُ جَمْعُ مَقْبَرَةٍ بِفَتْحِ الباءِ وضَمِّها،وفِي الآيَةِ دَلِيلٌ عَلى أنَّ الِاشْتِغالَ بِالدُّنْيا والمُكاثَرَةَ بِها والمُفاخَرَةَ فِيها مِنَ الخِصالِ المَذْمُومَةِ.

قال ابن جرير وَقَوْلُهُ:{حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} يَعْنِي: حَتَّى صِرْتُمْ إِلَى الْمَقَابِرِ فَدُفِنْتُمْ فِيهَا؛ وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ الْقَوْلِ بِعَذَابِ الْقَبْرِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ، أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَلْهَاهُمُ التَّكَاثُرُ، أَنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ مَا يَلْقَوْنَ إِذَا هُمْ زَارُوا الْقُبُورَ وَعِيدًا مِنْهُ لَهُمْ وَتَهَدُّدًا.

وفي الصحيحين من حديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثلاثةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ".[٣]

وَقَوْلُهُ: {كَلَّا} مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلُوا، أَنْ يُلْهِيَكُمُ التَّكَاثُرُ، وَقَوْلُهُ: {سَوْفَ تَعْلَمُونَ}[التكاثر: ٣] يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: سَوْفَ تَعْلَمُونَ إِذَا زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ، أَيُّهَا الَّذِينَ أَلْهَاهُمُ التَّكَاثُرُ، غِبَّ فِعْلِكُمْ، وَاشْتِغَالِكُمْ بِالتَّكَاثُرِ فِي الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ رَبِّكُمْ، وَكَرَّرَ قَوْلَهُ: {ثُمَّ كَلَّا

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٩٥٨).
(٢) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا ( ج٦ص١٧٦).
[٣] أخرجه البخاري رقم(٦٥١٤) واللفظ له،ومسلم رقم(٢٩٦٠).

سَوْفَ تَعْلَمُونَ}[التكاثر:٤] وَهَذَا وعيدًا بعد وَعِيد؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ إِذَا أَرَادَتِ التَّغْلِيظَ فِي التَّخْوِيفِ وَالتَّهْدِيدِ، كَرَّرُوا الْكَلِمَةَ مَرَّتَيْنِ،وثُمَّ لِلدَّلَالَةِ عَلى أنَّ الثّانِيَ أبْلَغُ مِنَ الأوَّلِ، وقِيلَ الأوَّلُ عِنْدَ المَوْتِ أوْ في القَبْرِ، والثّانِي يَوْمَ القِيامَةِ.

وَقَوْلُهُ:{كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ}[التكاثر:٥]قال الشوكاني أيْ: لَوْ تَعْلَمُونَ الأمْرَ الَّذِي أنْتُمْ صائِرُونَ إلَيْهِ عِلْمًا يَقِينًا كَعِلْمِكم ما هو مُتَيَقَّنٌ عِنْدَكم في الدُّنْيا، وجَوابُ " لَوْ " مَحْذُوفٌ: أيْ لَشَغَلَكم ذَلِكَ عَنِ التَّكاثُرِ والتَّفاخُرِ، أوْ لَفَعَلْتُمْ ما يَنْفَعُكم مِنَ الخَيْرِ وتَرَكْتُمْ ما لا يَنْفَعُكم مِمّا أنْتُمْ فِيهِ.

وَقَوْلُهُ:{لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ}[التكاثر:٦] أي: لَتَرَوُنَّ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وفِيهِ زِيادَةُ وعِيدٍ وتَهْدِيدٍ، أيْ : واللَّهِ لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ في الآخِرَةِ.

وَقَوْلُهُ:{ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ}[التكاثر:٧] أيْ ثُمَّ لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ الرُّؤْيَةَ الَّتِي هي نَفْسُ اليَقِينِ، وهي المُشاهَدَةُ والمُعايَنَةُ، وقِيلَ المَعْنى: لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ بِأبْصارِكم عَلى البُعْدِ مِنكم، ثُمَّ لَتَرَوُنَّها مُشاهَدَةً عَلى القُرْبِ.

قال ابن عثيمين: ومتى تُرى؟ تُرى يوم القيامة، يؤتى بها تُجَرُّ بسبعين ألْف زمام، كلُّ زِمام يجرُّه سبعون ألْف مَلَك، فما ظنُّك بهذه الدار والعياذ بالله، إنها دارٌ كبيرةٌ عظيمةٌ؛ لأن فيها سبعين ألف زِمام، كلُّ زمام يجرُّه سبعون ألف مَلَك، والملائكة عِظامٌ شِدادٌ، فهي نارٌ عظيمةٌ أعاذنا الله وإيَّاكم منها.

وَقَوْلُهُ:{ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}[التكاثر: ٨] أي: ثُمَّ لَيَسْأَلَنَّكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ النَّعِيمِ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ فِي الدُّنْيَا مَاذَا عَمِلْتُمْ فِيهِ، ومِنْ أَيْنَ وَصَلْتُمْ إِلَيْهِ، وَفِيمَ أَصَبْتُمُوهُ، وَمَاذَا عَمِلْتُمْ بِهِ؟، عَنْ مُجَاهِدٍ{ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}[التكاثر: ٨] قَالَ: الْأَمْنُ وَالصِّحَّةُ، وقال ابن كثير: أَيْ: ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ شُكْرِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ، مِنَ الصِّحَّةِ وَالْأَمْنِ وَالرِّزْقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مَا إِذَا قَابَلْتُمْ بِهِ نِعَمَهُ مِنْ شُكْرِهِ وَعِبَادَتِهِ(١).

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ لَيْلَةٍ - فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ،، قَالَ: «وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٩٨/٢٤)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (١٦٠/٥)، تفسير ابن كثير (٤٧٢/٨).

أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا»، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيْنَ فُلَانٌ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكَ، وَالْحَلُوبَ»، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، **لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،** أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ ".[1]

انتهى ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

[1] أخرجه مسلم رقم(٢٠٣٨).

## ١٠٣- سُورَةُ الْعَصْرِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)}

قَوْلُهُ:{وَالْعَصْرِ} ( العصر:١)قال ابن كثير {الْعَصْرِ}: الزَّمَانُ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ حَرَكَاتُ بَنِي آدَمَ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ يَحْيَى: {الْعَصْرُ}: الدَّهْرُ، أَقْسَمَ بِهِ. (١)قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَالدَّهْرِ. قِيلَ: أَقْسَمَ بِهِ لِأَنَّ فِيهِ عِبْرَةً لِلنَّاظِرِ، { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}( العصر:٢)، أَيْ: فِي خَسَارَةٍ وَهَلَاكٍ، قِيلَ: أَرَادَ بِهِ الْكَافِرَ، قَالَ الْبُخَارِيُّ: {خُسْرٍ} ضَلَالٍ، ثُمَّ اسْتَثْنَى: إِلَّا مَنْ آمَنَ. (٢)

وَقَوْلُهُ:{إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}( العصر:٣) إِلَّا الَّذِينَ صَدَّقُوا اللَّهَ وَوَحَّدُوهُ، وَأَقَرُّوا لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالطَّاعَةِ، {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}( العصر:٣) وَأَدُّوا مَا لَزِمَهُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ، وَاجْتَنَبُوا مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ مِنْ مَعَاصِيهِ، {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ}( العصر:٣) أَيْ: وَأَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِلُزُومِ الْعَمَلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ فِيهِ، {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ}( العصر:٣) قَالَ: الْحَقُّ كِتَابُ اللَّهِ .

وَقَوْلُهُ:{وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}( العصر:٣)عَلَى الْمَصَائِبِ وَالْأَقْدَارِ، وَأَذَى مَنْ يُؤْذِي مِمَّنْ يَأْمُرُونَهُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، عَنْ قَتَادَةَ،{وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}( العصر:٣) قَالَ: الصَّبْرُ: طَاعَةُ اللَّهِ،عَنْ كَعْبٍ: {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ}( العصر:٣) قَالَ: الْحَقُّ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْإِيمَانُ بِهِ ،{وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}( العصر:٣): «عَلَى فَرَائِضِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ» (٣).

انتهى؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

---

(١) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا ج٦ص١٧٧.
(٢) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا ج٤ص١٣١.
(٣)انظر: تفسير الطبري (٢٤/٦١٢)، تفسير مجاهد (ص: ٧٤٧)، تفسير ابن كثير (٨/٤٨٠)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٦٠٢).

## ١٠٤- سُورَةُ الْهُمَزَةِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا تِسْعٌ

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩)}

قَوْلُهُ: {وَيْلٌ}قيل الويل: وَادِي في جهنم، يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ وَقَيْحِهِمْ ،وقال الشوكاني الْوَيْلُ: هُوَ مُرْتَفِعٌ عَلَى الِابْتِدَاءِ، وَسَوَّغَ الِابْتِدَاءَ بِهِ مَعَ كَوْنِهِ نَكِرَةً كَوْنُهُ دُعَاءً عَلَيْهِمْ، وَخَبَرُهُ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ وَالْمَعْنَى: خِزْيٌ، أَوْ عَذَابٌ، أَوْ هَلَكَةٌ، أَوْ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ.

قَوْلُهُ: {لِكُلِّ هُمَزَةٍ} يَقُولُ: لِكُلِّ مُغْتَابٍ لِلنَّاسِ، يَغْتَابُهُمْ وَيَغُضُّهُمْ {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ}[الهمزة: ١] قَالَ الْبُخَارِيُّ: يَهْمِزُ، وَيَلْمِزُ، وَيَعِيبُ، وَاحِدٌ(١).

وقِيلَ: {الْهُمَزَةُ} يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ، {وَاللُّمَزَةُ}: الطَّعَّانُ، أو العكس، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: الْهُمَزَةُ بِالْيَدِ، وَاللُّمَزَةُ بِاللِّسَانِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: {الْهُمَزَةُ}: يَهْمِزُهُ فِي وَجْهِهِ، {وَاللُّمَزَةُ}: مِنْ خَلْفِهِ.

قَوْلُهُ: {الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ} [الهمزة: ٢] يَقُولُ: الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَأَحْصَى عَدَدُهُ، وَلَمْ يُنْفِقْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤَدِّ حَقَّ اللَّهِ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ جَمَعَهُ فَأَوْعَاهُ وَحَفِظَهُ.

قَوْلُهُ: {يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ}[الهمزة: ٣] أي: يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ الَّذِي جَمَعَهُ وَأَحْصَاهُ، وَبَخِلَ بِإِنْفَاقِهِ، مُخْلِدُهُ فِي الدُّنْيَا، فَمُزِيلٌ عَنْهُ الْمَوْتَ؟!.

قَوْلُهُ: {كَلَّا} [الهمزة: ٤] أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمَ وَلَا كَمَا حَسِبَ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ}[الهمزة: ٤] قال ابن جرير: لَيُقْذَفَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْحُطَمَةِ، {الْحُطَمَةُ}: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ، كَمَا قِيلَ لَهَا: جَهَنَّمُ وَسَقَرُ وَلَظى، وَأَحْسَبُهَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِحَطْمِهَا كُلَّ مَا أُلْقِيَ فِيهَا، كَمَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ الْأَكُولِ: الْحُطَمَةُ، قَالَ الْبُخَارِيُّ {الْحُطَمَةُ}: اسْمُ النَّارِ(٢).

والمعنيِ: لَيُلْقَيَنَّ هَذَا الَّذِي جَمَعَ مَالًا فَعَدَّدَهُ فِي الْحُطْمَةِ وَهِيَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ صِفَةٌ؛ لِأَنَّهَا تَحْطِمُ مَنْ فِيهَا، وَلِهَذَا قَالَ: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ}[الهمزة: ٥] وما أدراك ما

(١) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا ج٨ص١٧.
(٢) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا ج٦ص١٧٧.

الْحُطَمَةُ هَذَا الِاسْتِفْهَامُ لِلتَّهْوِيلِ وَالتَّفْظِيعِ حَتَّى كَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِمَّا تُدْرِكُهُ الْعُقُولُ وَتَبْلُغُهُ الْأَفْهَامُ، ثُمَّ بَيَّنَهَا سُبْحَانَهُ فَقَالَ: {نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ } [الهمزة: ٦] أَيْ: هِيَ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ بِأَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَفِي إِضَافَتِهَا إِلَى الِاسْمِ الشَّرِيفِ تَعْظِيمٌ لَهَا وَتَفْخِيمٌ، وَكَذَلِكَ فِي وَصْفِهَا بِالْإِيقَادِ.

قَوْلُهُ: {الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ}[الهمزة: ٧] أَيْ: يَخْلُصُ حَرُّهَا إِلَى الْقُلُوبِ فَيَعْلُوهَا وَيَغْشَاهَا، وَخَصَّ الْأَفْئِدَةَ مَعَ كَوْنِهَا تَغْشَى جَمِيعَ أَبْدَانِهِمْ لِأَنَّهَا مَحَلُّ الْعَقَائِدِ الزَّائِغَةِ، قَالَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ: تَحْرِقُهُمْ إِلَى الْأَفْئِدَةِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وقيل: تَأْكُلُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْفُؤَادِ، فَيَصِيحُ الْفُؤَادُ، ثُمَّ يُجَدَّدُ خَلْقَهُمْ، ثُمَّ تأكلهم أَيْضا حَتَّى يتنهى إِلَى الْفُؤَاد .

قَوْلُهُ:{إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ} [الهمزة: ٨] أَيْ: مُطْبَقَةٌ مُغْلَقَةٌ، {فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ}[الهمزة: ٩) أيْ: كائِنِينَ في عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ مُوثَقِينَ فِيها،قَالَ مُقَاتِلٌ: أَطْبَقَتِ الْأَبْوَابُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ سُدَّتْ بِأَوْتَادٍ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ نَارٍ حَتَّى يَرْجِعَ عَلَيْهِمْ غَمُّهَا وَحَرُّهَا، فَلَا يُفْتَحُ عَلَيْهِمْ بَابٌ وَلَا يُدْخَلُ عَلَيْهِمْ رَوْحٌ، وَالْمُمَدَّدَةُ مِنْ صِفَةِ الْعَمَدِ، أَيْ: مُطَوَّلَةٍ فَتَكُونُ أَرْسَخُ مِنَ الْقَصِيرَةِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْعَمَدَ الْمُمَدَّدَةَ أَغْلَالٌ فِي أَعْنَاقِهِمْ، وَقِيلَ: قُيُودٌ فِي أَرْجُلِهِمْ، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ، وَقَالَ الْقُشَيْرِيُّ: وَالْمُعْظَمُ عَلَى أَنَّ الْعَمَدَ أَوْتَادُ الْأَطْبَاقِ الَّتِي تُطْبَقُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ، وَقَالَ قَتَادَةُ: كُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ بِعَمَدٍ فِي النَّارِ.

وقال ابْنُ جَرِيرٍمَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ بِعَمَدٍ فِي النَّارِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ كَيْفَ تَعْذِيبُهُ إِيَّاهُمْ بِهَا، وَلَمْ يَأْتِنَا خَبَرٌ تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ بِصِفَةِ تَعْذِيبِهِمْ بِهَا، وَلَا وُضِعَ لَنَا عَلَيْهَا دَلِيلٌ، فَنُدْرِكُ بِهِ صِفَةَ ذَلِكَ، فَلَا قَوْلَ فِيهِ، غَيْرَ الَّذِي قُلْنَا يَصِحُّ عِنْدَنَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. (١).

انتهى؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

(١) انظر: تفسير الطبري (٦١٦/٢٤) ، تفسير البغوي (٨/ ٥٣١)، تفسير ابن كثير (٤٨١/٨) ،فتح القدير للشوكاني (٥/ ٦٠٢)، تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٣١٨).

## ١٠٥- سُورَةُ الْفِيلِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْس

وفي الصحيحين عن أبي هرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَكَّةَ قَامَ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَإِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، فَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلاَ يُخْتَلَى شَوْكُهَا، وَلاَ تَحِلُّ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ، وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ، إِمَّا أَنْ يُفْدَى وَإِمَّا أَنْ يُقِيدَ»، فَقَالَ العَبَّاسُ: إِلَّا الإِذْخِرَ، فَإِنَّا نَجْعَلُهُ لِقُبُورِنَا وَبُيُوتِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِلَّا الإِذْخِرَ» فَقَامَ أَبُو شَاهٍ- رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ- فَقَالَ: اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ». (١)

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)}

قَالَ الْبُخَارِيُّ في قوله تعالي: {أَلَمْ تَرَ} أي: أَلَمْ تَعْلَمْ. (٢) {كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ}( الْفِيلِ:١) الاِسْتِفْهَامُ فِي قَوْلِهِ: {أَلَمْ تَرَ} لِتَقْرِيرِ رُؤْيَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنْكَارِ عَدَمِهَا، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: أَلَمْ تَعْلَمْ، وَهُوَ تَعْجِيبٌ لَهُ ﷺ بِمَا فَعَلَهُ اللَّهُ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ الَّذِينَ قَصَدُوا تخريب الكعبة من الحبشة، وَرَئِيسهمْ أَبْرَهَةَ الْحَبَشِيِّ الْأَشْرَمِ، وَكَانُوا قَوْمًا نَصَارَى، وَكَانَ دِينُهُمْ إِذْ ذَاكَ أَقْرَبَ حَالًا مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَلَكِنْ كَانَ هَذَا مِنْ بَابِ الْإِرْهَاصِ وَالتَّوْطِئَةِ لِمَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ فِي ذَلِكَ الْعَامِ وُلِدَ عَلَى أَشْهَرِ الْأَقْوَالِ، وَلِسَانُ حَالِ الْقَدَرِ يَقُولُ: لَمْ نَنْصُرْكُمْ -يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ-عَلَى الْحَبَشَةِ لِخَيْرِيَّتِكُمْ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنْ صِيَانَةً لِلْبَيْتِ الْعَتِيقِ الَّذِي سَنُشَرِّفُهُ وَنُعَظِّمُهُ وَنُوَقِّرُهُ بِبَعْثَةِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ مُحَمَّدٍ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ.

وقَوْلُهُ:{أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ}( الْفِيلِ:٢) أَيْ: أَلَمْ يَجْعَلْ مَكْرَهُمْ وَسَعْيَهُمْ فِي تَخْرِيبِ الْكَعْبَةِ وَاسْتِبَاحَةِ أَهْلِهَا فِي تَضْلِيلٍ عَمَّا قَصَدُوا إِلَيْهِ حَتَّى لَمْ يَصِلُوا إِلَى الْبَيْتِ، وَلَا

(١) أخرجه البخاري رقم (٢٤٣٤) ،واللفظ له، ومسلم رقم (١٣٥٥).
(٢) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا ج٦ص١٧٧.

إِلَى مَا أَرَادُوهُ بِكَيْدِهِمْ، وَالْهَمْزَةُ لِلتَّقْرِيرِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: قَدْ جَعَلَ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيل {وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ} ( الْفِيلِ:٣) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ طَيْرًا مُتَفَرِّقَةً، يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا مِنْ نَوَاحٍ شَتَّى، قَالَ الْبُخَارِيُّ قَالَ مُجَاهِدٌ: {أَبَابِيلَ}: مُتَتَابِعَةً مُجْتَمِعَةً(١). وقيل: أَقَاطِيعَ يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَالْإِبِلِ الْمُؤَبَّلَةِ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: أَبَابِيلَ: جَمَاعَاتٍ فِي تَفْرِقَةٍ، يُقَالُ: جَاءَتِ الْخَيْلُ أَبَابِيلَ، أَيْ: جَمَاعَاتٍ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، قَالَ النَّحَّاسُ: وَحَقِيقَتُهُ أَنَّهَا جَمَاعَاتٌ عِظَام.

وقَوْلُهُ:{تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ}( الْفِيلِ:٤)أي: تَرْمِي هَذِهِ الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ الَّتِي أَرْسَلَهَا اللَّهُ عَلَى أَصْحَابِ الْفِيلِ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيل.

وقَوْلُهُ:{فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ}( الْفِيلِ:٥) الْعَصْفُ: هُوَ الْقِشْرُ الْخَارِجُ الَّذِي يَكُونُ عَلَى حَبِّ الْحِنْطَةِ مِنْ خَارِجٍ، كَهَيْئَةِ الْغُلَافِ لَهَا، وَقَالَ قَتَادَةُ: هُوَ التِّبْنُ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: كَالْحَبِّ إِذَا أُكِلَ فَصَارَ أَجْوَفَ، أي: فَجَعَلَ اللَّهُ أَصْحَابَ الْفِيلِ كَزَرْعٍ وَتِبْنٍ أَكَلَتْهُ الدَّوَابُّ فَرَاثَتْهُ، فَيَبِسَ وَتَفَرَّقَتْ أَجْزَاؤُهُ؛ شَبَّهُ تَقَطُّعَ أَوْصَالِهِمْ بِالْعُقُوبَةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِهِمْ، وَتَفَرُّقَ آرَابِ أَبْدَانِهِمْ بِهَا، بِتَفَرُّقِ أَجْزَاءِ الرَّوْثِ، الَّذِي حَدَثَ عَنْ أَكْلِ الزَّرْعِ وَقَدْ كَانَ.(٢)

انتهى ؛والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

(١) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا ج٦ص١٧٧.
(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٤/٦٢٧)، تفسير البغوي (٨/٥٤١). تفسير ابن كثير (٨/٤٩٠)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٦٠٥).

## ١٠٦- سُورَةُ قُرَيْشٍ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا أَرْبَعٌ

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده، عَنْ أَبِي عَمَّارٍ شَدَّادٍ، أَنَّهُ سَمِعَ وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».[1]

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (٤)}

قَوْلُهُ:{لإِيلافِ قُرَيْشٍ}[قريش: ١] قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: الصَّوَابُ أَنَّ "اللَّامَ" لَامُ التَّعَجُّبِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: اعْجَبُوا لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ وَنِعْمَتِي عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: قَالَ مُجَاهِدٌ: {لِإِيلَافِ} أَلِفُوا ذَلِكَ، فَلاَ يَشُقُّ عَلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ(٢)، عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ: {لإِيلافِ قُرَيْشٍ} ( قُرَيْشٍ :١) قَالَ: عَادَةُ قُرَيْشٍ رِحْلَةٌ فِي الشِّتَاءِ ورحلة في الصَّيْفِ، وَقُرَيْشٌ هُمْ وَلَدُ النَّضِرِ بْنِ كِنَانَةَ، وَكُلُّ مَنْ وَلَدَهُ النَّضْرُ فَهُوَ قُرَشِيٌّ، وَمَنْ لَمْ يَلِدْهُ النَّضْرُ فَلَيْسَ بِقُرَشِيٍّ ، وَهُمْ كَانُوا تُجَّارًا حُرَّاصًا عَلَى جَمْعِ الْمَالِ وَالْإِفْضَالِ.

وَقَوْلُهُ:{إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ}( قُرَيْشٍ :٢)عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: «إِيلَافِهِمْ ذَلِكَ فَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ رِحْلَةُ شِتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ»،وقال ابن عباس: أَلِفُوا الرِّحْلَةَ، فَكَانُوا إِذَا شَاءُوا ارْتَحَلُوا، وَإِذَا شَاءُوا أَقَامُوا، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِمْ ».

وقَوْلُهُ:{فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ}( قُرَيْشٍ :٣) أَيْ: فَلْيُوَحِّدُوهُ بِالْعِبَادَةِ، كَمَا جَعَلَ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا وَبَيْتًا مُحَرَّمًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [النَّمْلِ:٩١] قَالَ ابن عباس: نَهَاهُمْ عَنِ الرِّحْلَةِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، وَكَفَاهُمُ الْمُؤْنَةَ، يَعْنِي بِالْبَيْتِ: الْكَعْبَةَ.

وقَوْلُهُ:{الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ} ( قُرَيْشٍ :٤) يَقُولُ: الَّذِي أَطْعَمَ قُرَيْشًا مِنْ جُوعٍ بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ حَيْثُ قَالَ: **{وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ}**(البقرة: ١٢٦){وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} ( قُرَيْشٍ

---

[1] أخرجه مسلم رقم (٢٢٧٦).

(٢) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا ج٦ص١٧٧.

:٤) أَيْ: تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِالْأَمْنِ وَالرُّخْصِ (٢) فَلْيُفْرِدُوهُ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا يَعْبُدُوا مِنْ دُونِهِ صَنَمًا وَلَا نِدًّا وَلَا وَثَنًا.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ حَيْثُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: **{رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا} [إبراهيم: ٣٥]** وقَالَ مُجَاهِدٌ: {وَآمَنَهُمْ}: مِنْ كُلِّ عَدُوِّهِمْ فِي حَرَمِهِمْ{وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}( قُرَيْشٍ :٤)عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «كَانُوا يَقُولُونَ: نَحْنُ مِنْ حَرَمِ اللَّهِ، فَلَا يَعْرِضُ لَهُمْ أَحَدٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، يَأْمَنُونَ بِذَلِكَ، وَكَانَ غَيْرُهُمْ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ إِذَا خَرَجَ أُغِيرَ عَلَيْهِ»، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ مَا كَانُوا يَأْلَفُونَهُ مِنَ الرِّحْلَةِ فِي الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ، وَفِي الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ فِي الْمَتَاجِرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى بَلَدِهِمْ آمِنِينَ فِي أَسْفَارِهِمْ؛ لِعَظَمَتِهِمْ عِنْدَ النَّاسِ، لِكَوْنِهِمْ سُكَّانَ حَرَمِ اللَّهِ، فَمَنْ عَرَفَهم احْتَرَمَهُمْ، ومَنْ سَارَ مَعَهُمْ أَمِنَ بِهِمْ.

و قال ابن جرير الطبري مَعْنَى الْكَلَامِ: اعْجَبُوا لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَتَرْكِهِمْ عِبَادَةَ رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ(١).

انتهى؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

(١)انظر: تفسير الطبري (٦٤٦/٢٤) ، تفسير ابن أبي حاتم (٣٤٦٧/١٠) ، تفسير البغوي (٨/ ٥٤٦)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٩٢)
، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٦١٠).

## ١٠٧- سُورَةُ الْمَاعُونَ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سَبْعٌ

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)}

قال ابن كثير: يَقُولُ تَعَالَى:{أَرَأَيْتَ}( الْمَاعُونَ :١)- يَا مُحَمَّدُ- {الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ}( الْمَاعُونَ :١) أيِ: يُكَذِّبُ بِالْحِسَابِ، وَهُوَ الْمُشْرِكُ لَا يُقِرُّ بِالْبَعْثِ {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ} ( الْمَاعُونَ :٢) أَيْ: هُوَ الَّذِي يَقْهَرُ الْيَتِيمَ وَيَظْلِمُهُ حَقَّهُ، وَلَا يُطْعِمُهُ وَلَا يُحْسِنُ إِلَيْهِ، قَالَ الْبُخَارِيُّ قَالَ مُجَاهِدٌ: {يَدُعُّ}: يَدْفَعُ عَنْ حَقِّهِ، يُقَالُ: هُوَ مِنْ دَعَعْتُ**{يَوْمَ يُدَعُّونَ} [الطور: ١٣]:** يُدْفَعُونَ(١).

وقَوْلُهُ:{وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ} ( الْمَاعُونَ :٣) أيِ: وَلَا يَحُثُّ غَيْرَهُ عَلَى إِطْعَامِ الْمُحْتَاجِ مِنَ الطَّعَامِ،**كَمَا قَالَ تَعَالَى: {كَلا بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ} [الْفَجْرِ: ١٧، ١٨].** {وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ}}( الْمَاعُونَ :٣) قال البغوي: لَا يُطْعِمُهُ وَلَا يَأْمُرُ بِإِطْعَامِهِ لِأَنَّهُ يُكَذِّبُ بِالْجَزَاءِ.

وقَوْلُهُ:{فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ}}( الْمَاعُونَ :٥) {فَوَيْلٌ} شِدَّة عَذَاب فِي النَّار، قيل الويل: وَادِي في جهنم، يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ وَقَيْحِهِمْ {لِلْمُصَلِّينَ} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُهُ: يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ يُصَلُّونَ فِي الْعَلَانِيَةِ وَلَا يُصَلُّونَ فِي السِّرِّ، وَلِهَذَا قَالَ: {لِلْمُصَلِّينَ} أَيْ: الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ وَقَدِ الْتَزَمُوا بِهَا، ثُمَّ هُمْ عَنْهَا سَاهُونَ، إِمَّا عَنْ فِعْلِهَا بِالْكُلِّيَّةِ كَمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَإِمَّا عَنْ فِعْلِهَا فِي الْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ لَهَا شَرْعًا، فَيُخْرِجُهَا عَنْ وَقْتِهَا بِالْكُلِّيَّةِ، كَمَا قَالَهُ مَسْرُوقٌ، وَأَبُو الضُّحَى، وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ دِينَارٍ: وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَالَ: {عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ} ( الْمَاعُونَ :٥)**وَلَمْ يَقِلْ: فِي** صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ.

وقَوْلُهُ:{الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ} ( الْمَاعُونَ :٦)قال ابن جرير: الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ النَّاسَ بِصَلَاتِهِمْ إِذَا صَلُّوا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ رَغْبَةً فِي ثَوَابٍ، وَلَا رَهْبَةً مِنْ عِقَابٍ، وَإِنَّمَا يُصَلُّونَهَا لِيَرَاهُمُ الْمُؤْمِنُونَ فَيَظُنُّونَهُمْ مِنْهُمْ، فَيَكُفُّونَ عَنْ سَفْكِ دِمَائِهِمْ، وَسَبْيِ ذَرَارِيِّهِمْ، وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ

(١) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا ج٦ص١٧٧.

الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَسْتَبْطِنُونَ الْكُفْرَ، وَيُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ.

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي دَارِهِ بِالْبَصْرَةِ، حِينَ انْصَرَفَ مِنَ الظُّهْرِ، وَدَارُهُ بِجَنْبِ الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ، قَالَ: أَصَلَّيْتُمُ الْعَصْرَ؟ فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّمَا انْصَرَفْنَا السَّاعَةَ مِنَ الظُّهْرِ، قَالَ: فَصَلُّوا الْعَصْرَ، فَقُمْنَا، فَصَلَّيْنَا، فَلَمَّا انْصَرَفْنَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ، قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا».[1]

قال ابن كثير: فَهَذَا آخِرَ صَلَاةَ الْعَصْرِ الَّتِي هِيَ الْوُسْطَى، كَمَا ثَبَتَ بِهِ النَّصُّ إِلَى آخِرِ وَقْتِهَا، وَهُوَ وَقْتُ كَرَاهَةٍ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا فَنَقَرَهَا نَقْرَ الْغُرَابِ، لَمْ يَطْمَئِنَّ وَلَا خَشَعَ فِيهَا أَيْضًا؛ وَلِهَذَا قَالَ: "لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ". وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى الْقِيَامِ إِلَيْهَا مُرَاءَاةَ النَّاسِ، لا ابتغاء وجه اللَّهِ، فَهُوَ إِذًا لَمْ يُصَلِّ بِالْكُلِّيَّةِ.

قَالَ تَعَالَى: **{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلا}** [النِّسَاءِ: ١٤٢] ، وَقَالَ هَاهُنَا:{الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} ( الْمَاعُونَ :٧) أي: وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ مَنَافِعَ مَا عِنْدَهُمْ، وَأَصْلُ الْمَاعُونِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَنْفَعَتُهُ؛ يُقَالُ لِلْمَاءِ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ السَّحَابِ: مَاعُونٌ ،وقيل أَيْ: لَا أَحْسَنُوا عِبَادَةَ رَبِّهِمْ، وَلَا أَحْسَنُوا إِلَى خَلْقِهِ حَتَّى وَلَا بِإِعَارَةِ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ وَيُسْتَعَانُ بِهِ، مَعَ بَقَاءِ عَيْنِهِ وَرُجُوعِهِ إِلَيْهِمْ. (٢). وقَالَ الْبُخَارِيُّ: {الْمَاعُونَ}: الْمَعْرُوفَ كُلُّهُ(٣).

انتهى؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

---

[1] أخرجه مسلم برقم (٦٢٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٦٥٧/٢٤) تفسير البغوي (٥٤٩/٨)،تفسير ابن كثير (٤٩٥/٨).

(٣) ذكره الْبُخَارِيُّ تعليقا ج٦ص١٧٧.

## ١٠٨- سُورَةُ الْكَوْثَرِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلاثٌ

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا[1] إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ» فَقَرَأَ: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}{ إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)} [الكوثر: ٣] ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ »(٢).

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)}

قَوْلُهُ:{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}[الكوثر: ١] قال ابن جرير:هُوَ اسْمُ النَّهْرِ الَّذِي أُعْطِيَهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَنَّةِ، وَصَفَهُ اللَّهُ بِالْكَثْرَةِ، لِعِظَمِ قَدْرِهِ.

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ: سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ} [الكوثر: ١] قَالَتْ: «نَهَرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ، شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ».(٣)

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ قَالَ فِي{الكَوْثَرِ}( الْكَوْثَرِ:١): هُوَ الخَيْرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ»، قَالَ أَبُو بِشْرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: فَإِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهَرٌ فِي الجَنَّةِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهَرُ الَّذِي فِي الجَنَّةِ مِنَ الخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ.(٤)

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: «أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا

[1] زَادَ في رواية ابْنُ حُجْرٍ فِي حَدِيثِهِ: بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ.

(٢) أخرجه مسلم رقم (٤٠٠).

(٣) أخرجه البخاري رقم (٤٩٦٥).

(٤) أخرجه البخاري رقم (٤٩٦٦).

جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ ».(١)

وقَوْلُهُ:{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} ( الْكَوْثَر:٢) أَيْ: كَمَا أَعْطَيْنَاكَ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ومن ذلك النهرُ الَّذِي تَقَدَّمَ صِفَتُهُ فَأَخْلِصْ لِرَبِّكَ صَلَاتَكَ الْمَكْتُوبَةَ وَالنَّافِلَةَ ونَحْرَك، فَاعْبُدْهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَانْحَرْ عَلَى اسْمِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: **{قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الْأَنْعَام: ١٦٢، ١٦٣]** قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَطَاءٌ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَالْحَسَنُ {وَانْحَرْ}: يَعْنِي بِذَلِكَ نَحْرَ البُدْن وَنَحْوِهَا مِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَم.

وقَوْلُهُ:{إِنَّ شَانِئَكَ} ( الْكَوْثَر:٣)أي: إِنَّ مُبْغِضَكَ يَا مُحَمَّدُ وَعَدُوَّكَ{هُوَ الْأَبْتَرُ}( الْكَوْثَر:٣) يَعْنِي بِالْأَبْتَرِ: الْأَقَلَّ وَالْأَذَلَّ الْمُنْقَطِعَ دَابِرُهُ، الَّذِي لَا عَقِبَ لَهُ، قَالَ ابْنُ عباس ومجاهد: نزلت في العاص بن وائل، وقال يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ: كَانَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ إِذَا ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: دَعُوهُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ أَبْتَرُ لَا عَقِبَ لَهُ، فَإِذَا هَلَكَ انْقَطَعَ ذِكْرُهُ، فأنزل الله هذه السورة، وقيل: نزلت في عقبة ابن أبي مُعيط، وقال عَطَاءٍ: نَزَلَتْ فِي أَبِي لَهَبٍ، وَذَلِكَ حِينَ مات ابن لرسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَذَهَبَ أَبُو لهب إلى المشركين فقال: بُتِرَ مُحَمَّدٌ اللَّيْلَةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} قال البخاري قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {شَانِئَكَ}: «عَدُوَّكَ».(٢)

قال ابن جرير: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخْبَرَ أَنَّ مُبْغِضَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم هُوَ الْأَقَلُّ الْأَذَلُّ، الْمُنْقَطِعُ عَقِبُهُ، فَذَلِكَ صِفَةُ كُلِّ مَنْ أَبْغَضَهُ مِنَ النَّاسِ، وَإِنْ كَانَتِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي شَخْصٍ بِعَيْنِهِ.(٣) انتهى؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِه، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

## ١٠٩- سُورَةُ الْكَافِرُونَ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٩٦٤).
(٢) ذكره البخاري تعليقا (١٧٨/٦).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٦٧٩/٢٤)، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٥/ ١٦٦)، تفسير ابن كثير (٤٩٨/٨).

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، " أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ".[1]

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)}

قال ابن كثير: هَذِهِ السُّورَةُ سُورَةُ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي يَعْمَلُهُ الْمُشْرِكُونَ، وَهِيَ آمِرَةٌ بِالْإِخْلَاصِ فِيهِ، فَقَوْلُهُ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: ١] شَمِلَ كُلَّ كَافِرٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَلَكِنَّ الْمُوَاجَهِينَ بِهَذَا الْخِطَابِ هُمْ كفار قُرَيْشٍ، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ مِنْ جَهْلِهِمْ دَعَوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى عِبَادَةِ أَوْثَانِهِمْ سَنَةً، وَيَعْبُدُونَ مَعْبُودَهُ سَنَةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ، وَأَمَرَ رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم فِيهَا أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْ دِينِهِمْ بِالْكُلِّيَّةِ، فَقَالَ:{لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ}[الكافرون: ٢] يَعْنِي: مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْدَادِ، {وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون: ٣] وَهُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ فـ {مَا}هَاهُنَا بِمَعْنَى "مَنْ"، ثُمَّ قَالَ: {وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ } [الكافرون: ٤] أَيْ: وَلَا أَعْبُدُ عِبَادَتَكُمْ، أَيْ: لَا أَسْلُكُهَا وَلَا أَقْتَدِي بِهَا، وَإِنَّمَا أَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: {وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ}[الكافرون: ٥] أَيْ: لَا تَقْتَدُونَ بِأَوَامِرَ اللَّهِ وَشَرْعِهِ فِي عِبَادَتِهِ، بَلْ قَدِ اخْتَرَعْتُمْ شَيْئًا مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِكُمْ، كَمَا قَالَ: **{إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى}** [النَّجْمِ: ٢٣] فَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ فِي جَمِيعِ مَا هُمْ فِيهِ، فَإِنَّ الْعَابِدَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَعْبُودٍ يَعْبُدُهُ، وعبادة يَسْلُكُهَا إِلَيْهِ، فَالرَّسُولُ وَأَتْبَاعُهُ يَعْبُدُونَ اللَّهَ بِمَا شَرَعَهُ؛ وَلِهَذَا كَانَ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ" أَيْ: لَا مَعْبُودَ إِلَّا اللَّهُ،وَلَا طَرِيقَ إِلَيْهِ إِلَّا بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم، وَالْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللهِ عِبَادَةً لَمْ يَأْذَنْ بِهَا اللَّهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}[الكافرون: ٦] كَمَا قَالَ تَعَالَى: **{وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ}** [يُونُسَ:٤١] ،وَقَولَه: **{لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ }** [الْقَصَصِ: ٥٥].

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: يُقَالُ: {لَكُمْ دِينَكُمْ} الْكُفْرُ، {وَلِيَ دِين} [الكافرون: ٦] الْإِسْلَامُ، وَلَمْ يَقُلْ:

[1] أخرجه مسلم رقم (٧٢٦) بَابُ اسْتِحْبَابِ رَكْعَتَيْ سُنَّةِ الْفَجْرِ، وَالْحَثِّ عَلَيْهِمَا وَتَخْفِيفِهِمَا، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا، وَبَيَانِ مَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يُقْرَأَ فِيهِمَا.

"دِينِي" لِأَنَّ الْآيَاتِ بِالنُّونِ، فَحُذِفَ الْيَاءُ، كَمَا قَالَ: **{فَهُوَ يَهْدِينِ}** [الشُّعَرَاءِ: ٧٨] وَ **{يَشْفِينِ}** [الشُّعَرَاءِ:٨٠] ،وَقَالَ غَيْرُهُ: لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ الْآنَ، وَلَا أُجِيبُكُمْ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمُرِي، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ: **{وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا}** [الْمَائِدَةِ: ٦٤]. **(١)**

قال ابن جرير وَقَوْلُهُ: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون: ٦] أي: لَكُمْ دِينُكُمْ فَلَا تَتْرُكُونَهُ أَبَدًا، لِأَنَّهُ قَدْ خُتِمَ عَلَيْكُمْ، وَقُضِيَ أَنْ لَا تَنْفَكُّوا عَنْهُ، وَأَنَّكُمْ تَمُوتُونَ عَلَيْهِ، وَلِيَ دِينٌ الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ، لَا أَتْرُكُهُ أَبَدًا، لِأَنَّهُ قَدْ مَضَى فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ أَنِّي لَا أَنْتَقِلُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ.

قال ابن كثير: وَقَدِ اسْتَدَلَّ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ ،كَأَبِي حَنِيفَةَ ،والشَّافِعِيِّ ،وَأَحْمَدَ عَلَى أَنَّ الْكُفْرَ كُلَّهُ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}[الكافرون: ٦] فَعَلَى هَذَا لَا يَتَوَارَثُ الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ يَرِثُ قَرِينَهُ سَوَاءٌ كَانَ مِنْ أَهْلِ دِينِهِ أَمْ لَا؛ لِأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ مِلَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. [٢]

انتهى ؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

(١) ذكره البخاري تعليقا (١٧٨/٦).
(٢) انظر:تفسير الطبري (٢٤/ ٧٠٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٥٠٧).

## ١١٠- سُورَةُ النَّصرِ مدنية وَآيَاتُهَا ثَلَاثٌ

أخرج البخاري في صحيحه بسنده، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ فَكَأَنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ مَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، فَدَعَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ، فَمَا رُئِيتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ} [النصر: ١]؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: أَكَذَاكَ تَقُولُ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ؟ فَقُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: «هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَعْلَمَهُ لَهُ»، قَالَ: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ} [النصر: ١]«وَذَلِكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ»، {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر: ٣]، فَقَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ» (١)

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا صَلَّى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم صَلاَةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ} [النصر: ١] إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: «سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي».(٢)

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)}

قال ابن جرير في قوله تعالي: {إِذَا جَاءَكَ نَصْرُ اللَّهِ}[النصر: ١] أي: إِذَا جَاءَكَ نَصْرُ اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ عَلَى قَوْمِكَ مِنْ قُرَيْشٍ، {وَالْفَتْحُ} أي: فَتْحُ مَكَّةَ، {وَرَأَيْتَ النَّاسَ} [النصر: ٢] مِنْ صُنُوفِ الْعَرَبِ وَقَبَائِلَهَا أَهْلُ الْيَمَنِ مِنْهُمْ، وَقَبَائِلَ نِزَارَ {يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا}[النصر: ٢] يَقُولُ: فِي دِينِ اللهِ الَّذِي ابْتَعَثَكَ بِهِ، وَطَاعَتَكَ الَّتِي دَعَاهُمْ إِلَيْهَا {أَفْوَاجًا} يَعْنِي: زُمَرًا فَوْجًا فَوْجًا،أخرج الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَمْرِو بْنِ سَلَمَةَ قَالَ: لَمَّا كَانَ الْفَتْحُ بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وَكَانَتِ الْأَحْيَاءُ تَتَلَوَّمُ بِإِسْلَامِهَا فَتْحَ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: دَعُوهُ وَقَوْمَهُ، فَإِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ.[٣]

قَوْلِهِ:{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ}[النصر: ٣] أَيْ مُتَلَبِّسًا بِحَمْدِهِ {وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}[النصر:

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٩٧٠).
(٢) أخرجه البخاري رقم (٤٩٦٧).
[٣] أخرجه البخاري برقم (٤٣٠٢)

٣] وَكَانَ ﷺ بَعْد نُزُول هَذِهِ السُّورَة يُكْثِر مِنْ قَوْل سُبْحَان اللَّه وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِر اللَّه وَأَتُوب إِلَيْهِ، وَعَلِمَ بِهَا أَنَّهُ قَدْ اِقْتَرَبَ **أَجَله**، وَكَانَ فَتْح مَكَّة فِي رَمَضَان سَنَة ثَمَان وَتُوُفِّيَ ﷺ فِي رَبِيع الأول سنة عشر(١).

انتهى؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

(١) انظر: تفسير الطبري (٧٠٥/٢٤)، تفسير الجلالين (ص: ٨٢٥).

## ١١١- سُورَةُ الْمَسَدِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْسٌ

سبب نزولها،ما أخرجه البخاري في صحيحه بسنده، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤] وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا فَهَتَفَ: «يَا صَبَاحَاهْ» فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتُم إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» قَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، مَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا؟ ثُمَّ قَامَ، فَنَزَلَتْ: {تَبَّتْ يَدَ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد: ١] وَقَدْ تَبَّ، هَكَذَا قَرَأَهَا الأَعْمَشُ يَوْمَئِذٍ. (١)

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥)}

قَوْلِهِ:{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} [المسد: ١] {التَّبُّ}: «الْخُسْرَانُ ،قال أبو جعفر أي: خَسِرَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ، وَخَسِرَهُوَ،قال البخاري: {وَتَبَّ} تَبَابٌ: «خُسْرَانٌ»، تَتْبِيبٌ: «تَدْمِيرٌ»(٢).

قَوْلُهُ: {تَبَّتْ} وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: وَقَدْ تَبَّ.،قال البغوي أَيْ: خَابَتْ وَخَسِرَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ، و أَخْبَرَ عَنْ يَدَيْهِ، وَالْمُرَادُ بِهِ نَفْسُهُ عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي التَّعْبِيرِ بِبَعْضِ الشَّيْءِ عَنْ كُلِّهِ.

وَقِيلَ: "الْيَدُ" صِلَةٌ، كَمَا يُقَالُ: يَدُ الدَّهْرِ وَيَدُ الرَّزَايَا وَالْبَلَايَا، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا مَالُهُ وَمُلْكُهُ، يُقَالُ: فَلَانٌ قَلِيلُ ذَاتِ الْيَدِ، يَعْنُونَ بِهِ المال.

قال ابن كثير: فَأَبُو لَهَبٍ هَذَا هُوَ أَحَدُ أَعْمَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاسْمُهُ: عَبْدُ العُزَّى بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو عُتبة، وَإِنَّمَا سُمِّيَ «أَبَا لَهَبٍ» لِإِشْرَاقِ وَجْهِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الْأَذِيَّةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْبُغْضَةِ لَهُ، وَالِازْدِرَاءِ بِهِ، وَالتَّنَقُّصِ لَهُ وَلِدِينِهِ.

قَوْلُهُ: {مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} [المسد: ٢] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَيُّ شَيْءٍ أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ، وَدَفَعَ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ عَلَيْهِ {وَمَا كَسَبَ} وَهُمْ وَلَدُهُ، عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: جَاءَ بَنُو

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٤٩٧١).
(٢) ذكره البخاري تعليقا(١٧٩/٦).

أَبِي لَهَبٍ إِلَى ابْنِ عَبَّاس، فَقَامُوا يَخْتَصِمُونَ فِي الْبَيْتِ، فَقَامَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَحَجَزَ بَيْنَهُمْ، وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ، فَدَفَعَهُ بَعْضُهُمْ حَتَّى وَقَعَ عَلَى الْفِرَاشِ، فَغَضِبَ وَقَالَ: «أَخرجوا عَنِّي الْكَسْبَ الْخَبِيثَ».

و عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ: «{وَمَا كَسَبَ} قَالَ: وَلَدُهُ هُمْ مِنْ كَسْبِهِ» {سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ} [المسد: ٣] يَقُولُ: سَيَصْلَى أَبُو لَهَبٍ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ {وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} [المسد: ٤] {وَامْرَأَتُهُ} أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ العوراء، يَقُولُ: سَيَصْلَى أَبُو لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ، نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: {وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} [المسد: ٤] قَالَ: «كَانَتْ تَحْمِلُ الشَّوْكَ، فَتَطْرَحُهُ عَلَى طَرِيقِ النَّبِيِّ ﷺ، لِيَعْقِرَهُ وَأَصْحَابَهُ، واختاره ابن جرير، وَيُقَالُ: {حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} [المسد: ٤] نَقَّالَةً لِلْحَدِيثِ»، قال البخاري قَالَ مُجَاهِدٌ: {حَمَّالَةُ الحَطَبِ}: «تَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»، {فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ}: «يُقَالُ: مِنْ مَسَدٍ: لِيفِ المُقْلِ، وَهِيَ السِّلْسِلَةُ الَّتِي فِي النَّارِ»(١).

وقال ابن جرير: {فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ} [المسد: ٥] يَقُولُ فِي عُنُقِهَا؛ وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْعُنُقَ جِيدًا؛ وقَالَ{حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ} [المسد: ٥] هُوَ: حَبْلٌ جُمِعَ مِنْ أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ(٢).

انتهي؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

***

## ١١٢- سُورَةُ الْإِخْلَاصِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا أَرْبَع

أخرج البخاري في صحيحه بسنده، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، وَكَأَنَّ الرَّجُلَ

(١) ذكره البخاري تعليقا (١٨٠/٦).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٧١٥/٢٤)، تفسير ابن كثير (٥١٤/٨).

يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ». (١)

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ القُرْآنِ». (٢)

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ ».(٣)

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)}

قَوْلُهُ:{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١]قال ابن جرير: ذُكِرَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَسَبِ رَبِّ الْعِزَّةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ جَوَابًا لَهُمْ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نَزَلَتْ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوهُ، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَأُنْزِلَتْ جَوَابًا لَهُمْ.

وقال ابن كثير: يَعْنِي: هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا وَزِيرَ، وَلَا نَدِيدَ وَلَا شَبِيهَ وَلَا عَدِيلَ، وَلَا يُطلَق هَذَا اللَّفْظُ عَلَى أَحَدٍ فِي الْإِثْبَاتِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّهُ الْكَامِلُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

وقال ابن عثيمين: وسميت سورة الإخلاص لأمرين:-

**الأمر الأول:** أن الله أخلصها لنفسه فليس فيها إلا الكلام عن الله سبحانه وتعالى وصفاته.

**والثاني:** أنها تخلص قائلها من الشرك إذا قرأها معتقدا ما دلت عليه؛ ووجه كونها مشتملة على أنواع التوحيد الثلاثة وهي توحيد الربوبية؛ وتوحيد الألوهية ؛وتوحيد الأسماء والصفات.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٠١٣).
(٢) أخرجه البخاري رقم (٥٠١٥).
(٣) أخرجه البخاري رقم (٤٩٧٤).

وقَوْلُهُ: {اللَّهُ الصَّمَدُ}[الإخلاص: ٢] قال ابن جرير يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: الْمَعْبُودُ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ الصَّمَدُ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَدْ رَفَعَهُ، قَالَ {الصَّمَدُ}: «الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ»، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَالَ: {الصَّمَدُ}: «الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يَلِدُ إِلَّا سَيُورَثُ، وَلَا شَيْءٌ يُولَدُ إِلَّا سَيَمُوتُ، فَأَخْبَرَهُمْ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَنَّهُ لَا يُورَثُ وَلَا يَمُوتُ»، عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: {الصَّمَدُ}: «الَّذِي لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَلَا يَشْرَبُ الشَّرَابَ» ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {الصَّمَدُ} يَقُولُ: «السَّيِّدُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي سُؤْدَدِهِ، وَالشَّرِيفُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي شَرَفِهِ، وَالْعَظِيمُ الَّذِي قَدْ عَظُمَ فِي عَظَمَتِهِ، وَالْحَلِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِلْمِهِ، وَالْغَنِيُّ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي غِنَاهُ، وَالْجَبَّارُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي جَبَرُوتِهِ، وَالْعَالِمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي عِلْمِهِ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي حِكْمَتِهِ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ كَمُلَ فِي أَنْوَاعِ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدَدِ، وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذِهِ صِفَتُهُ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لَهُ» وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ الْبَاقِي الَّذِي لَا يَفْنَى، قال البخاري: وَالعَرَبُ تُسَمِّي أَشْرَافَهَا قَالَ أَبُو وَائِلٍ: {الصَّمَدُ} «هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي انْتَهَى سُودَدُهُ».(١)

وَقَوْلُهُ: {لَمْ يَلِدْ}[الإخلاص: ٣] أَيْ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ وَلَا صَاحِبَةٌ، يَقُولُ: لَيْسَ بِفَانٍ؛ لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ يَلِدُ إِلَّا هُوَ فَانٍ بَائِدٌ، {وَلَمْ يُولَدْ}[الإخلاص: ٣] يَقُولُ: وَلَيْسَ بِمُحْدَثٍ لَمْ يَكُنْ فَكَانَ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ فَإِنَّمَا وُجِدَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَحَدَثَ بَعْدَ أَنْ كَانَ غَيْرَ مَوْجُودٍ، وَلَكِنَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ قَدِيمٌ لَمْ يَزَلْ -أي قديم بلا ابتداء والقديم ليس من أسماء الله تعالى -، وَدَائِمٌ لَمْ يَبِدْ، وَلَا يَزُولُ وَلَا يَفْنَى،وقال العز بن عبد السلام سلطان العلماء في قوله تعالي: {لَمْ يَلِدْ} فيكون والداً {وَلَمْ يُولَدْ} فيكون ولد ، أو لم يلد فيكون في العز مشاركاً ولم يولد فيكون موروثاً هالكاً لأنهما صفتا نقص، أو لأنه لا مثل له فلو ولد لكان له مثل.

وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: **{بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ}** [الْأَنْعَامِ: ١٠١] أَيْ: هُوَ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ نَظِيرٌ يُسَامِيهِ، أَوْ قَرِيبٌ يُدَانِيهِ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}** [مَرْيَمَ: ٨٨ -

---

(١) ذكره البخاري تعليقا (١٨٠/٦).

٩٥] وَقَالَ تَعَالَى: **{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}** [الْأَنْبِيَاءِ: ٢٦، ٢٧] وَقَالَ تَعَالَى: **{وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}** [الصَّافَّاتِ: ١٥٨، ١٥٩].

وأخرج الْبُخَارِي فِي صَحِيحِه بسنده ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ: لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ ".[1]

وقَوْلُهُ: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}[الإخلاص: ٤] عَنِ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: «لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ، وَلَا عَدْلٌ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»، عَنْ مُجَاهِدٍ: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ٤] قَالَ: «صَاحِبَةٌ»، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا}[الإخلاص: ٤] أَحَدٌ قَالَ: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ»(٢).

وقال شارح الطحاوية: فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا مُعَارِضَ لَهُ، بَلْ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا مِثْلَ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}[الإخلاص: ٤].(٣)

فهذا ما نعتقده وندين الله في أسمائه وصفاته بلا تكييف، ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل كما قال تعالى **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]** . انتهى؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

---

[1] أخرجه البخاري رقم (٦٠٩٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٧٢٧/٢٤)، تفسير العز بن عبد السلام (٣/ ٥٠٨)، تفسير البغوي (٨/ ٥٨٤)، تفسير ابن كثير (٨/ ٥٢٧)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٦٣٣).

(٣) انظر:شرح الطحاوية (ص: ١٠٧).

## ١١٣- سُورَةُ الْفَلَقِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا خَمْسٌ

ففي الصحيحين من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا». (١)

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)}

قَوْلُهُ: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} [الفلق: ١] قال ابن جرير يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ قُلْ يَا مُحَمَّدُ: أَسْتَجِيرُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ مِنَ الْخَلْقِ ، وَالْفَلَقُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: فَلَقُ الصُّبْحِ، تَقُولُ الْعَرَبُ: هُوَ أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ، وَمِنْ فَرَقِ الصُّبْحِ. قال ابْن عَبَّاس: {الْفَلَق} الصُّبْحُ، وَسُمِّيَ فَلَقًا لِأَنَّهُ يُفْلَقُ عَنْهُ اللَّيْلُ،قَالَ الزَّجَّاجُ: لِأَنَّ اللَّيْلَ يَنْفَلِقُ عَنْهُ الصَّبْحُ ، قال البخاري قَالَ مُجَاهِدٌ: {الفَلَقُ} الصُّبْحُ.

وَقَوْلُهُ: {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} [الفلق: ٢] قال الشوكاني: مُتَعَلِّقٌ بِأَعُوذُ، أَيْ: مِنْ شَرِّ كُلِّ مَا خَلَقَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِهِ فَيَعُمُّ جَمِيعَ الشُّرُورِ.

وَقَوْلُهُ:{وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ} [الفلق: ٣] قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَسْتَعِيذَ {مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ} [الفلق: ٣] وَهُوَ الَّذِي يُظْلِمُ، يُقَالُ: قَدْ غَسَقَ اللَّيْلُ يَغْسُقُ غُسُوقًا: إِذَا أَظْلَمَ {إِذَا وَقَبَ} [الفلق: ٣] يَعْنِي: إِذَا دَخَلَ فِي ظَلَامِهِ؛ وَاللَّيْلُ إِذَا دَخَلَ فِي ظَلَامِهِ غَاسِقٌ، وَالنَّجْمُ إِذَا أَفَلَ غَاسِقٌ، وَالْقَمَرُ غَاسِقٌ إِذَا وَقَبَ، وَلَمْ يُخَصِّصْ بَعْضَ ذَلِكَ بَلْ عَمَّ الْأَمْرُ بِذَلِكَ، فَكُلُّ غَاسِقٌ، فَإِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُؤْمَرُ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّهِ إِذَا وَقَبَ.

وقَالَ البخاري قَالَ مُجَاهِدٌ: وَ {غَاسِق} أَيْ: اللَّيْلُ، قال البخاري قَالَ مُجَاهِدٌ: {إِذَا وَقَبَ}: غُرُوبُ الشَّمْسِ، يُقَالُ: أَبْيَنُ مِنْ فَرَقِ وَفَلَقِ الصُّبْحِ، {وَقَبَ}: إِذَا دَخَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَأَظْلَمَ ». (٢)

وقَوْلُهُ:{وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}[الفلق: ٤] قال الشوكاني النَّفَّاثَاتُ: هُنَّ السَّوَاحِرُ،

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٠١٦)واللفظ له، ومسلم رقم (٢١٩٢).
(٢) ذكره البخاري تعليقا (٦/١٨١).

أيْ: ومِن شَرِّ النُّفوسِ النَّفّاثاتِ، أوِ النِّساءِ النَّفّاثاتِ، والنَّفْثُ النَّفْخُ كَما يَفعَلُ ذَلِكَ مَن يَرْقِي ويَسْحَرُ، قِيلَ مَعَ رِيقٍ، وقِيلَ بِدُونِ رِيقٍ، والعُقَدُ جَمْعُ عُقْدَةٍ، وذَلِكَ أنَّهُنَّ كُنْ يَنْفُثْنَ في عُقَدِ الخُيُوطِ حِينَ يَسْحَرْنَ بِها، قَالَ مُجَاهِدٌ: إِذَا رَقَيْنَ وَنَفَثْنَ فِي الْعُقْدِ، {وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}[الفلق: ٤] قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هُنَّ بَنَاتُ لَبِيدِ بْنِ الْأَعْصَمِ سَحَرْنَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم.

وفي الصحيحين من حديث عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَحَرَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ: قَالَتْ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، دَعَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ قَالَ: " يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ جَاءَنِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ، أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ، قَالَ: وَجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ، قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ " قَالَتْ: فَأَتَاهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ وَاللهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ، وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ» قَالَتْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ؟ قَالَ: «لَا أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَانِي اللهُ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ».(١)

قَوْلُهُ: {وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} [الفلق: ٥] قال الشوكاني الحَسَدُ: تَمَنِّي زَوالِ النِّعْمَةِ الَّتِي أنْعَمَ اللَّهُ بِها عَلى المَحْسُودِ، ومَعْنى إذا حَسَدَ: إذا أظْهَرَ ما في نَفْسِهِ مِنَ الحَسَدِ وعَمِلَ بِمُقْتَضاهُ وحَمَلَهُ الحَسَدُ عَلى إيقاعِ الشَّرِّ بِالمَحْسُودِ، يَعْنِي: الْيَهُودَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَحْسُدُونَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم (٢).

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٧٦٥ )، أخرجه مسلم رقم (٢١٨٩)، واللفظ له. (وعاه) حفظه. (أفتاني) أخبرني. (أتاني) أي في المنام. (رجلان) أي ملكان في صورة رجلين. (مطبوب) مسحور. (مشاقة) ما يخرج من الكتان حين يمشق والمشق جذب الشيء ليمتد ويطول. وقيل المشاقة ما يغزل من الكتان. (جف الطلعة) وعاء الطلع وغشاؤه إذا جف. (بئر ذي أروان) بئر في المدينة في بستان لأحد اليهود. (رؤوس الشياطين) أي شبيه لها لقبح منظره. (شرا) أي في إظهاره كتذكر السحر وتعلمه. (دفنت البئر) طمت بالتراب حتى استوت مع الأرض.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٧٤١/٢٤)، تفسير البغوي (٥٩٦/٨)، تفسير ابن كثير (٥٣٤/٨)، انظر: تفسير الجلالين (ص: ٨٢٧).

أخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ جِبْرِيلَ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: «بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ»(١).

انتهى ؛ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا يُوَافِي نِعَمَهُ وَيُكَافِئُ مَزِيدَهُ، وصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

***

(١) أخرجه مسلم رقم (٢١٨٦).

## ١١٤- سُورَةُ النَّاسِ مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا سِتٌّ

أخرج البخاري في صحيحه بسنده، عَنْ عَائِشَةَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ،وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ،وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ»(١).

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)}

قَوْلُهُ: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} [الناس: ١] قُلْ يَا مُحَمَّدُ أَسْتَجِيرُ بِرَبِّ النَّاسِ،ومَعْنى رَبِّ النّاسِ: مالِكُ أمْرِهِمْ ومُصْلِحُ أحْوالِهِمْ، وإنَّما قالَ رَبِّ النّاسِ مَعَ أنَّهُ رَبُّ جَمِيعِ مَخْلُوقاتِهِ لِلدَّلالَةِ عَلى شَرَفِهِمْ، ولِكَوْنِ الاِسْتِعاذَةِ وقَعَتْ مِن شَرِّ ما يُوَسْوِسُ في صُدُورِهِمْ.

وقَوْلُهُ: {مَلِكِ النَّاسِ} [الناس: ٢] وَهُوَ مَلِكُ جَمِيعِ الْخَلْقِ: إِنْسِهِمْ وَجِنِّهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، إِعْلَامًا مِنْهُ بِذَلِكَ مَنْ كَانَ يُعَظِّمُ النَّاسَ تَعْظِيمَ الْمُؤْمِنِينَ رَبَّهُمْ، أَنَّهُ مَلِكُ مَنْ يُعَظِّمُهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ فِي مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، تَجْرِي عَلَيْهِ قُدْرَتُهُ، وَأَنَّهُ أَوْلَى بِالتَّعْظِيمِ، وَأَحَقُّ بِالتَّعَبُّدِ لَهُ مِمَّنْ يُعَظِّمُهُ، وَيَتَعَبَّدُ لَهُ، مِنْ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ.

وَقَوْلُهُ: {إِلَهِ النَّاسِ} [الناس: ٣] يَقُولُ: مَعْبُودِ النَّاسِ، الَّذِي لَهُ الْعِبَادَةُ دُونَ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ، قال ابن كثير: هَذِهِ ثَلَاثُ صِفَاتٍ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ؛ والرُّبُوبِيَّةُ، وَالْمُلْكُ، الْأُلُوهِيَّةُ فَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ وَإِلَهُهُ، فَجَمِيعُ الْأَشْيَاءِ مَخْلُوقَةٌ لَهُ، مَمْلُوكَةٌ عَبِيدٌ لَهُ، فَأَمَرَ الْمُسْتَعِيذَ أَنْ يَتَعَوَّذَ بِالْمُتَّصِفِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، وقال ابن القيم: فمن كان ربهم وملكهم وإلههم فهم جديرون أن لا يستعيذوا بغيره، ولا يستنصروا بسواه، ولا يلجئوا إلى غير حماه، فهو كافيهم وحسبهم وناصرهم ووليهم، ومتولي أمورهم جميعا بربوبيته وملكه وإلهيته لهم، فكيف لا يلتجئ العبد عند النوازل ونزول عدوه به إلى ربه ومالكه وإلهه؟ .

قَوْلُهُ: {مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ} [الناس: ٤] الَّذِي يَخْنِسُ مَرَّةً وَيُوَسْوِسُ أُخْرَى، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ} قَالَ: الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا سَهَا وَغَفَلَ وَسْوَسَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ خَنَسَ.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٠١٧).

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه بسنده، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ» قَالُوا: وَإِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَإِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ».(١)

قال البخاري وَيُذْكَرُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: {الْوَسْوَاسِ} «إِذَا وُلِدَ خَنَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَهَبَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ ثَبَتَ عَلَى قَلْبِهِ».(٢)

وَقَوْلُهُ: {الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ} [الناس: ٥] قال ابن جرير يَعْنِي بِذَلِكَ: الشَّيْطَانَ الْوَسْوَاسَ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ: جِنِّهِمْ وَإِنْسِهِمْ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَالْجِنُّ نَاسٌ، فَيُقَالُ: الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ {مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ} قِيلَ: قَدْ سَمَّاهُمُ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ نَاسًا، كَمَا سَمَّاهُمْ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ رِجَالًا، فَقَالَ: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ} [الجن: ٦] فَجَعَلَ الْجِنَّ رِجَالًا، وَكَذَلِكَ جَعَلَ مِنْهُمْ نَاسًا.

وقَوْلُهُ: {مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ} [الناس: ٦] أيْ: إن الوَسواس يكون من الجِنِّ ويكون من بني آدم؛ قَالَ الْحَسَنُ: أَمَّا شَيْطَانُ الْجِنِّ فَيُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الْإِنْسِ فَيَأْتِي عَلَانِيَةً.

قال الشوكاني: ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ الَّذِي يُوَسْوِسُ بِأَنَّهُ ضَرْبَانِ: جِنِّيٌّ وَإِنْسِيٌّ، فَقَالَ: مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَمَّا شَيْطَانُ الْجِنِّ فَيُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الْإِنْسِ فَوَسْوَسَتُهُ فِي صُدُورِ النَّاسِ: أَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ كَالنَّاصِحِ الْمُشْفِقِ فَيُوقِعُ فِي الصَّدْرِ مِنْ كَلَامِهِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مَخْرَجَ النَّصِيحَةِ مَا يُوقِعُ الشَّيْطَانُ فِيهِ بِوَسْوَسَتِهِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ:{شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا } (الأنعام: ١١٢). (٣)

وقال ابن عثيمين: «هذه السور الثلاث: الإخلاص، والفلق، والناس كان النبي صلى الله عليه وسلّم إذا أوى إلى فراشه نفث في كفه ومسح بذلك وجهه، وما استطاع من بدنه، وربما قرأها خلف الصلوات الخمس، فينبغي للإنسان أن يتحرى السنة في تلاوتها في

(١) أخرجه مسلم رقم (٢٨١٤).
(٢) ذكره البخاري تعليقا (٦/ ١٨١).
(٣) انظر: تفسير الطبري (٧٥٣/٢٤)، تفسير ابن كثير (٥٣٨/٨)، التفسير القيم لابن القيم (ص: ٦٦١)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٦٤٢)، تفسير العثيمين: جزء عم (ص٣٥٦)،أيسر التفاسير للجزائري (٥/ ٦٣١).

مواضعها كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

آخِرُ التَّفْسِيرِ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، وَاَللَّهُ أَعْلَم بِالصَّوَابِ وَإِلَيْهِ الْمَرْجِع وَالْمَآب، والله من وراء القصد وهو ولينا ونعم النصير.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، نافعا لى ولمن يقرأه ويصححه، وأن يجعله موافقا لما يحبه ويرضاه، وأن يجنبنا فيه الزلل، ويتقبله مني، وينفعني به في الآخرة، إنه ولي ذلك ومولاه، وأعوذ بالله أن أكون جسرا تعبرون به إلى الجنة ثم يلقى به في النار ، ولله در بن الجوزي وهو يقول: ولقد جَلَسْتُ يَوْمًا فَرَأَيْتُ حَوْلِي أَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ مَا فِيهِمْ إِلاَّ مَنْ قَدْ رَقَّ قَلْبُهُ، أَوْ دَمِعَتْ عَيْنَاهُ، فَقُلْتُ لِنَفْسِي: كَيْفَ بِكِ إِنْ نَجَوْا وَهَلَكْتِ؟ فَصِحْتُ بِلِسَانِ وُجْدِي: إِلَهِي، وَسَيِّدِي، إِنْ قَضَيْتَ عَلَيَّ بِالْعَذَابِ غَدًا، فَلاَ تُعْلِمْهُمْ بِعَذَابِي، صِيَانَةً لِكَرَمِكَ لاَ لِأَجْلِي، لِئَلاَّ يَقُولُوا: عَذَّبَ مَنْ دَلَّ عَلَيْهِ .

أَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ العفو والعافية والستر يوم العرض، وأختم كتابي بما قاله ابن الأثير: وَأَنَا اسْأَلُ كُلَّ مَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ مِنْ أُولِي الْفَهْمِ وَالدِّرَايَةِ، وَأَرْبَابِ النَّقْلِ وَالرِّوَايَةِ، وَرَأَى فِيهِ خَلَلا، أَوْ لَمَحَ مِنْهُ زَلَلا أَنْ يُصْلِحَهُ، فَإِنِّي مُقِرٌّ بِالتَّقْصِيرِ فِي هَذَا الْمَقَامِ الْكَبِيرِ، مُعْتَرِفٌ بِالْعَجْزِ عَنِ الإِحَاطَةِ بِهَذَا الْبَحرِ الْغَزِيرِ، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

وصلِّ اللَّهُمَّ وَسلم وَبَارك على نَبينَا مُحَمَّد، كلَّما ذكره الذاكرون، وغَفَلَ عن ذكره الغافلون، وعَلى آله وصحبه أَجْمَعِينَ آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وجمعه د.سيد بن رجب الجيوشي

وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْهُ فِي مكة المكرمة ١٥ من ذي الحجة ١٤٣٩هـ

*****

**وتمت المراجعة النهائية بمكة المكرمة**

**للشيخ/ سيد بن الجليمي**

**والدكتور/ السيد بن عزت المرسي بالقاهرة**

**حفظهما الله ،وجزاهما الله خيرا.**

**١٠/٤/١٤٤٠هـ**

**وأعيد مراجعته**

**٢٠/١١/١٤٤٠هـ**

## الفهرس